BOBST LIBRARY
3 1142 02771 4123

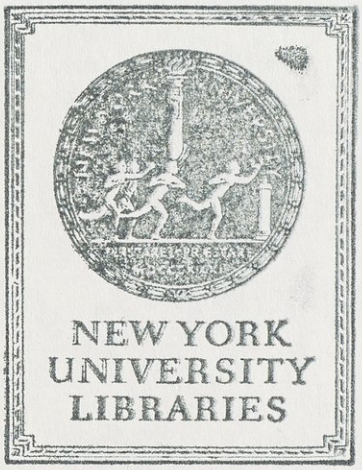

GENERAL UNIVERSITY
LIBRARY

al-Sawwāf, Muḥammad Maḥmūd.
Ṣawt al-islām fī al-ʿIrāq

صوت الإسلام في العراق

front

تأليف
محمد محمود الصواف

NEW YORK UNIVERSITY LIBRARIES
NEAR EAST LIBRARY

١٣٧٤ — ١٩٥٥

الشركة الاسلامية للطباعة والنشر المحدودة — بغداد

B

Near East
BP
63
.I6
.S3
c-1

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الذى علم بالقلم ، علم الانسان ما لم يعلم ، أحمده حمد الشاكرين ، وأشكره شكر الأوابين المنيبين اليه ، وأصلى وأسلم على صفوة خلقه ، وخير أنبيائه وأصفيائه سيدنا وإمامنا « محمد » المبعوث رحمة للعالمين، والهادى الأمين فى الدعوة الى الصراط المستقيم ، وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين ، الدعاة الصادقين : والمجاهدين المخلصين ، نجوم الهدى واعلام التقى ، الذين أعز الله بهم الدين وشرفهم فجعلهم جنوداً لسيد المرسلين ، وأعلى بهم صوت الإسلام، فارتجت له الدنيا ، وتعالى من المآذن فى الخافقين ، فكانت كلمة الله هى العليا وكلمة الذين كفروا السفلى ، رضوان الله عليهم وعلى من اهتدى بهداهم ، واستن سنتهم ، وجاهد جهادهم ، واتبع سبيلهم الى يوم الدين وبعد :

فهذه محاضرات اسلامية ، ودروس توجيهية ، وكلمات فى الإجتماع ، والاخلاق والآداب ، إرتفع بها صوت مؤمن ، آمن بالإسلام على أنه : عبادة وقيادة ، ومصحف وسيف ، ومسجد ودولة ، ودين ودنيا ، وأنه نظام شامل كامل للحياة ، أشتمل على مبادىء ونظريات ، فى التوحيد ، والوحدة فى الأمة الإسلامية ، والإيمان ، والعبادات ، والأخلاق ، والأحوال الشخصية ، والجرائم ، والمعاملات ، والأدارة ، والسياسة ، ونظام السلم والحرب ، وغير

ذلك من الأغراض والإتجاهات التى أحتواها هذا الدين العظيم الخالد ، ثم ضاعت بين جهل أبنائه ، وعجز علمائه ، وخور حكامه ، وهجوم أعدائه ، ولولا أن الإسلام جاء الى الوجود ، ، وهو يحمل معه عناصر البقاء والخلود ، وأن الله وعد بحفظه وحمايته ، لولا هذا وهذا ، لما بقى إسلام فى مثل عصرنا المادى الذى غلبت عليه شقوته فعمى أبناؤه عن رؤية الحق المبين ، وغاصوا فى الضلال والخبال ، الى الركب ، بل إلى الأذقان ، ونسوا ما ذكروا به من آيات بينات ، وما بين أيديهم من براهين واضحات ، فكانوا كالانعام بل أضل : « لهم قلوب لا يفقهون بها ، ولهم أعين لا يبصرون بها ، ولهم آذان لا يسمعون بها ، أولئك كالأنعام بل هم أضل ، أولئك هم الغافلون » نجانا الله من الغفلة وعصمنا من الضلال .

إرتفع هذا الصوت المؤمن ، كما أرتفع غيره ، وسط جلبة الباطل ، وضوضاء المنكر ، ليعلن للملأ : أن لا عصمة إلا بالإسلام ، ولا عزة إلا بالإسلام ، ولا حرية إلا بالأسلام ، ولا مجد ولا سؤدد ولا حياة إلا بالرجوع الى الدين الصحيح ، والجهاد المتواصل فى سبيل الله ، لإعلاء كلمة الله ، ودحر الكافرين من المستعمرين ، والمرتدين ، والمنافقين ، وقد نَقَلَتْ هذا الصوتَ أمواجُ الأثير من محطة الإذاعة العراقية ببغداد فكان له ـ بفضل الله ـ صداه الحسن ولم يعدم من يستمع إليه ، فى جميع أنحاء العراق وفى غير العراق أحياناً .

وحرصاً منى ، ومن بعض أصدقائى المستمعين الذين كان يبلغ ببعضهم الحرص على بعض أحاديثى أن يطلب إرسالها منى اليه وأنا لا أزال فى دار الاذاعة .

وهذا الحرص دفعنى وشجعنى على أن أجمع هذه المحاضرات والدروس وأضم اليها أهم ما ألقيته من أحاديث إسلامية من محطات الأذاعة فى : كراجى

عاصمة الباكستان ، ودمشق ، والقدس الشريف ، ومكة المكرمة ، والشرق الأدنى . جمعتها ليضمها كتاب مستقل وسميته « صوت الاسلام فى العراق » وليكون بين أيدى القراء ، علهم ينتفعون به ، ويرجعون اليه ، ويكون هذا الصوت ، قد سجلت كلماته ولم تذهب أدراج الرياح .

والله أسأل أن يجعل أعمالنا خالصة لوجهه ، وأن يوفق المسلمين لما فيه عزهم ، ومجدهم ، ونصرهم ، وسعادتهم ، ولا يسلط عليهم من لا يرحمهم ولا يرقب فيهم إلّاً ، ولا ذمّةً .

وأن يولي أمورهم خيارهم ، ولا يولها شرارهم ، إنه تبارك وتعالى على كل شيء قدير ، وبالأجابة جدير ، وهو نعم المولى ونعم النصير والحمد لله رب العالمين .

محمد محمود الصواف

عبرة العام ...[1]

بعد حمد الله والثناء عليه بما هو أهله : أيها المستمعون الكرام .

ها هو ذا العام الجديد قد أقبل ، بعد ان ولى العام القديم وادبر ، والدنيا إقبال وإدبار وليل ونهار . جديدها ليس بالجديد وقديمها ليس بالأمر الغريب ـ سنة الله فيها التحول والتبدل لا يستقر فيها أمر ولا يثبت حال ، بل دوام الحال فيها من المحال كل ما فيها يزول حتى جبالها والسهول .

الليل يعقبه النهار ، والنور يطفيه الظلام والخير يتبعه الشر ، والشر لا يلبث ان ينقلب الى خير ، والصحة يكدرها المرض ونور الشباب يمحوه ظلام المشيب ، والغنى يتبعه الفقر فيصرعه والحياة وهى اغلى جوهرة تنتزع من صاحبها ويخطفها الموت وانف صاحبها راغم .

وكل ما فى الحياة عارية مستردة . وهل يفرح المرء بشىء لا يملكه ، وعارية سترد الى صاحبها مهما طال بقاؤها عند المستعير؟

ها هو ذا العام الجديد قد اقبل بعد ان ولى العام القديم وادبر وهل العام الماضى إلا صفحة ثمينة من عمرنا قد تصرمت وتمزقت اوصالاً . وهل هو إلا مرحلة من مراحل عمرنا القصير قد انتهت وبانتهائها قرب الوصول الى النهاية المحتومة . النهايه التى تتكسر أمامها صخور الحياة ، والتى لا ترعى صغيراً لصغره ولا ترحم شيخاً لشيخوخته ، ولا عظيماً لعظمته ، ولا غنياً لغناه ، نهاية الحياة المظلمة التى تنقل الانسان من نعيمها المؤنس المبهج الى ظلمة القبر

(١) القيت هذا الحديث من دار الأذاعة العراقية ببغداد بمناسبة العام الهجرى الحالى ١٣٧٤ هـ

الموحشة ومن ذلك الفراش الوثير والماء العذب النمير ومن صحبة الأهل والولد الى تلك الوحدة المظلمة فى تلك الحفرة الضيقة .

يحل بيننا هذا العام وهو الرابع والسبعون بعد الثلاثمائة والالف من هجرة المصطفى صلوات الله وسلامه عليه وكم قد شهدت الدنيا من عجائب وغرائب وحوادث وأحداث خلال الالف والثلاثمائة والاربعة والسبعين عاماً ارجعوا قليلاً الى التأريخ واستنطقوه فانظروا الى هجرة النبى المختار محمد صلى الله عليه وسلم وهو يهجر بلده الحبيب مكة المكرمة فى سبيل عقيدته ومبدئه بعد ان تألب عليه الشرك والكفر واجتمعت عليه كلمة اعداء الله ، واسمعوا اليه حينما يرى صاحبه الأمين أبا بكر يبكى خوفاً على الرسول من ان تناله يد الاعداء وقد وصلوا الى الغار الذى اختفيا فيه غار ثور : يا أبا بكر ما بالك باثنين الله ثالثهما ؟ لا تحزن ان الله معنا .

وانظروا الى جموع المدينة وقد خرجت برجالها وشبابها وصبيانها تستقبل النبى الحبيب بالاناشيد والزغاريد :

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع وجب الشكر علينا ما دعا لله داع

« أيها المبعوث فينا جئت بالأمر المطاع »

ثم انظروا اليه بعد ثمانى سنوات يرجع بعشرة آلاف مقاتل ليفتح مكة التى اخرجته وتآمرت على قتله وتوزيع دمه الطاهر بين العشائر والقبائل فنصره الله عليهم وفتح له مكة المكرمة ثم وقف ليشكر الله الذى صدق وعده ، ونصر عبده ، واعز جنده ، وليقول لاعدائه المتآمرين عليه والذين خاصموه عشرين عاماً أو تزيد وفعلوا به و بأصحابه ما فعلوا . ما تظنون أنى فاعل بكم . قالوا خيراً . أخ كريم وابن أخ كريم قال : اذهبوا فأنتم الطلقاء . وهكذا عفو الأنبياء وكرم الأصفياء وفعل الأتقياء والعفو عند المقدرة خلة

كريمة من خلال الأنبياء عليهم الصلاة والسلام .

ثم انظروا الى دولة الخلفاء الراشدين رضوان الله عليهم اجمعين وقد نشرت ألوية العدل والمساواة وأشاعت الطمأنينة والرخاء والخير والحق والهناء ، وشعر رعاتها بالمسؤولية الكبرى أمام الله حتى قال الخليفة الثانى رضى الله عنه : لو عثرت بغلة فى العراق لسئل عنها عمر ، لِمَ لَمْ يُسَوِّ لها الطريقَ . وزهد خلفاؤها فى الدنيا وعملوا لما بعد الموت وطلبوا الموت فوهبت لهم الحياة وها هم يعيشون بيننا بسيرهم العظيمة وآثارهم الجسيمة وبلغ من زهد احدهم وهو الخليفة الرابع علي بن أبى طالب كرم الله وجهه ان وصفه ضرار بن ضمرة فقال كان يستوحش من الدنيا وزهرتها ويستأنس بالليل وظلمته . كان والله غزير الدمعة طويل الفكرة . يقلِّب كفه ويخاطب نفسه . يعجبه من اللباس ما خشن ومن الطعام ما جشب .

كان والله كأحدنا يجيبنا إذا سألناه ، ويبتدئنا إذا أتيناه ، ويأتينا إذا دعوناه يعظم أهل الدين ويحب المساكين ، لا يطمع القوي فى باطله ولا ييأس الضعيف من عدله .

وأشهد بالله لقد رأيته فى بعض مواقفه وقد أرخى الليل سجوفه . وغارت نجومه . وقد مثل فى محرابه قابضاً على لحيته يتململ تململ السليم ويبكى بكاء الحزين . وكأنى اسمعه وهو يقول يا دنيا أبى تعرضت ؟ أم لى تشوفت ؟. هيهات هيهات غُرِّى غيرى . قد بتتك ثلاثاً لا رجعة لى فيك فعمرك قصير ، وعيشك حقير . وخطرك كبير آه من قلة الزاد . وبعد السفر . ووحشة الطريق » انتهى .

فاذا كان الامام علي رضى الله عنه وهو المبشر بالجنة يقول آه من قلة الزاد وبعد السفر ووحشة الطريق فماذا يجب أن يقول أبناء اليوم وقد غرقوا فى

المنكرات وغاصوا فى الموبقات واتبعوا الشهوات واضاعوا الصلوات والزكوات . وباعوا دينهم بدنياهم ، بل منهم من باع دينه بدنيا غيره من أسياده الكافرين المستعمرين .

ماذا يقول الذين نسو الله فانساهم أنفسهم والذين عموا عن الحق فلم يبصروه . وتاهو فى الضلالات فلم يتبينوا الطريق ! ولم يهتدوا الى سواء السبيل والمسافة بينهم وبين النهاية قصيرة وهذه الاعوام التى تمر تقربهم من آجالهم وتدنوا بهم الى حتوفهم ورموسهم . ارجعوا قليلاً الى التاريخ أيها الناس لتروا من خلاله العبر والعظات واستنطقوا أيامه الخاليات ماذا شهدت من عظائم الأعمال والرجال اين الجيوش الاسلامية المظفرة التى خرجت من جزيرتها تحمل معها الايمان والخلق والدين والعدل والخير واليقين ؟

انظروها فى القادسية واليرموك واشهدوا معها مشهد حطين، ومشاهدها وهى على مشارف اوربا وحصون روما . واجيلوا نظركم فى أضخم وأعظم اسطول تسيره الخلافة الاسلامية وتربو عدد سفنه على الألف والثمانمائة سفينة ، تتقدم كلها موسوقة بالرجال والعتاد لتحاصر القسطنطينية وتدنو من أسوارها المنيعة العظيمة ، ثم يرجع بكم البصر الى جيوش الصليبيين ، وقد تدفقت تحمل معها النار والدمار ، وانظروا الى البطل المغوار صلاح الدين كيف ردها على اعقابها خاسئة . فانقلبت الى ديارها تحمل العار والشنار بعد ان طردت من ديار الاسلام والمسلمين وهزمت جيوشها شر هزيمة ورحم الله السلطان الشهيد نور الدين والبطل الصنديد صلاح الدين .

وفى هذه الفترات من الزمن كم قد قامت دول ذات بأس وسلطان وسقطت اخرى ذات مجد وعز وبنيان . وكم قد نشأ وهلك امراء ووزراء ، وعلماء . وأدباء . وشعراء . وأغنياء وفقراء وفقهاء . واطباء طحنهم الدهر

بكلكله ورماهم بسهام أجله . والدهر هو هو فى جِدَّته وسيره وعمله لا تنقضى عجائبه ولا يخلق مع كر الجديدين .

فاعتبروا يا أولى الابصار بكر الدهور وتقلب الليل والنهار . ولا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور . وقد أَهَلَّكُمْ عام جديد . فأستقبلوه بالطاعة . واعتبروا بمن مضى قبلكم ممن كان أشد منكم قوة وأكثر عدداً طوتهم الأيام حتى اصبحوا خبراً من الأخبار . ومنهم من اغلفهم الدهر فلم يُبْقِ لهم ذكراً ولا أثراً .

جعلنا الله من أهل الاعتبار بتقلب الليل والنهار ومن الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه والسلام .

الاسلام الذي نريده[1]

الحمد لله رب العالمين ، أحمده تبارك وتعالى وأستغفره واستهديه وأصلى وأسلم على خير خلقه اجمعين محمد سيد الأولين والآخرين وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان ودعا بدعوتهم وسار سيرتهم الى يوم الدين .

أيها المستمعون الكرام أحييكم بتحية من عند الله مباركة طيبة فسلام الله اليكم ، ومغفرته ومرضاته و بعد :

هذه أحاديث إسلامية ، أقدمها اليكم من كراجى عاصمة الباكستان إستجابة لرجاء إدارة الاذاعة العربية فيها جزاها الله عنى وعنكم خيراً .

وما ألذ التحدث عن الاسلام فى بلد إسلامى كبير كباكستان ، بل وما أعظم الحديث عن الاسلام فى بلد وجوده يشهد للاسلام بالعظمة والخلود .

والحديث عن الاسلام اليوم شهى طلى ، تصبو اليه النفوس وتشتاقه الأرواح لتسكن اليه فتأوى الى ركن شديد ينقذها من القلق النفسى ، والإضطراب العصبى الذى يساور الناس جميعاً فى هذه الحقبة المظلمة من الزمن فيملأ قلوبهم فزعاً وهلعاً .

وإذا ما سمعت النفوس حديث الاسلام وذاقت حلاوته وأبصرت طلاوته إطمأنت . وهدأ بالها وزالت عنها تلك الوحشة المظلمة والسحب الداكنة التى تملأ حياتها رعباً وفزعاً .

---

(١) أول حديث ألقيته من كراجى عند حضورى لمؤتمر العلماء فيها سنة ١٩٥٢ ثم أعقبه سلسلة من الأحاديث فى موضوعات مختلفة مدة مكوثى هناك .

وإذا ما تحدثنا عن الاسلام فإنما نريد به الاسلام الصحيح الذى جاء به محمد بن عبدالله صلى الله عليه وسلم واحتواه كتاب الله وسنة رسوله .

لا الاسلام الذى يتمشدق به بعض الساسة اليوم يتاجرون باسمه ويحسبونه هيناً وهو عند الله عظيم .

نريد الإسلام الذى جعل من المسلمين فى طرفة عين وانتباهتها خير أمة أخرجت للناس تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتؤمن بالله .

نريد الاسلام الذى يبنى المسلمين بناءاً شامخاً مرصوصا يشد بعضه بعضاً . ويجعل المسلمين كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى .

نريد الإسلام النابض بالحياة الذى يسيطر على حياة المسلمين فيجعلها حياة عقيدة ، وعبادة ، وقوة ، وفتوة ، وحيوية ، ونشاط .

نريد الإسلام الذى يجمع شتات المسلمين ويكون منهم أمـــة واحدة استجابة لامر الله عز وجل فى دستور المسلمين الأكبر « القرآن » « وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون »

وينشر الإخاء الصحيح الذى أعلنه القرآن العظيم فى قوله تعالى : « إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم » .

نريد الإسلام الذى يحقق هذه الأخوة وينشر ألويتها على ربوع البلاد الإسلامية قاطبة ، وعند ذلك يصبح لنا كرامة وهيبة فى قلوب أعدائنا فى العالم . بل وعند ذلك نصبح الـكتلة الثالثة التى تسير العالم وتقول له ها أنا ذا قد اتحدت واعتصمت بحبل الله فافعل ما بدا لك .

أما أنا فاننى أريد لك الأمن والسلام ، والسعادة . والاطمئنان ، فى ظل

الإسلام الوارف ومبادئه السامية التى ترفع الانسانية من وهدتها وتنقذها من ورطتها وضلالها . وعند ذلك نكون أمة فى الأرض وقائدى سفينة الدنيا الى شاطىء السلامة ونرى ما كان قد ورثه أجدادنا من قبل ويحقق فينا وعد الله عز وجل « ونريد أن نمن على الذين استضعفوا فى الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين » .

ويتحقق فينا وعده تبارك تعالى لنا بالاستخلاف فى الأرض كما استخلف الذين من قبلنا « وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى أرتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً يعبدوننى لا يشركون بى شيئاً ، ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون »

وما من حرف من هذه البشارة وهذا الوعد إلا أتمه الله ، وحققه على يد محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، وتابعيهم إذ كانوا خير أمة أخرجت للناس فى الخلق والعلم والإدارة والسياسة والقوة والعدالة . وكانوا مسلمين صادقين ومجاهدين مخلصين منهم من قضى نحبه شهيداً خالداً فى النعيم ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً .

نريد إسلاماً كإسلام أبى بكر وعمر وعثمان وعلي وعبدالرحمن وأبى عبيدة وسعد وسعيد الخ .

وصبراً كصبر آل ياسر و بلال وخبيب على ما لقوا فى سبيل إسلامهم وعقيدتهم .

نريد إسلاماً يكون هوى الناس تبعاً له ولا يموتون إلا وهم مسلمون يتخذون إلهاً واحداً يعبدونه وله يسلمون . و به يؤمنون وله يشكرون . « أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدى

قالوا نعبد إلهك و إله آبائك ابراهيم واسماعيل واسحق إلهاً واحداً ونحن له مسلمون » .

نريد الإسلام الذى يملأ القلوب نوراً وسناءً ، ورقة و بهاءً ، و يملأ الأنفس ثقة و إطمئناناً ، و يكون حارساً أميناً على الأعين ، فلا تنظر إلا ما يحل لها، وعلى الأفواه فلا تتكلم إلا بما يرضى الله عز وجل ، وعلى الأسماع فلا تسمع إلا ما طاب من الكلام ، وعلى الأنفس فلا تغش ، ولا تكذب ، ولا تخون ولا تعصى فى معروف ، ولا تفعل إلا ما يرضاه الله تبارك تعالى .

نريد إسلاماً يحكم أهله بما أنزل الله ولا يتبعون الهوى فيضل بهم عن سبيل الله « ومن أضل ممن إتبع هواه بغير هدى من الله إن الله لا يهدى القوم الظالمين » .

نريد إسلاماً لا يخاف أهله بخساً ولا رهقاً بل يتحرون به الرشد و يؤمنون بالله الذى اصطفى لهم هذا الدين المكين و يشكرونه شكراً يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه . ولا يكونون من الجاحدين لفضل الله والقاسطين الذين سيكونون لجهنم حطباً .

قال تعالى : « وأنا لما سمعنا الهدى آمنا به فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخساً ولا رهقاً وأنا منا المسلمون ومنا القاسطون ، فمن أسلم فأولئك تحروا رشداً . وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطباً ، وأن لو أستقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماءً غدقاً ، لنفتنهم فيه ومن يعرض عن ذكر ربه يسلكه عذاباً صعداً »

أيها المسلمون هذه اقباس من نور الإسلام الذى نتحدث عنه ونريده فى كلامنا وهذا هو الاسلام الذى اصطفاه الله لنا وأوصى به ابراهيم بنيه و يعقوب وهو ملة أبيكم ابراهيم ومن يرغب عن ملة ابراهيم إلا من سفه نفسه .

قال تعالى :« ومن يرغب عن ملة ابراهيم إلا من سفه نفسه ولقد إصطفيناه فى الدنيا وانه فى الآخرة لمن الصالحين إذ قال له ربه أسلم قال : أسلمت لرب العالمين ، ووصى بها ابراهيم بنيه و يعقوب، يا بنى إن الله إصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون ، أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوبَ الموتُ إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدى ، قالوا نعبد إلهك و إله آبائك ابراهيم واسماعيل واسحق إلهاً واحداً ونحن له مسلمون » .

وهذه هى رسالة الإســـلام فلو آمن بهـا المسلمون كما جاءت نقية صافية ، وأفنوا ارادتهم فى ارادة الله واستسلموا لله فى كل ما أمر ، وانتهوا عن كل ما عنه نهى وزجر، لكانوا غيرهم اليوم ، أحراراً سادة وآمرين قادة ، لهم احترامهم فى الدنيا ، ومكانتهم فى الوجود، إذا ادعوا جاءت الدنيا مصدقة وان دعوا قالت الأيام آمينا .

هذا هو الإسلام الذى نريده أيها المستمعون الكرام فهل انتم مسلمون ؟ عسى الله أن يجعلنا كذلك وليَتْلُ كل منكم « وأمرت لأن أكون اول المسلمين » وقوله تعالى : « وله كل شىء وأمرت ان أكون من المسلمين »

والحمد لله رب العالمين .

الاسلام دين الحضارة

والبـــداوة

ثمرات الإسلام يانعة ، وقطوفه دانية لمن رفع رأسه وصوب بصره ومـــد يده الى شجرته الباسقة ، ففى كل غصن ثمرة ، ولكل ثمرة طعم وحلاوة ، ولذة طلاوة ، ميسرة هذه الثمرات للعالم والجاهل ، والصغير والـكبير ، والغنى والفقير ، والذكر والأنثى ، تُعطى من نفسها للمقبل عليها بقـــدر حبه لها ، وشغفه بها ، لا تفرق بين أحد وأحد ، تغذى الفيلسوف وتدفعه للتعمق وإجالة الفـكر ، وتهذب البدوى وتخلق منه الانسان المتحضر ، والمتعلم المتفكر المتدبر فجزى الله هـــذا الدين وأهله خير الجزاء ، فإنه دين العبقرية والخلود ، دين الحضارة والبداوة ، دين العلم والعرفان ، والنور والفرقان ، دين القوة والحيوية والبرهان ، يهذب البدوى فى بداوته و يعلمه الآداب الاجتماعية ، و يدخل فى قرارة نفسه فينقيها من كل رجس ودنس ، و يسمو بها حتى تصل الى درجة التحضر والكمال ، و يدخل معه الى بيته فيصفو له الجو فيه ، و يسير معه جنباً الى جنب فى وحدته واجتماعه ، فى بدوه وحضره ، فى أفراحه وأتراحه ، فى الهناءة والشقاوة ، إن تكلم فالدين قفل فولاذى يصم فمه عن التكلم بالفحش والزور ، وان خلا ونفسه وزين له الشيطان سوء عمله ، فالدين شرطى سرى يرقبه و يسجل عليه أعماله ما خفى منها وما ظهر ، فى كتاب لا يضل ولا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها : « ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد »

ويطلب اليه ألا يهرف بما لا يعرف ولا يتكلم بما لا يعلم : « ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا »

ويأمره بالطهارة والنظافة ويجعل النظافة شعبة من شعب الايمان والطهارة محلبة لحب الرحيم الرحمن : « لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه ، فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين » .

« ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين » بل يجعل الطهور شطر الايمان . قال صلى الله عليه وسلم : « الطهور شطر الايمان ، والحمد لله تملأ الميزان ، وسبحان الله والحمد لله تملآن ، ما بين السماء والأرض ، والصلاة نور والصدقة برهان ، والصبر ضياء ، والقرآن حجة لك أو عليك ، وكل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها » أى مهلكها . ويطلب اليه أن يزين عند كل مسجد فان الزينة شعار المؤمنين : « حسنوا ثيابكم وجملوا رواحلكم حتى كأنكم فى الناس شامة » ويعلمه القواعد العامه للصحة فينهاه عن الاسراف فى الأكل والشرب لأن الداء اكثر ما تراه يكون من الطعام أو الشراب ، وينهاه عن الاسراف فى كل شىء ويأمره بالأقتصاد وما عال من اقتصد « يا بنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين » .

« ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوماً محسوراً » .

ويعلمه آداب الاسلام وأبسط القواعد الاجتماعيه وآداب السلوك . فاذا دخل على البيت سلم ، واذا حياه أحد رد عليه التحية بتحية أحسن من تحيته : « فاذا دخلتم بيوتاً فسلموا على أنفسكم تحية من عند الله مباركة طيبة كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تعقلون » وقال تعالى : « واذا حييتم

بتحية فحيوا باحسن منها أو ردوها إن الله كان على كل شيء حسيباً » .

ويأمرهم باتيان البيوت من أبوابها لا من ظهورها وليستأذنوا بالدخول إذا ما رغبوا فيه ، ويسمو بهم فيأمرهم بعدم الغضب والانزعاج إذا أمروا بالرجوع عندما لم يكن عند المستأذن عليه بالدخول من الوقت ما يقابلهم به فيرجعوا راضين مطمئنين : « وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا » يا ايها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون فان لم تجدوا فيها أحداً فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو ازكى لكم والله بما تعملون عليم « وليس البر أن تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من أتقى وأتوا البيوت من أبوابها وأتقوا الله لعلكم تفلحون »

ويعلمهم آداب المجالس والطعام : يا أيها الذين آمنوا إذا قيل لكم تفسحوا فى المجالس فافسحوا يفسح الله لكم واذا قيل انشزوا فانشزوا ، ويقول تعالى : « واذا طعمتم فانتشروا ولا مستأنسين لحديث » .

ويهذبهم بالأخلاق الرفيعة حتى يعرضوا عن اللغو ولا يبتغوا الجاهلين . « واذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لا نبتغى الجاهلين » .

هذا شيء قليل من كثير من الدين الاسلامى الحنيف مع البدوى وغيره وهناك أشياء وأشياء وكلها تدعو الى تهذيبه وتعليمه وتأديبه وتحضيره .

والدين الاسلامى نفسه لفكر الفيلسوف غذاء ولروحه طمأنينة وصفاء يأمره بالتفكر والتدبر ويجيله الى عوالم الأرض والسماء ، ويلمح له بكنوز هذا الكون الغامض العجيب ، ويسوق له من آيات ربه الكبرى لعله يذكر أو يخشى . ولكن هذا الفيلسوف كلما غاص بفكره العميق فى بحر من بحار العظمة الآلهية وظن نفسه إنه وصل الى الغور وانكشفت له الحقيقة الكبرى أرتد

بصره خاسئاً وهو حسير، وصدم بصخرة الأوهام والأحلام وضاعت عليه الحقيقة التي يقتش عنها وينشدها ورجع مؤمناً بعجزه مقراً بتقصيره وأسلم لله رب العالمين.

لقد أمر الاسلام بالنظر في ملكوت السماوات والأرض فليتفكر الناظرون وليتدبروا وليرفعوا نظرهم الى السماء وليسيروا في الأرض فلعلهم يجدون ما ينشدون وهيهات هيهات.

« إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد »

واسمعوا لآيات الله العظمى لعلكم تهتدون بهديها ولعلكم تتفكرون في ملكوت السموات والأرض.

« قل انظروا ما ذا في السموات والأرض وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون » يونس.

وقال تبارك وتعالى: « أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فانها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور » الحج.

وقال الكبير المتعال: « ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون، ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة، ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون، ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف السنتكم وألوانكم ان في ذلك لآيات للعالمين، ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله، إن في ذلك لايات لقوم يسمعون، ومن آياته يريكم البرق خوفا وطمعاً وينزل من السماء ماء فيحيي به الأرض بعد موتها إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون، ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره ثم اذا دعاكم دعوة من الأرض اذا انتم تخرجون» الروم

وقال تعالى من إله جبار وملك قهار « أفلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج والأرض مددناها وألقينا فيها رواسى وانبتنا فيها من كل زوج بهيج تبصرة وذكرى لكل عبد منيب » ق

فانيبوا الى الله أيها الناس ولا تكونوا من الغافلين ولا تتركوا آيات الله تمر واتم عنها معرضون فتكونوا من أولئك الذين قال الله فيهم : « وكأيٍّ من آية فى السماوات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون » يوسف

فلا تعرضوا عن آيات الله بل أدبروا هذا الدين العظيم الذى فيه الغذاء لكل أحد وأدبروا الآيات التى جاءكم بها فانها واضحات بينات زاجرات مبلغات . وعظات بينات مرشدات الى الهدى والسداد . فادرسوا الإسلام وتدارسوه لعلكم تفلحون والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

الأسس الخلقية للحياة

الإجتماعية فى الإســـلام

اتفقت كلمة علماء الفلسفة والاجتماع بل وسائر العلماء فى مختلف الشؤون على أن الأخلاق أساس المجتمعات ومصدر الحضارات ، وبها يقاس رقى الأمة وانحطاطها ، كما يتعلق بها بقاؤها وزوالها .

فالأمة التى تعلو أخلاقها تسير فى مدارج الرقى ، وتعض على قارحة من الكمال ، وتسمو فيها الحياة الفردية فتزدهر بعدها الحياة الاجتماعية ، ويعيش الناس فى رغد من العيش ، وبحبوبة من الطمأنينة والرخاء .

أما إذا ساءت أخلاقها وانحطت ، فقد سارت الى الهاوية بخطى سريعة ، وفقدت مكانتها واحترامها ومقتها الناس ، وآذَنَتْ نَفْسَها بالزوال .

وازدهار الحياة الاجتماعية فى الأمة يتلو ازدهار الأخلاق فيها ، ولكل أمة أخلاق تتميز بها ، ولهذه الأخلاق أسس تقوم عليها ، وأركان تشيد فوقها وتعتمد عليها .

والحياة الاجتماعية الاسلامية ، أعتمدت على أخلاق ثابتة الأركان ، قوية البنيان ، لها طابع خاص ومميزات لا تكون فى غيرها ، ولا يدانيها فى هذه الخصائص والميزات أمة من الأمم الأخرى التى تدعى أن لها أخلاقاً قويمة تدعم حياتها الاجتماعية .

والسر فى هذا السمو هو أن الأخلاق الاسلامية شادها القرآن ووضع لها

الأسس والأركان وغيرها من الأخلاق وضعها الانسان وشتان بين تأسيس القرآن ووضع الانسان « أفمن أسس بنيانه على هدى من الله كمن أسس بنيانه فى الظلمات ليس بخارج منها لا يستوون » . وهـذه بعض الأسس الأخلاقية للحياة الإجتماعية الإسلامية لعل فيها عبرة وذكرى .

١ -- الحب : لا يشك أحـد فى أن أسعد المجتمعات وأفضلها عيشاً ، واهنأها بالاً ، المجتمع الذى يسود أبناءه الحب والاحترام والتعاون والانسجام بين كل فرد وفرد ، ومتى إطمأن الانسان من أبناء مجتمعه وأحس منهم الود والصفاء ، والحب والاخاء ، قابلهم بالمثل وامتلأت نفسه بحبهم وأحترامهم فأمن بعضهم البعض وادى الذى أؤتمن أمانته وأحب أحـدهم لأخيه ما يحبه لنفسه فعاشوا سعداء متنعمين بهذا الاخاء .

وهـذا الحب — وهو أجل ركن من أركان سعادة المجتمعات — هو الأساس الأول فى بناء المجتمع الاسلامى .

فلا يـكمل ايمان المسلم ، بل ربما ينتزع عنه إيمانه إن لم يحب لأخيه ما يحبه لنفسه ، قال صلى الله عليه وسلم : « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحبه لنفسه » .

وفى هذا الحديث من المعانى العالية ما يدق عن الوصف ويعجز عن الحصر ، فنفسك ميزان أنظر ما تحبه لها فأحبه لأخيك ، وأنظر ما تكرهه لها فلا تتمناه له لأنه جزء منك وأنت الجزء الآخر وقد آخى وسوى بينكما الإسلام وأمركما بهذا الحب الذى سيسمو فيه مجتمعكم وتعيشون أنتم فيه هادئين وادعين آلفين مألوفين ولا خير فى هذه الدنيا بل ولا سعادة لمن لا يألف ولا يؤلف .

وفى الحديث الشريف « المؤمن آلف مألوف ولا خـير فيمن لا يألف ولا يؤلف » .

وسما الاسلام فوق هذا فجمع قلوب المؤمنين وألف بينها ، وأن تباعدت منازل أصحابها وتفرقت أجسامهم فهم جسد واحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى قال النبى صلى الله عليه وسلم : «المؤمنون وددة متحابون وان تباعدت منازلهم وأجسامهم . والمنافقون غششة متخاصمون وان تقاربت أجسامهم ومنازلهم» أو كما قال صلى الله عليه وسلم وقد تمسك المسلمون بمعانى الحب فيما بينهم فعاشوا كأهنأ ما يعيش انسان فى مجتمع كريم . وتعاونوا فى السراء والضراء ، فبعد عنهم الشقاء ، وكانوا خير أمة اخرجت للناس لانهم أحبوا الله ، وابغضوا لله ، واحبوا الصالحين منهم ، على غير أرحام بينهم ولا أموال يتعاطونها ، إنما هـو الاسلام الذى آخى بينهم فأصبحوا إخوان الصدق ، وجنود الحق ونالوا تلك المنزلة السامية فأصبح مجتمعهم من أسعد المجتمعات ، وفى الآخرة سيغبطهم بمكانهم كثير من الأبرار و يصدق فيهم قول النبى صلى الله عليه وسلم :

« إن من عباد الله لأناساً ما هم بأنبياء ولا شهداء ، يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة بمكانهم من الله ، قالوا يا رسول الله تخبرنا من هم ؟ قال: قوم تحابوا بروح الله على غير أرحام بينهم ولا أموال يتعاطونها فوالله إن وجوههم لنور ، و إنهم لعلى نور ، لا يخافون إذا خاف الناس ، ولا يحزنون إذا حزن الناس »

٢ — المساواة : والمجتمع الاسلامى سعيد لأن الاسلام قد ساوى بين المسلمين فجعل المساواة من الأسس الخلقية لهذا المجتمع ، فالمسلم أخو المسلم لا يخذله ، ولا يُسْلِمُه ، وكل المسلم على المسلم حرام ، دمه وماله ، وعرضه . والمسلمون تتكافأ دماءهم ، وهم متساوون فى الحقوق والواجبات ، وقد بعث النبى صلى الله عليه وسلم للأحمر والأسود والأبيض وجميعهم أمام الشرع

سواء لا فضل لأحدهم على الأخر الا بالتقوى ، والقيام بحق الاسلام وقال لنا صلى الله عليه وسلم كلكم لآدم وآدم من تراب . ولا فضل لعربى على أعجمى الا بالتقوى .

وهـذا المعنى النبيل « المساواة » إذا ساد مجتمعاً من المجتمعات سادته الطمأنينة وعلته المهابة والاحترام والوقار ، إذ ترتفع تلك الفروق بين الغنى والفقير ، والكبير والصغير ، والأمير والمأمور ، والحقير والخطير ، فلا يشمخ الرأس بعلوه على الرِّجْلِ لأنه رأس يحمل أشرف الأعضاء وأسماها وهى رجل منحطة ، فلولا الرجل ما مشى هذا الرأس على وجه الأرض فلكل واحد منهما عمله ، ولكل واحد منهما مكانه وأحترامه .

هـذه المعانى كفيلة بنشر السعادة والرخاء فى المجتمع الذى تعيش فيه ويتمسك بها أبناؤه وقد أمر بها الاسلام اتباعه فسوى بين الملك والسوقة لانهما من ذكر وأنثى وكلاهما من تراب واكرمهما عند الله أتقاهما لله .

قال تعالى : « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن اكرمكم عند الله أتقاكم » .

فما بعد هذه الآية فضل لأحد على أحد إلا بما فضله الله فيه من التقوى وحسن الخلق وقد شبه الرسول صلى الله عليه وسلم المساويين بأسنان المشط فى المساواة وعدم التمييز بين الواحد والآخر . ولا تجد هذا المعنى عند أحد من الناس والاسلام هو الذى أزال الفروق وقضى على نظام الطبقات والاشراف والعبيد فكان المجتمع الاسلامى من أسعد المجتمعات .

٣ — الصدق والإخلاص : ومن هذه الأسس الصدق والاخلاص فالمجتمع الأسلامى يتميز أهله فى هاتين الصفتين فهم صادقون إذا تحدثوا ومخلصون ، اذا عزموا على أمر من الأمور أخلصوا النية فيه وصدقوا فى العمل ، واذا

وعدوا أنجزوا ، واذا أؤتمنوا أدوا الأمانات الى أهلها . واذا خاصموا لم يفجروا وقد استمدوا هذه الصفات من وحى دينهم الخالد فقد أمرهم بالاخلاص فى السر والعلن والظاهر والباطن ، وعلق الجزاء على الأعمال بالأخلاص فيها ، فالأعمال بالنيات ولكل أمرىء ما نوى . قال تعالى :« وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيّمة »

وقال النبى صلى الله عليه وسلم إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرىء ما نوى ـ الحديث .

كما أوصاهم الاسلام بالصدق فى القول والعمل ، فصدقوا ، واستجابوا لربهم الذى خاطبهم وقال : يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين .

فنالوا الخير الذى وعدهم الله به وعاشوا به سعداء كرماء . قال تعالى : « فلو صدقوا الله لكان خيراً لهم » .

وهداهم الصدق الى البر بأصنافه فتنعموا فيها فى الدنيا وورثوا بها الجنة فى الآخرة . وكانوا مع الصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقاً .

فى الحديث الشريف ان النبى صلى الله عليه وسلم قال : عليكم بالصدق فإن الصدق يهدى الى البر ، وان البر يهدى الى الجنة ، وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً .

واياكم والكذب فان الكذب يهدى الى الفجور ، وان الفجور يهدى الى النار ، وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً .

هذه بعض الأسس التى شيدت عليها الحياة الاجتماعية الاسلامية وهى : الحب ، المساواة ، الصدق ، الاخلاص

وهناك غير هذه الصفات الخلقية ، كالعفاف ، والأمانة ، والتضحية والتراحم

والوفاء ، والكرم ، والشجاعة ، والشهامة ، والشمم ، والغيرة ، والتعاون ، والاتحاد ، ومعرفة الرجل نفسه . واحترام المرأة وإعطاءها حقوقها الشرعية ، والعدل ، والاستقامة ، والصبر ، والاحسان ، والاصلاح بين الناس ، وقضاء حوائج المسلمين ، والانفاق ، وبر الوالدين ، وحق الجوار ، والاقتصاد ، والقناعة ، والزهد بما فى أيدى الناس ، والعفو ، والحلم ، والرفق ، والأناة ، والتواضع ، وخفض الجناح للمؤمنين ، والوقار والسكينة ، الى ما هنالك من السجايا الخلقية الأسلامية التى تعتبر من صميم الدين وهى بعض ما تخلق به إمام العالمين وسيد المتخلقين رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ولا يشك عاقل فى أن المجتمع الذى تكون هذه بعض سجاياه أرقى المجتمعات وأنبلها ، وأفضلها ، وأنه يعيش فى رغد من العيش ، وبحبوبة من الطمأنينة وراحة البال .

لا تكدر صفوه الخيانة لأنه مجتمع مخلص ، ولا تعكره اكاذيب المفترين لأن الصدق طابعه ولا يزعجه كبر المتكبرين وشموخ المتجبرين فالمساواة ديدنه .

ولا تشقيه الشحناء والبغضاء لأن الحب أساسه الذى شاد بنيانه عليه .

وعسى أن يعود المسلمون الى أخلاقهم القرآنية ، ليكونوا للناس ـ كما كانوا ـ خير أمة أخرجت للناس تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتؤمن بالله . وعسى أن يكون ذلك قريباً والله من وراء القصد والحمد لله رب العالمين .

الاســـلام والمرأة ...[1]

ظهر الاسلام الى الوجود يحمل معه عناصر الاصلاح للانسانية كلها ، ولما بزغت شمسه ، وشع نوره ، كان نصف الانسان مشلولاً ، وهو المرأة ، فقد كانت مهانة مهجورة لا فى العرب وحدهم ولكن فى العالم كله شرقيه وغربيه.

فلا ترث ولا تورث ، ولا تملك ولا تتصرف ، ولا رأي لها ولا احترام ، يتزوج الرجال من النساء ما شاؤا لا يقيدهم دين ولا تمنعهم عقيدة ولا يصدهم نظام .

ولما جاء الاسلام عرف لهن مكانهن ، فأعزهن ، واكرمهن ، وجعل لهن من الحقوق مثل ما على الرجال .

وما كان للاسلام وهو رسالة الاصلاح العامة الى الناس كافة ، أن يهمل جانب المرأة ويتركها على ما هى عليه والمرأة نصف المجتمع بل هى عدة المستقبل ، وبانية الأمم ، ومشيدة معاقل الرجال ، و بيدها التى تهز بها المهد تضع بها السد والقيد دون طمع الطامعين فى مجد أمتها ، وعزتها وسيادتها ، فان زكت هذه الأيدى وطهرت ربت جيلاً زكياً طاهراً يحمى الذمار ، ويصون الديار من طمع الطامعين .

فمقام المرأة فى الحياة خطير ، وشأنها عظيم ، وقد عرف الاسلام لها هذا المقام فأحلها إياه ، و بوأها العرش الذى يصلح لها وتصلح له .

---

(١) الحديث الأول الذى القيته فى أسبوع الفضيلة بجامع الامام الأعظم رداً على أسبوع المرأة الذى أقامه الاتحاد النسائى ببغداد ونقلته دار الاذاعة العراقية كما شهد الاجتماع آلاف من المسلمين .

وقد سلك الاسلام فى طريق إصلاحها كل سبيل ، فأرادها عنصراً متيناً قوياً مكيناً ، فى بناء الهيكل الاسلامى العتيد وأراد الاسلام من النساء ان يكن جواهر مصونات ، آمنات مأمونات ، حييات وقورات ، حليمات رزينات ، بانيات مصلحات ، عابدات قانتات ، صائمات مصليات ، تائبات منيبات ، متحليات بالخلق الاسلامى الرصين ، مهابة الاسلام تعلوهن ، ووقاره يصحبهن ، وسجاياه لرفيعة ترافقهن ، فى البيت إذا سكن ، وفى الطريق إذا سرن ، وعند صاحباتهن إذا جلسن ، وفى الحديث إذا تحدثن .

أراد الاسلام لها هذا ولم يردها متاعاً رخيصاً مبتذلاً يعرض فى الأسواق والطرقات ، بل أرادها الاســـلام ، فاضلة شريفة ، عزيزة ، خفرة ، حيية ، وقورة ، محترمة ، وقد صاغها الاسلام هذه الصياغة وجعلها بمثل هذه الصفات فى الدور الاسلامى الأول ، فاشتركت فى النهوض الاسلامى اشتراكا فعلياً ، ولم تكن النساء أقل إندفاعا ، ونشاطاً ، وحيوية ، وايماناً ، وإسلاماً ، من الرجال ، بل ربما كان بعضهن اكثر انداعاً وأقوى أثراً من بعض الرجال فى نشر الدعوة الاسلامية والكفاح فى سبيلها ، والجهاد لها ، وقد ضربن بسهم وافر فى سبيل نصرة الاسلام والمسلمين واشتركن اشتراكا فعلياً فى الجهاد الاسلامى ، ويودى أن أضرب المثل ببعض الفضليات من سيداتنا المجاهدات فى العصر الاسلامى الأول ، لتسمع نساؤنا الحاضرات شأن النساء السالفات .

١ — فاطمة الزهراء كريمة النبى وحبيبته رضى الله عنها ، اشتركت فى غزوة أحد بنفسها ، وشاركت فى المواساة والنصرة ، فعالجت جرح الرسول صلى الله عليه وسلم حين جرح ، وغسلت سيفه حين انتهى اليها بعد الغزوة . قال ابن اسحاق : فلما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أهله ناول

سيفه الى ابنته فاطمة فقال : « إغسلى عن هذا دَمَهُ يا بُنَيَّةُ فوالله لقد صَدَقَنى اليوم » .

هذا فى الجهاد واما فى غيره فقد روى أن أباها صلى الله عليه وسلم قال لها أى شىء خير للمرأة فقالت : ان لا ترى رجلاً ، ولا يراها رجل ، فضمها النبى صلى الله عليه وسلم وقال « ذرية بعضها من بعض » .

٢ — وأم عمارة نسيبة بنت كعب المازنية باشرت القتال بنفسها ، وذبت عن النبى صلى الله عليه وسلم بالسيف ودافعت عنه دفاع الأبطال المستبسلين ، حتى جرحت فى تلك المعركة جرحاً بليغاً ، وهى تدافع عن نبى الاسلام ورسول رب العالمين صلوات الله وسلامه عليه ، قال ابن هشام : « وقاتلت أم عمارة نسيبة بنت كعب المازنية يوم أحد فذكر سعيد بن أبى زيد الأنصارى أن أم سعيد بنت سعد بن الربيع كانت تقول : خرجت عَلَىَّ أم عمارة فقلت لها : يا خالة أخبرينى خبرك ، فقالت : خرجت أول النهار وأنا أنظر ما يصنع الناس ومعى سقاء فيه ماء ، فانتهيت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والدولة والريح للمسلمين ، فلما انهزم المسلمون إنحزت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقمت أباشر القتال وأذب عنه بالسيف وأرمى عن القوس حتى خلصت الجراح الىَّ ، فرأيتُ على عاتقها جرحاً أجوف له غور . فقلت : من أصابك بهذا ؟ قالت : ابن قمئة أقماه الله . « أى أذله الله » لما ولى الناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقبل يقول : دلونى على محمد فلا نجوت إن نجا ، فاعترضت له أنا ومصعب بن عمير وأناس ممن ثبت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فضربنى هذه الضربة ، فلقد ضربته على ذلك بضربات ولكن عدو الله كانت عليه درعان » إنتهى .

هكذا يصنع الاسلام المعجزات ويكوّن من المرأة بطلاً يذب بسيفه أعداء

الله عن دين الله ونبي الله ويصول ويجول فى المعارك الحربية الحاسمة بين الكفر والايمان والشرك والاسلام .

٣ — وأخت عمر بن الخطاب رضى الله عنها وعنه إعتنقت الدين عن ايمان وثقة ويقين ، وقرأت القرآن على مسلم سراً ، فلما علم بها أخوها ابن الخطاب جاء اليها ليثنيها عن دينها الجديد ، ويصدها عن عقيدتها فأنهها ولطم خدها ، وأدماها ، فما كان منها الا أن صبرت ودافعت عن عقيدتها وثبتت ثبات الأبطال ، وقالت له بقلب ملؤه النور والايمان والصدق والاخلاص والله لن ارتد عن دينى ولو تقطعت أنفاسك فأنا مسلمة ومسلمة .

فأثر هذا الكلام المؤمن فى عمر القوى الشديد الذى لم يره الشيطان سالكاً فجاً الا سلك غيره ، فراح يفتش عن محمد صلى الله عليه وسلم ليعلن إسلامه لهذا النبى الكريم وقد أسلم فعلاً ونصر الله به الاسلام .

٤ — وأسماء بنت أبى بكر الصديق : فقد فعلت الاعاجيب التى تقصر عنها أعناق فحول الرجال فقد كانت تغبش فى السحر ، تحمل الزاد الى الرسول والى أبيها فى الغار أيام الهجرة وتعود دون أن يعلم بها أحد ودون أن تلتفت هى الى المخاطر التى قد تحيط بها ، وتكتنفها من وراء هذا العمل . ولكنه الجهاد والايمان لا يصدهما صاد ، ولا يمنعهما وجل الموت ولا صيحة الخطر .

وبمثل هذه الروح الوثابة والتضحية المثالية انتشر الاسلام ، وعز جانبه ، بعد أن أعز هو اتباعه . وبعث فى نفوسهم روحاً جديداً ، ونوراً مشعاً مبهجاً وهاجاً ، وسرى هذا النور منهم الى العالمين .

نرى من هذه الأمثلة ان الاسلام لم يكتف بالوصية بالمرأة خيراً ثم يتركها وشأنها بل أشركها اشراكاً فعلياً فى بناء مجد الاسلام وساواها بالرجل إلا أنه جعل القيادة فى الأسرة للرجل وفى هذا الحكمة كل الحكمة .

قال تعالى : «ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة» .

وَوَرَّثَهَا ومَلَّكَهَا وأعطاها حق التصرف فيما تملك ، ثم أمر الرجال بمعاشرتها بالمعروف فقال تعالى : وعاشروهن بالمعروف فان كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئاً و يجعل الله فيه خيراً كثيراً » .

وكان آخر عهد الرسول صلى الله عليه وسلم أن أوصى بالنساء خيراً وهو فى حجة الوداع فقال : « واستوصوا بالنساء خيراً » .

ثم أدب الاسلام المرأة بارفع الآداب وأسماها ، وأقوم الأخلاق وأعلاها ، وضرب المثل الأعلى فى أقوم الآداب بنساء النبى صل الله عليه وسلم وهن صفوة نساء الدنيا ، وخير نساء العالمين ، وجعل الله وصاياه لنساء النبى صلى الله عليه وسلم مقياساً لفضيلة النساء وعمل النساء ، وجهاد النساء الى ابد الآبدين .

قال تعالى : « يا نساء النبى لستن كأحد من النساء إن اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذى فى قلبه مرض . وقلن قولاً معروفاً . وَقَرْنَ فى بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى وأقمن الصلاة وآتين الزكاة . وأطعن الله ورسوله . إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يطهركم تطهيراً . واذكرن ما يتلى فى بيوتكن من آيات الله والحكمة إن الله كان لطيفاً خبيراً » .

ان المسلمين والمسلمات . والمؤمنين والمؤمنات . والقانتين والقانتات . والصادقين والصادقات . والصابرين والصابرات ، والخاشعين والخاشعات . والمتصدقين والمتصدقات . والصائمين والصائمات . والحافظين فروجهم والحافظات . والذاكرين الله كثيراً والذاكرات . أعد الله لهم مغفرة وأجراً عظيماً » الأحزاب .

هكذا فعلت المرأة حينما كان المجتمع الاسلامى تسوده الفضيلة ، وتقوده أحكام الشريعة الغراء والكل مسلم لها ، مؤمن بها ، واقف عند حدودها

لا فرق فى ذلك بين الرجال والنساء ولا بين الأغنياء والفقراء .

وقد أعطى الاسلام للمرأة حقوقاً بيِّنة فاذا زدنا عليها ظلماناها ، واذا نقصنا منها فقد غمطناها . والخير فى الأعتدال والأمة اذا تجاوز فيها كلٌّ حدَّه وأخذ ما ليس له ، إختل ميزانها . وساء حالها ، وعمتها الفوضى . وسادها الانحلال ونحن نريد أن يقف كل عند حده . ولا يتعدى طوره . والاسلام حينما يحجر السفيه لا يقصد النكاية به والتشهير . انما يريد له الخير ولأمواله الصيانة والحماية وهو فرد من الأمة طبق عليه حكم الحجر لسوء تصرفه وتفريطه فى حقه الذى هو جزء من حقوق الأمة .

ورجال الاصلاح فى كل زمان لا يريدون للناس إلا ما يريدونه لأنفسهم من الصلاح والفلاح ، والتقدم والنجاح فى جميع أمورهم وشؤونهم الدنيوية والأخروية .

ونحن نريد لأختنا المرأة ما نريده لأنفسنا . من الدوام على دين الله . والوقوف عند حدوده . والتمسك بآدابه . والمحافظة على التراث الصالح القويم الذى لا نزال نفتخر به . وقد افتخر به آباؤنا من قبل وهو : العفة وطهارة النفس . والشهامة . والغيرة وحفظ الجوار والحياء الذى هو شعبة من شعب الايمان .

وهذه الصفات من مقومات حياتنا الاجتماعية المبنية على الخلق المتين الذى هو الدعامة الرصينة لحفظ كيان الأمة . وسلامتها من التصدع والانهيار . إن من أجدادنا العرب من كانوا يئدون البنات خشية أن تصيب خطيئة فتلحق بهم عاراً كبيراً لا يمحى أثره وان طال الزمن . فجاء الاسلام مستقبحاً هذا العمل منددا به إذ فيه إساءة القتل على ذنب موهوم فقال تعالى : « واذا المؤودة سئلت . بأى ذنب قتلت » ولكنه الى جانب هذا كلفنا أن نحتاط

لعدم وقوع هذه الخطيئة من النساء .

والخطيئة هى الخطيئة اينما كانت وحيثما وقعت ، لا يقترفها انسان الا هوى فى الضلالة وغرق فى الفساد ، وقد حارب الاسلام هـذه الخطيئة كما حارب دواعيها واسبابها ، فحرم خلوة الرجل بالمرأة الاجنبية . قال النبى الكريم صلى الله عليه وسلم : « ما اجتمع رجل وامرأة الا كان الشيطان ثالثهما » .

وأمر النساء بعدم الاختلاط بالرجال ، وان يقعدن فى البيوت ، حتى تمس الحاجة ، وتدعو الضرورة للخروج فيخرجن حينذاك وأمرهن بعدم التبرج ، و بغض البصر ، وحفظ الفروج .

وخاطب الله الحكيم الخبير ، زوجات النبى الطاهرات الطيبات العفيفات أمهات المؤمنين وسيدات نساء العالمين خاطبهن بقوله تعالى :

« يا نساء النبى لستن كأحد من النساء إن إتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذى فى قلبه مرض ، وقلن قولاً معروفاً وقرن فى بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى » .

وقال تعالى لرسوله الكريم (ص) « وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن و يحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها » . وقد طبقت امهاتنا واخواتنا السالفات هـذه الآيات . فلم يخرجن و يجلن فى الاسواق ولم يشتركن فى الحفلات وهن بأبهى الحلل والزينات . ولم يكشفن عن محاسنهن ولم يخرجن كاسيات ، عاريات ، مائلات مميلات ، شعورهن كأسنة البخت ، بل كن مثال الطهر والعفاف ، واذا خرجن من بيوتهن خرج معهن الحياء والخفر يصحبهن و يزينهن ، و بيوتهن كانت ميادين الجهاد لهن ، تتلى فيها آيات الله والحكمة ، وتربى فيها الاطفال على طاعة الله

ولا تخان فيها الازواج ، وهن يعلمن ان المرأة عورة ، فاذا خرجت استشرفها الشيطان ولا يزال معها حتى تعود الى بيتها كما بين ذلك رسول الله صلوات الله وسلامه عليه .

واذا خرجت بضرورة فلا تخاف الرجال لأنهم كانوا اتقياء برره ولم يكونوا عبيداً فجرة .

كانوا يخافون الله و يذكرون عذابه وعقابه ، فلا ينظرون الى ما لا يحل لهم ، ولا يقترفون الآثام لأنهم يعلمون عواقبها وآثارها السيئة فى الفرد والجماعة والدنيا والآخرة وكانت الغيرة تسيطر عليهم رجالا ونساءً .

وقد كان إمام العالمين محمد (ص) أغير الناس وقد قال عن نفسه « إنى لغيور ! وما من امرىء لا يغار الا منكوس القلب » . والمنكوس القلب : هو المنافق الخالص وكان الصحابة الكرام على شاكلته (ص) . ولما عجب الصحابة من زيادة غيرة سعد بن ابى وقاص رضى الله عنه الذى كان يحدث نفسه : انه ما رأى أحداً يكلم زوجته الا هم بقطع عنقه . ولما عجب الصحابة منه قال لهم رسول الله (ص) : « أتعجبون من غيرة سعد ؟ انه لغيور ، وأنا أغير منه ، والله أغير منى » .

وروى أن سيدنا علي كرم الله وجهه بلغت به الغيرة الى حد عظيم حتى قيل إنه رضى الله عنه رأى المسواك فى يد زوجته فاطمة رضى الله عنها تستاك به اتباعاً للسنة فقيل إنه خاطب المسواك فقال له :

أحظيت يا عود الأراك بثغرها ما خفت يا عود الأراك أراكا
لو كنت من أهل القتال قتلتك ما فاز منى يا سواك سواكا

وروى أن سيدنا الحسن رضى الله عنه قال : أتدعون نساءكم يزاحمن

العلوج فى الاسواق ؟ قبح الله من لا يغار .

وروى عن الامام الرفاعى رحمه الله أنه قال فى الغيرة على زوجته .

أغار عليها من أبيها وأمها ومن كل مَن يرنوا اليها وينظر

وأحذر من أخذ المراة بكفها لكى لاترى منها الذى أنا أنظر

وهذا حال من يخشى العار وقد كانوا يخشون ويحفظون الجوار حتى قال عنترة الجاهلي :

وأغض طرفى إن بدت لى جارتى حتى يوارى جارتى مأواها

إنى إمرؤ سمح الخليقة ماجد لا أتبع النفس اللجوج هواها

قالوا هذا حينما عرفوا أن النظرة بريد الزنا ، فكيف بالاختلاط والامتزاج والرسول (ص) يقول « ماتركت بعدى فِتْنَةً أضر على الرجال من النساء » ويقول صلوات الله وسلامه عليه : ويل للرجال من النساء وويل للنساء من الرجال » .

والله سبحانه وتعالى رفع قدر المرأة عالياً ، فى الخافقين فخص لها سورة فى القرآن سميت بسورة النساء .

وسمع شكوى امرأة من فوق سبع سماوات وأنزل فيها قرآناً مجيداً وحكماً حميداً وقال : قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها وتشتكى الى الله والله يسمع تحاوركما ان الله سميع بصير) .

فلتتق الله المرأة الجديدة ولتعلم بأنها لا عصمة لها إلا باتباع الاسلام . وانها اذا خرجت عن حدود هذه الشريعة التى كفلت لها حريتها وسعادتها ومجدها فى الدارين فسوف يصيبها غضب من الله وذلة . وإن هى اتبعت رضوان الله واهتدت بهدى الاسلام واقتدت بأمهات المؤمنين فقد استحقت التمجيد والاحترام وفازت بالسعادة الدائمة والخير العميم .

سدد الله خطى نسائنا المؤمنات وصانهن من عبث الافكار المخنثة الهدامة لكيان الفضيلة والمجتمع وحفظهن من الوحوش البشرية المفترسة التى تشرد القطيع لتحظى بالفريسة المسكينة الشاردة ووفقنا جميعاً لاقامة حكم الاسلام وتطبيق عدل الاسلام وسماحة الاسلام والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

دعوة اسلامية الى الزواج

نعم الآله على العباد كثيرة ، وإن عدها الانسان فسوف لا يحصيها عداً ومن نعمه تعالى أن خلق لنا من أنفسنا أزواجاً لنسكن اليها ولتطمئن لها نفوسنا وتهدأ .وجعل بيننا و بينهن مودة ورحمـــة فضلا منه تعالى ونعمة والله ذو الفضل العظيم .

والزوجة الصالحة تجعل حياة الرجل سعيدة هنيئة طيبة ينبعث منها البشر والسرور وتسير فيها النشوة ويشع منها الحبور وتمتلىء بالحيوية والنشاط . بل هى ريحانة الحياة وزهرة الدنيا النظرة البهجة . خلقها الله لتحمل أجمل المعانى لذلك الرجل ولتسير الى جانبه تحمل وإياه عناصر البقاء ومادة الحياة ولتسير معه بالحياة الدنيا قدماً الى الامام متعاونين متكاتفين متفاهمين متحابين لا ينيا عن العمل ولا يتأخرا عن ركب الحياة الذى يدفعانه فى بحرها اللجى المتلاطم الامواج ، فلهذا خلقت المرأة ولم تخلق لتكون متاعاً رخيصاً يباع و يشترى فى أسواق الرذائل وشوارع المو بقات وطرق الدناءة والخسة والمهانة .

والمرأة مخلوق نصف شريف يكمل شـــرفه ويتم بنصفه الثـانى المتمم له وهو الرجل .

وقد دعا الاسلام دعوات حارة فى سبيل الجمع الشريف الطاهر بين الرجل والمرأة ليكمل باجتماعهما شرفهما ودينهما واذا استكملا هـــذين الامرين فقد استكملا أسباب الخير كلها .

دعا الاسلام الى الزواج ورغب فيه وحث الناس عليه وحذرهم من عواقب

العزوف عنه وأمرهم بالنكاح أمراً قاطعاً فقال تعالى : (وانكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم) .

وجعل الزوجة والزواج آية من آياته تعالى وقرن هذا ببيان الحكمة من الزواج وهى : السكون الى الزوجة والحب المتبادل والرحمة والتعاطف بينهما فقال تعالى : « ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون » .

وخاطب رسول الله (ص) الشباب ودعاهم الى النكاح إذا ما تمكنوا من مؤونته وان لم يتمكنوا فعليهم بالصوم فانه يكبح جماح الانفس ويذلها ويصدها عن كل ما قد يوقعها فى مهاوى الفساد . فقد ورد عن عبدالله بن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله (ص) : (يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فانه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وِجاء » .

وحذر الموسرين من عدم النكاح وأخرجهم من حضيرته (ص) إن هم لم يأتمروا بأمره فقال عليه الصلاة والسلام : (من كان موسراً لأن ينكح ثم لم ينكح فليس منى) وقال (ص) « أربع من أعطيهن فقد أعطى خير الدنيا والآخرة . ، قلباً شاكراً ، ولساناً ذاكراً ، وبدناً على البلاء صابراً ، وزوجة لا تبغيه حوباً فى نفسها وماله » وقال الرسول الاكرم عليه صلوات الله وسلامه : (إذا تزوج العبد فقد أستكمل نصف الدين فليتق الله فى النصف الباقى) .

والرسول الكريم كثير من الاحاديث الداعية الى الزواج اذ الزواج سنة من سنن الرسول العظيم فلا رهبانية فى الاسلام وقد تصور بعض الصحابة الكرام ان فى ترك الزواج قربة الى الله تعالى فرد الرسول صلى الله عليه

وسلم هذا التصور وأبطل هـذا الزعم وجعل الزواج من سنته وان من خرج عن سنته فليس منه (ص) .

ورد عن أنس ابن مالك (رض) قال : جاء رهط الى بيوت أزواج النبي (ص) يسألون عن عبادة النبي (ص) فلما أخبروا كأنهم تقالوها فقالوا وأين نحن من النبي (ص) وقد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر . قال أحدهم أما أنا فأصلي الليل ابداً وقال آخر أنا أصوم الدهر ولا أفطر وقال آخر وأنا اعتزل النساء فلا أتزوج أبداً فجاء رسول الله (ص) فقال (انتم القوم الذين قلتم كذا وكذا ؟ أما والله انى لاخشاكم لله وأتقاكم له لـكنى أصوم وأفطر وأصلى وأرقد وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتى فليس منى) البخارى

فمن حاد عن سـنة أبى القـاسم ورغب عنهـا فليس له معـه من نصيب .

وقد حاد عن هذه السنة اليوم خلق كثير وإننا لنجد بين من حادوا عن الزواج حادوا عنه وهم كارهون .

فما العلة يا ترى لهذا الصدود عن سنة خير الوجود محمـد (ص) ؟ العلة فى ذلك هى ماترى من جاهلية جهلاء بين طبقات كثير من المسلمين وعصبية نكراء وعادات ماانزل الله بها من سلطان وهى والاسلام يتناقضان ويتضادان فالاسلام جاء بالتيسير فى كل شىء وأمر أهله بالتيسير ولـكن اهله اليوم ضيقوه وشددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم والاسلام يدعوهم الى البساطة والتخفيف وهم يستبدلون الذى هو أدنى بالذى هو خير فيدعون الى الفخفخة الـكاذبة الزائلة والبهرج الخلاب ويحملون أنفسهم ما لا تحتمله من عادات باطلة قضت على الدين وقضت على الآداب والاخلاق ونشرت الفوضى بين الناس وعطلت الشباب عن الزواج وقعدت بالفتيات فى البيوت فطفح الـكيل وخرجن من خدورهن - إلا من

رحم الله ـ وسار الشباب سيرة الطيش منقادين لشهواتهم لا يلوون على شيء ولا يردعهم رادع من دين أو خلق أو تربية كل ذلك على مرأى ومسمع من الآباء والامهات أولئك الذين غضب الله عليهم فأصمهم وأعمى أبصارهم وتركهم مستعبدين مستذلين لعادات دخيلة عليهم بعيدة عن دينهم لا يقرها دين ولا يؤيدها عقل ولا يستسيغها منطق .

أيها الآباء انتم المسؤولون المباشرون عن بنيكم و بناتكم فاتقوا الله فيهم وفيهن وزوجوا من استحق الزواج ولا تعطلوا سنة الاسلام ولا تشترطوا شروطاً ليست من الاسلام فكل شرط ليس من الدين فهو رد فى وجه صاحبه .

إن الإسلام زوج بخاتم من حديد و بآيات من القرآن الكريم فما بالكم عنه تنكصون وتشترطون المئات بل الآلاف من الدنانير وتطلبون فوق ذلك الرتب والمناصب .

أيها الآباء إن كنتم مؤمنين فعليكم بسنة أسوة المؤمنين و إذا جاءكم من ترضون دينه وأمانته فزوجوه الا تفعلوه تكن فتنة فى الارض وفساد كبير .

واسمعوا الرسول (ص) حين زوج الصحابى الجليل بتلك المرأة التى وهبت نفسها للنبى وأنظروا الى المهر الذى زوج المرأة عليه .

(فقد ورد عن سهل بن سعد الساعدى رضى الله عنه قال : جاءت امرأة الى رسول الله (س) فقالت يا رسول الله جئت أهب لك نفسى فنظر اليها رسول الله (ص) فصعد النظر فيها وصوبه ثم طأطأ رأسه فلما رأت المرأة انه لم يقض فيها شيئاً جلست فقام رجل من الصحابة فقال : يا رسول الله إن لم يكن لك بها حاجة فزوجنيها فقال . فهل عندك من شيء . فقال لا والله

يا رسول الله قال : اذهب الى أهلك فأنظر هل تجد شيئاً ؟ فذهب ثم رجع فقال لا والله ماوجدت شيئاً فقال رسول (ص) : انظر ولو خاتماً من حديد فذهب ثم رجع فقال لا والله يارسول ولا خاتم من حديد ولكن هذا إزارى) قال سهل بن سعد الراوى ماله رداء فلها نصفه فقال رسول الله (ص) : ماتصنع بازارك ؟ إن لبسته لم يكن عليها منه شيء وإن لبسته لم يكن عليك منه شيء . فجلس الرجل حتى إذا طال مجلسه قام فرآه رسول الله (ص) مولياً فأمر به فدعى به فلما جاء قال : ماذا معك من القرآن ؟ قال سورة كذا وسورة كذا عددها فقال تقرؤهن عن ظهر قلبك ؟ قال نعم ، قال : فاذهب فقد ملكتكها بما معك من القرآن . وفى رواية قال : (انطلق فقد زوجتكها فعلمها من القرآن) متفق عليه .

هذه شرعة الاسلام وهذه سنة الرسول فأين أنتم منه يا من جنيتم على فتياتكم فأجلستموهن فى البيوت حتى كبرت سنهن وتعطلن عن أعظم شيء فى الحياة وهو الزواج كل ذلك باشتراطكم الشروط الباطلة واتباعكم للعادات البالية المهلكة .

أيها الآباء لا تكرهوا فتياتكم على البغاء إن أردن تحصناً فالبنت التى تمنع من الزواج وتخرج عن طورها فانتم الذين اكرهتموها على الخروج وانتم المسؤولون عنها . وقد كان من قبلنا يفتشون لبناتهم عن الازواج كما يفتشون لبنيهم عن الزوجات . وانتم حرمتم ما أحل الله باختراعكم البدع والضلالات التى غطت على الدين فى كل مظهر من مظاهره .

وانتن ايتها الامهات : ما لكن بعيدات عن حضيرة الاسلام وما هذا الاعتناء بالمظاهر الكاذبة التى عضضتن عليها بالنواجذ ونسيتن كل ما شرع الله لكن من هدى ونور وحكمة ورشاد . وأعلمن أيتها الامهات ان لا سعادة لبناتكن الا بالازواج والازواج كثيرون والبنات كثيرات ولكن

الشروط الثقيلة القاسية التى ابتدعتموها وفرضتموها على الناس هى التى قعدت بالناس وأخرتهم عن الزواج وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة فى النار .

ماذا يفعل الموظف أو العامل أو البائع أو الصانع الذى لا يزيد دخله الشهرى عن عشرة دنانير وهى لا تكفيه لقوت شهره ومن اين يجمع لكن المئات من الدنانير اذا أراد الزواج لتصرفها فى كل كمالى باطل وكل عرض زائل . وماذا ستكون النتيجة بالنسبة لبناتكن ولهؤلاء الشباب ؟ ألا تتفقن معى على القول بأن العاقبة وخيمة والنتيجة سيئة وهى عطل البنات عن الزواج ذلك العطل الذى قد يؤدى الى خروجهن عن طورهن ودخولهن فى عماية السفاهة والضلالة والفجور .

وتعطيل الشباب الذى يؤدى الى فجورهم وفسوقهم وحرمانهم من نعمة قيادة الاسرة ونعمة الولد والعقب . ويجر هذا الحال الى قلة النسل وانحلال الأمة وقد شاهدنا بوادر ذلك ونشاهده كل يوم ونحن نعلم الداء وبأيدينا الدواء ولكن التعصب للعادات الجاهلية أعمانا ومدنية أوربا أضلتنا وسلبت منا العقول فاضعنا الطريق فنحن اليوم أشبه بقوم تاهوا فى بيداء الجهالة فلا يدرون الى اين هم سائرون .

أفيقوا أيها الناس من غفلتكم وارجعوا الى دينكم واشيعوا فكرة الزواج بينكم على الطريقة الاسلامية وزوجوا الشباب وإن يكونوا فقراء فسوف يغنيهم الله من فضله . وسعادة المرأة بزواجها ونومها على الحصير وتبلغها وبخبز الشعير مع زوجها خير وأحب لها الف مرة من الفراش الوثير والوان الطعام والشراب فى بيت أبيها أو أخيها أو أمها هذه صرخة اسلاميه خالصة لوجه الله تعالى أدعوكم بها لتنشروا الزواج بينكم وتتركوا العادات الباطلة فقد كفانا ما لقينا من ويلاتها وفتشوا عن الدين والخلق قبل أن تفتشوا عن المال والجاه

فكم من غنى موسر شرس قد أشقى زوجته وجعلها فى جحيم وسعير وكم من فقير قد أسعد زوجته وجعلها فى جنة ونعيم .

وكم من غنى تزوج بأبهى الحلل ثم بعد قليل أصبح من أفقر البشر .

وكم من فقير تزوج وهو لا يملك إلا نفسه وزجه وبعد فترة من الزمن صار من كبار الاغنياء .

فالمال والجاه والمناصب أعراض زائلة وسراب خداع .

والدين والخلق جوهران باقيان يصحبان المرء الى رمسه ويبقيان ما بقى فيه لسان ناطق وقلب خافق . فاتقوا الله أيها الناس وسارعوا الى اجابة ما دعوتكم اليه وهو ما دعاكم اليه الاسلام وحثكم عليه ورغبكم فيه ألا وهو الزواج الشرعى فطيبوا به نفساً وارعوا فيهِ حق الدين وحق الابناء والبنات لعلكم تفلحون هدانا الله جميعاً لأقوم السبل ووفقنا الى مرضاته إنه نعم المولى ونعم النصير والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

الى الرجال المؤمنين ..

تحدثت اليكم قبل هذا عن الزواج ودعوتكم اليه دعوة إسلامية صادقة ورجوت الله أن يأخذ بأيدينا جميعاً لتحقيق هذه الدعوة فعساه تعالى يوفقنا لأن نستجيب إذا مادعينا لما يحيينا . وإنها لذكرى والذكرى تنفع المؤمنين ، وتذكر المستبصرين ، وتشجع العاملين ، وتزيدهم إيماناً على إيمانهم ونشاطاً ، مع نشاطهم .

ووددت اليوم أن أخاطب الرجال المؤمنين بعد أن استجابوا للدعوة واتبعوا سنة الرسول الاعظم ، فتزوجوا واستحلوا الدخول بالنساء بما أحل الله لهم وكونوا بهذا الدخول الاسرة الاسلامية التى تعد بحق اللبنة الاولى فى بناء الجسم الاسلامى الاكبر بل هى حجر الزاوية فى هذا البناء الضخم .

وأنت أيها الزوج المؤمن القائد لهذه الاسرة والقائم عليها والمسؤول عنها فأنت إذاً قائد الامة وعلى مجهودك فى إصلاح اسرتك ، والاحسان اليها ، وتربيتها ، وتهذيبها ، واشباعها بالروح الاسلامى يبنى مجد أمتك ، وتؤسس بنيان نهضتها وعزتها .

وهذه المرأة التى دخلت بها إنما هى وديعة أبويها عندك ، بل وديعة الله بين يديك ، فارع حق والديها وحق الله فيها ، ولا تشطط .

واعلم ان الله خلقها لتكون لك ردءً وناصراً وعوناً حاضراً ، وأعطاها من الحقوق ما أعطاك فلا تأخذما ليس لك ولاتمنعها ماهو لها ، وعاشرها معاشرة الاخيار للاخيار ، والطيبين للطيبات ، ولا تمسكها ضراراً لتعتدى عليها ، فانك إن فعلت فقد ظلمت نفسك وخالفت أمر ربك ، وعصيت أمر المقتدر عليك .

فاسمع لأمره تعالى . إذ أمرك بمعاشرة امرأتك بالمعروف فقال (وعاشروهن بالمعروف فان كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً) .

وأمسكها عندك إذا ما أردت تركها بمعروف وإذا سرحتها فسرحها بمعروف وعاملها بالمعاملة التى تحب أن تعاملك بها . قال تعالى : (فامسكوهن بمعروف أو سرحوهن بمعروف ولا تمسكوهن ضراراً لتعتدوا ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه) .

وإعلم ان الاسلام قد رفع من شأن المرأة . وأحلها المحل اللائق بها فاعزها بعد أن كانت ذليلة ، وورثها بعد أن كانت محرومة ، وعلمها بعد أن كانت جاهلة ، ورفع عنها الظلم الذى كان يلحقها من الرجال . وجعل خيار الرجال فى الاسلام خيارهم لنسائهم . وشرارهم — بالضرورة — شرارهم لنسائهم

وقد سما الاسلام وارتفع بالمرأة سمواً وارتفاعاً لم يعهدا من قبل فى أمة من الامم ، ولا فى دين من الاديان ، فجعل للمرأة على الرجل من الحقوق مثل ما جعل للرجل على الرأة من حقوق .

إلا أنه حفظاً للتوازن ، وصوناً للنظام وبعداً عن الفوضى والاضطراب فى التنظيم الاجتماعى جعل الرئاسة والقيادة للرجل وهذه هى الدرجة التى فضل الرجل فيها على المرأة . والعقل والمنطق يقران الاسلام على هذا المبدأ ولا يتناقضان معه كما ان العلم الحديث والحوادث التاريخية والتجارب فى مختلف الامم دلت على بعد نظر الرجل وحسن قيادته وسياسته وكياسته .

قال تعالى فى بيان الحقوق بين الرجال والنساء « ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة والله عزيز حكيم » .

فلا يتيهن الرجل بهذه الدرجة ويأخذ الغرور منه ماخذه فيعميه عن طريق

الصواب و يضله عن طريق الاسلام فيسقط فى مهاوى الظلم والطغيان و يتصور أن المرأة مخلوق ضعيف خلق ليسخر لخدمته ومتاعه وهو يتصرف فيه كيفما يشاء كما نشاهد ذلك من بعض أغرار الرجال وجهالهم ! !

والرجل المؤمن إنما اسوته وقدوته فى كل أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وها هو ذا الرسول الامين يبين لنا أنه كان خير الناس لأهله حُسْنَ خلق . وطيب معاملة ولين جانب . وجميل خصال ، قال عليه الصلاة والسلام « خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلى » .

فالى الرجال المؤمنين أوجه خطابى هذا وأوصيهم بنسائهم خيراً عملا بوصايا رسول الله الكريم بهن حيث قال : (واستوصوا بالنساء خيراً) .

فلا تتصور أيها الرجل المؤمن أن الاسلام يبيح لك أن تظلم أحداً من الناس ولو كانوا ممن لايدينون بدينك فضلا عن شريكة حياتك . وأم أولادك . ورفيقة حياتك . وسيدة بيتك . وصاحبتك فى السراء والضراء . التى تحزن لحزنك، وتفرح لأفراحك . وتتحمل و إياك أعباء الحياة الدنيا بأفراحها وأتراحها وخيرها وشرها ، وحلوها ومرها .

وهى سكنك الذى تأوى اليه لترتاح بعد التعب ، وتسكن بعد النصب . وجعل بينك و بينها مودة و رحمة . وأمرك أن تطعمها اذا طعمت ، وتكسوها إذا اكتسيت وتدخل عليها البهجة و السرور والغبطة والحبور . ونهاك الاسلام عن كل مايسيئها و يدمى فؤادها . أو يدمع عينها ونهاك عن ضربها بغير الحق كما نهاك عن ضرب وجهها بحق أو بغير حق، ومنعك من تقبيحها و هجرها إلا فى المبيت . ونهاك عن عضلها وامساكها بغير الحق .

حدثنا معاوية بن حَيْدَةَ رضى الله عنه قال : قلت يا رسول الله ما حق زوجة أحدنا عليه ؟ قال : « أن تطعمها اذا طعمت وتكسوها اذا اكتسيت

ولا تضرب الوجه ولا تقبح ولا تهجر إلا فى المبيت » رواه أبو داؤد .

وأعلم أيها المؤمن إن أذى المرأة بغير ما اكتسبت شىء عظيم ، فلاتقترف هـذا الاثم وحاذر أن تكون من الذين احتملوا بهـذا الاذى بهتاناً و إثماً مبيناً .

قال تعالى : « والذين يؤذون المؤمنين و المؤمنات بغير ما أكتسبوا فقد احتملوا بهتاناً و إثماً مبيناً » .

وإذا مارأيت فى زوجتك ما يسيئك فلاتبتئس منها ولا تيأس من اصلاحها بل اتبع معها سبيل المعروف ، وأنصحها وحاول اصلاحها ما استطعت ، واذا أمرت بمعروف ، فليكن أمرك بالمعروف ، بالمعروف ايضاً واعلم انك لن تستطيع أن تغير ما جبلت عليه ، فلا تحـاول عبثاً ، ولا تطلب مستحيلا . ولـكن سر معها بالسكينة والهدوء واستوصى بها خيراً كما أمرك بذلك رسول الله (ص) حيث قال فى ما ورد عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله (ص) : استوصوا بالنساء خيراً فان المرأة خلقت من ضلع أعوج وان أعوج ما فى الضلع أعـلاه . فاذا ذهبت تقيمه كسرته . فان تركته لم يزل أعوج فاستوصوا بالنساء خيراً » (رواه البخارى ومسلم .

أوصانا رسول الله بالنساء خيراً ، و بين لنا فى حديث آخر اننا إن كرهنا منهن خصلة وخلقاً . رضينا عنهن خصالا اخرى غيرها . فقال (ص) (لا يَفْرَك (يبغض) مؤمن مؤمنة . ان كره منها خلقاً رضى منها آخر . أو قال غيره) مسلم .

فالرسول الـكريم الذى كان بالمؤمنين والمؤمنات رحيماً وجهنا الى الاحسان الى المرأة . ووضعها فى مصافنـا ولم يترك سبيلا من سـبل الوصـاية بها و الاحسان اليها إلا سلـكه ، وأوصانا نحن المسلمين أن نسلـكه ونقتفى أثره

فيه . وكان آخر عهده صلى الله عليه وسلم بالحياة الدنيا تلك الخطبة الاجتماعية العصماء التى خطبها فى حجة الوداع ولم ينس جانب المرأة وحاشاه أن ينساها وهى نصف المجتمع الاسلامى فأوصى بها وأوصى عليها وبين مالها وما عليها فقد ورد عن عمرو بن الاحوص الجشمى رضى الله عنه أنه سمع النبى صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع يقول : بعد أن حمد الله تعالى وأثنى عليه وذكر ووعظ ثم قال: « الا واستوصوا بالنساء فانما هن عوان عندكم ليس تملكون منهن شيئاً غير ذلك إلا أن يأتين بفاحشة مبينة فان فعلن فاهجروهن فى المضاجع واضربوهن ضرباً غير مبرح فان أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا . إلا أن لكم على نسائكم حقاً . ولنسائكم عليكم حقاً فحقكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم من تكرهون . ولا يأذن فى بيوتكم لمن تكرهون الا وحقهن عليكم أن تحسنوا اليهن فى كسوتهن وطعامهن » . رواه الترمذى .

هذه آخر وصية يقدمها رسول الله (ص) للمؤمنين فمن اتبعها وعمل بما فيها فقد فاز وقدر له أن يعيش فى داره سعيداً معافى وأن يسعد معه أهله وبيته ومن ترك أمر الرسول صلوات الله وسلامه عليه وأهمل وصيته ، فليأذن بشقاء مقيم وعذاب دائم لا يفارقه ، وأشقى معه أهله و بيته ، هدانا الله ووفقنا جميعاً لاقتفاء أثر الرسول فى كل ما يقول ويفعل والحمد لله رب العالمين .

الى النساء المؤمنات ...

بالأمس خاطبت الرجال المؤمنين وحثثتهم على اتباع سنة الرسول الأكرم صلى الله عليه وسلم فى معاملة النساء ، إذ أوصى بهن خيراً ، ورفع منزلتهن . واكرمهن ونعمهن ، ونقلت لهم بعض الأحاديث والوصايا الاسلامية بالنساء ، واليوم وددت أن أخاطب النساء المؤمنات ، وأوصيهن بوصية الاسلام ، فان الدين الإسلامى الحنيف نظم الأسرة وربطها برباط من المحبة والاحترام وثيق ، فاوصى الرجال بالنساء وأوصى النساء بالرجال . وإتباع هذه الوصايا كفيل بجلب السعادة والرخاء ، وبعث التوادد والهناء ، وعماد هذه السعادة وركنها أنتن أيتها المؤمنات . وبوسعكن أن تجعلن من بيوتكن جنات معروشات . إن كنتن مؤمنات صالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله ، وان هذا الصلاح ليدعوكن لرعى وحفظ حقوق أزواجكن وهى عظيمة وجليلة . أقامت الرجال بمقام التقديس والعبادة لو أن العبادة صحت لبشر . والمرأة التى تفرط فى شىء من حقوق زوجها تحرم حلاوة الايمان ، وتلعنها ملائكة الرحمن ، وتلقى الله وهو عليها غضبان ، إذا استمرت على هذا العصيان . روى الحاكم من حديث معاذ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لو أمرت أحداً أن يسجد لأحدٍ لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها من عظم حقه عليها ولا تجد امرأة حلاوة الايمان حتى تؤدى حق زوجها

ولو سألها نفسها وهى على ظهر قتب[1] » .

وفى حديث أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا دعا الرجل امرأته لفراشه فلم تأته فبات غضباناً عليها لعنتها الملائكة حتى تصبح » البخارى ومسلم .

فيا أيتها النساء المؤمنات اتقين الله فى أزواجكن واذكرن ما يتلى عليكن من الكتاب والحكمة ، وأعلمن أنكن مسؤولات عن كل ما تفرطن فيه من حقوق أزواجكن ، وبيوتكن ، وأولادكن ، ولا تقل مسؤولياتكن عن مسؤوليات الرجال . فهم رعاة ومسؤولون عن رعيتهم . وانتن راعيات فى بيوتكن ومسؤلات عن رعيتكن ، فالله ، الله فى الرعية .

وأعلمن أن لأزواجكن عليكن السمع والطاعة فيما ليس فيه معصية فانه لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق . ولهم عليكن ألا تخرجن من البيوت إلا باذنهم . فان خرجتن بغير إذنهم لعنكن الله والملائكة حتى تَتُبْنَ أو ترجعن. ولا تعطين شيئاً من مال أو متاع من بيوتهم إلا باذنهم وإلا كان لهم الأجر وعليكن الوزر .

ولا تدخلن فى البيوت من لا يرغبون فيه ، وتجنبن الخيانة فى النفس والمال ، وكن قانعات منهم بما قسم الله قل أو كثر قائمات بخدمة الأولاد واصلاح البيت بالمعروف كاتمات للاسرار خاشعات عابدات طائعات مخلصات. وعسى أن تكن من خير النساء وقد ورد فى صفة خير النساء ما رواه ابن جرير والبيهقى من حديث أبى هريرة رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال: « خير النساء التى إذا نظرت اليك سرتك ، وإذا أمرتها أطاعتك وإذا غبت

---

(١) الأكاف الصغير الذى يوضع على سنام البعير .

عنها حفظتك فى مالك ونفسها وقرأ صلى الله عليه وسلم قوله تعالى: فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله »

يا معشر النساء المؤمنات إن الأزواج نعمة من الله عليكن فلا تكفرن النعم . وان الاسلام قد قضى بان يكون لكل امرأة كافل شرعى ، يكفيها كل ما يهمها لتكون بنتاً مكرمة ، أو زوجا صالحة ، فأما مربية ، فجدة محترمة معظمة ، ومن حرمت الزوجية أو الأمومة فقد حرمت خيراً كثيراً ، وكفر النعم يزيلها ، والشكر يديمها ، فمن كفرت بحق الزوج وشرعيته عاقبها الله بحرمانه ، فذاقت وبال أمرها وكان عاقبة أمرها خسراً .

يا معشر النساء المؤمنات المتعلمات خاصة إن شكاة الأزواج قد كثرت منكن فعزف عنكن الكثير ورغب فيكن القليل فكأن الثقافة التافهة أطغتكن ، فابعدتكن عن شرعة الاسلام النيرة . وكان المفروض عكس هذا ، فان الثقافة وسيلة للاصلاح لا للافساد ، وإن العلم نور وليس بظلام ، وهداية ورشاد ، وليس بغواية وفساد ، وإذا أردتن خيراً لأنفسكن ولدينكم وبلادكن فعدن إلى التعاليم الاسلامية وأخلعن ثوب التقاليد الغربية الدخيلة وما انطوت عليه من سوء وخبث وعبث .

ولا تجعلن للشيطان عليكن سبيلا . فان كان له عليكن سبيل كنتن من حطب جهنم . وإن اكثر أهل النار من النساء . وقد عَلَّلَ ذلك رسولنا الأكرم صلى الله عليه وسلم بانكن تكثرن الشكاة وان كنتن فى بحبوحة النعيم ، وتكفرن العشير « الزوج » وان اغرقكن بالاحسان . وان قيادة كثير من البيوت اليوم أصبحت بأيدى النساء ، فهل رعين حق الله فى بيوت ازواجهن ؟ أم ان الزمام قد انفلت منهن ومن الرجال معاً !؟.

وهل تستطعن أن تطبقن تلك الوصية العربية الخالدة وانتن فى عصر

النور وهى صادرة فى عصر البداوة والبساطة من امرأة بسيطة أرادت لابنتها الرفاه والسعادة ، والعزة والكرامة ، فاوصتها بهذه الوصية ليلة زفافها واليكن هذه الوصية فعسى أن تكون لكن ذخراً وعونا .

لما تزوج الحارث بن عمرو ملك كندة إبنة عوف بن محلم الشيبانى وأرادوا أن يحملوها إلى زوجها ليلة الزفاف قالت لها أمها :

أى بُنَيَّة : إن الوصية لو تُرِكَتْ لفضل أدب تركت لذلك منك ، ولكنها تذكرة للغافل ، ومعونة للعاقل ، ولو أن إمرأة استغنت عن الزوج لغنى أبويها ، وشدة حاجتهما اليها لكنت أغنى الناس عنه ، ولكن النساء للرجال خلقن ، ولهن خلق الرجال ، أى بنية : انك فارقت الجو الذى منه خرجت ، وخَلَفْتِ العُشَّ الذى فيه درجت ، الى وكرٍ لم تعرفيه ، وقرين لم تألفيه ، فاصبح بملكه عليك رقيباً ومايكاً ، فكونى له أمةً ، يكن لك عبداً وشيكاً . يا بنية : إحملي عنى عَشْرَ خصال تكن لك ذخراً ، الصحبة بالقناعة ، والمعاشرة بحسن السمع والطاعة ، والتعهد لموقع عينه ، والتفقد لموضع أنفه ، فلا تقع عينه منك على قبيح ، ولا يشم منك إلا طيب ريح ، والكحل احسن الحسن ، والماء اطيب الطيب المفقود ، والتعهد لوقت طعامه ، والهدوء عنه عند منامه . فان حرارة الجوع مَلْهبَةٌ وتنغيص النوم مبغضة ، والاحتفاظ ببيته ، وماله ، والإرعاء على نفسه ، وحشمه ، وعياله . فان الاحتفاظ بالمال حسن التقدير ، والارعاء على العيال والحشم جميل حسن التدبير ، ولا تفشى له سراً ، ولا تعصى له أمراً . فانك إن أفشيت سره لم تأمنى غدره ، وإن عصيت أمره أوغرت صدره . ثم اتقي مع ذلك الفرح ان كان ترحا ، والاكتئاب عنده إن كان فرحا . فان الخصلة الأولى من التقصير ، والثانية من التكدير ، وكونى أشد ما تكونين له اعظاما ، يكن أشد ما يكون لك اكراما ، وأشد

ما تكونين له موافقة ، يكن أطول ما تكونين له مرافقة . واعلمى انك لا تصلين الى ما تحبين ، حتى تؤثرى رضاه على رضاك ، وهواه على هواك فيما أحببت وكرهت والله يخير لك . »

وزفت هذه الفتاة البدوية فاطاعت وصية امها فحملت فسلمت اليه فعظم موقعها منه وولدت له الملوك السبعة الذين ملكوا اليمن من بعده .

تَمَعَّنَّ أيتها المؤمنات بهذه الوصية الجليلة ولو كتبتها كل امرأة فوق رأسها وطبقتها حرفا حرفا، لسُعِدتْ النساء والرجال واستقرت العوائل والبيوت وما فشا فيها الخصام الذى نكاد نراه فى كل بيت . خاصة فى البيوت التى تجتمع فيها الأم والزوجة . فما أشقى تلك البيوت إن وقعت تحت سطوة أمهات جاهلات ونساء غير حكيمات ولا صابرات فالويل للزوج من الخصومات .

وحاشا للمؤمنات أن يجلبن الشقاء إلى البيوت ، فاحذرن أيتها المؤمنات الشقاق بين العائلات وكن فى حلم ورزانة وحكمة يؤتكن الله أجوركن ويغفر لكن ذنوبكن ويجعل الهناء والرخاء فى بيوتكن مادمتن على هذه الاخلاق . هدانا الله لأحسن الأخلاق ورزقنا الحلم والعلم والايمان الكامل والحمد لله رب العالمين ؟

الى النساء ايضاً ...

حديث النساء حديث شهى لكثير من النفوس ، رضى عند اكثر الناس . كما ان بعض النفوس الصغيرة تعافه وتنبوا أسماعها عنه . والمرأة التى تحتل الشطر الحيوى من المجتمع الانسانى ، جديرة بالعناية والرعاية حَرِيَّة بالموعظة والوصاية . إذ بصلاحها يستقيم أمر المجتمع ، كما أن بفسادها تنحل رابطه و يسير إلى الهاوية بخطى حثيثة فهل علمت المرأة مركزها هذا ، وهل عرف الرجال لها هذا المقام ؟

أما الإسلام فانه قد عرف للمرأة هذه المكانة فأحلها إياها ، وبوأها العرش الذى يصلح لها وتصلح له ، وقد سلك الاسلام فى طريق اصلاحها كل سبيل ، وأرادها عنصراً متيناً قويا فى بناء الهيكل الاسلامى العتيد . أرادها الاسلام ان تكون جوهرة مصونة ، آمنة مأمونة ، حيية وقورة ، حليمة رزينة ، وأراد منها أن تكون مثالاً صالحاً للبنت الخفرة المؤمنة ، والزوجة الطيعة المسلمة والجدة الصادقة المحترمة .

وأن يكون الخلق الاسلامى الرصين رائدها فى بيتها ، ومع زوجها وأولادها ، وفى طريقها إذا سارت ، وعند صاحباتها إذا جلست ، وفى معاملاتها إذا تعاملت بل اينما حلت ، وحيثما نزلت ، مهابة الاسلام تعلوها ، واخلاقه وسجاياه تصحبها ، وتزينها ، وتحليها .

فهل علمت أيتها المرأة فضل الاسلام عليك ؟ وهل رأيت رفعته لشأنك واهتمامه بأمرك ؟ وهل قرأت أو سمعت ما كانت عليه المرأة المسلمة قبل اليوم

وشاهدت ونظرت ما وصلت اليه المرأة اليوم . وقارنت بين تلك الحالة وهذه ورأيت البون البعيد بينهما ؟

وهل علمت ان الاسلام لم يطلب منك إلا ما فيه صونك ، وعفافك ، وخيرك ، وصلاحك ، وسعادتك ، ورخاؤك ، فى دنياك وآخرتك معاً ؟

واذا علمت هذا فهل بادرت لإجابة الإسلام الى ما طلب منك حتى تَصِلي إلى ما تعهد به اليك من هذه الأمور المبهجة المنجية من عذاب الله ومن الخزى فى الدنيا والآخرة ؟.

وهل سمعت أمر الله لنسوة نبيه الكريم أمهات المؤمنين رضى الله عنهن جميعاً إذ يقول الله تبارك وتعالى لهن : « وَقَرْنَ فى بيوتكن ولا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الجاهلية الأولى وأقمن الصلاة وآتين الزكاة وأطعن الله ورسوله إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا » الأحزاب

فهل اقتديت بصفوة نساء الدنيا وكنت من ربات الخدور ، فوقرت فى بيتك ، ولم تتبرجى تبرج الجاهلية الأولى، ولا تبرج الأوربية الأخرى. وحافظت على صلاتك وآتيت زكاتك ، وأطعت الله ورسوله ؟

أفعلت كل هذا فكنت من اللواتى رضى الله عنهن وأرضاهن ، أم خالفت أمر ربك وكنت من المتبرجات المنافقات اللائى يئسن من الجنة كما يئس منها الكفار ؟ وغضب الله عليهن ، ولعنهن وأعد لهن عذابا مهيناً .

أيتها المرأة إن الاسلام انما اختار لك البيت قراراً ، والزوج سكناً ، لأنك لهما خُلِقْتِ ، ولتنظيمهما ودفعهما إلى الأمام أُعْدِدْتِ ، فلا تغيرى خلق الله وتنخرطى فى المسلك الذى لا يناسبك ولم تعدى بفطرتك له .

ومنعك الاسلام من التبرج والتخلع ليصونك ، من الأيدى الأثيمة ، وليجعلك عزيزة كريمة .

وأعلمى أن تبرجك وتخلعك ، وخروجك متعطرة متزينة ، وسفورك الخلاعى المكشوف واشتراكك فى الميادين التى هيأت للرجال ، ولم تهيأ لك ، كل هذه معاول لهدمك ، ووسائل لمهانتك . وهدم المجتمع يلى هدمك فمن عندك يبدأ الهدم كما أن من عندك يبدأ البناء والاصلاح .

وسعادتك منوطة باحترام الرجل لك وعزتك عليه ، ولا يحترمك الرجل ولا تكونين عزيزة عنده إلا إذا احترمت نفسك وابتعدت عن مواطن الشبهة ، ومنعت نفسك من أنظار الرجال ، فان المرء حريص على ما منع ، فاذا صنت نفسك وحرصت على الحشمة والوقار ، وابتعدت عن الأنظار حرص عليك الرجال واحبوك واحترموك واسعدوك وهنأوك . وإذا ارخصت نفسك وتبذلت ، امتلأت أعينهم منك ، وهنت عليهم واحتقرت من قبلهم وأمتلأت أنفسهم غيضاً عليك ، فاختارى لنفسك ما تشائين . إما العزة والكرامة ، واما الذلة والمهانة .

وإياك أن تَغْتَرِّى بمؤيدى تَبَذُّلِكِ ومناصرى تخلعك . فانهم يفعلون ذلك لحاجات خبيثة فى انفسهم ، واعلمى انهم أول من يخونك ويغدر بك ، ويبتعد عنك إذا قضوا مآربهم الخبيثة فاياك وأياهم فانهم الخونة الأرجاس فاسمعى لنصح الناصحين الصادقين وأرجعى للدين ، وكونى من المهتدين ولا تكونى من الخاسرين .

وأعلمى انك ان اتبعت الهوى ضللت الطريق ، فَتُهْتِ فى بيداء الغواية وشارفك الشيطان ، وقادك إلى النار والخسران . وأياك أن تكونى من صنف أهل النار وخصوصاً ذلك الصنف الذى غضب الله عليه ، واحتقره رسول الله فلوى عنه ، ولم يلتفت اليه ، فلم يره يوم القيامة وقد انذر رسول الله صلى الله عليه وسلم نساء هذا الزمن من بنات الشوارع ، وقارعات الدروب ،

الكاسيات العاريات ، المائلات المميلات ، اللواتى يظهرن من جسومهن ولحومهن الفتنة ما يخجل من اظهاره أوقح الرجال واخشهم . وأيما لحم هـذا شأنه فالنار أولى به .

وقد ورد عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : صنفان من أهل النار لم أرهما . قوم معهم سياط كأذناب البقر ، يضربون بها الناس . ونساء كاسيات عاريات ، مميلات مائلات ، رؤوسهن كأسنمة [1] البُخْت المائلة ، لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها ، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا . رواه مسلم .

فهذا نذير لكن أيتها النساء المتجددات المتبرجات الخارجات عن حدود الأدب والحياء والدين وما اكثر النذر ولكن أين من تعقل أو تعى .

ولعل خير ما اختم به حديثى هو ذلك الحديث الجليل الذى يصف لنا الحالة التى وصلنا اليها والرسول الأعظم نظر بمنظار الحق فنفذ بصره إلى بعد الأربعة عشر قرناً التى بيننا و بينه صلى الله عليه وسلم فوصف حالتنا ،وطغيان نسائنا ، وتبذل شبابنا وأننا سنرى المعروف منكراً والمنكر معروفا .

وليعلم الرجال أن لهم نصيباً وافراً ، ويداً كبرى ، فى هـذا الطغيان وهذا الشرود وهذا الصدود عن الدين والحياء والأدب فالرجل الذى يقر فى اهله الخبث رجل ديوث والرجل الذى لا يوجه سفينة بيته إلى الاصلاح ، ولا يراقبها من أن تعصف بها الرياح رجل مجرم مخذول والرجل الذى لا يقى نفسه وأهله النار رجل متلبس بالجريمة والعار ، خؤون لنفسه ، غادر لأهله ، مغضب لربه ، غارق بذنبه .

واليكم هذا الحديث الشريف فقد قال رسول الله صل الله عليه وسلم :

(١) اسنمة جمع سنام والبخت الأبل .

« كيف بكم إذا طغى نساؤكم، وفجر شبابكم، وتركتم جهادكم . قالوا وان ذلك لكائن يا رسول الله ؟ قال : نعم والذى نفسى بيده وأشد منه سيكون ،

كيف بكم إذا تركتم الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ؟ قالوا : وان ذلك لكائن يا رسول الله . قال : نعم والذى نفسى بيده وأشد منه سيكون.

كيف بكم إذا رأيتم المعروف منكراً والمنكر معروفا ؟ قالوا : وان ذلك لكائن يا رسول الله ؟ قال : نعم والذى نفسى بيده وأشد منه سيكون .

كيف بكم إذا أمرتم بالمنكر ونهيتم عن المعروف ؟ قالوا : وان ذلك لكائن يا رسول الله قال : نعم والذى نفسى بيده وأشد منه سيكون ، يقول الحق عز وجل بي حلفت لافتنهم فتنة تدع الحليم فيهم حيران » .

أعاذنا الله من الفتن ووفقنا لخير العمل والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ؟

الاسلام وحدة متماسكة ...

الإسلام وحدة متماسكة لا تتجزأ ، وقوة لا تقبل التفرق والانقسام . قواعده ثابتة . واحكامه راسخة . بينة واضحة . واركانه واحكامه كالحلقة المفرغة لا يدرى أين طرفاها . فلا فرق بين ركن وركن ولا بين حكم وحكم . فالصوم والصلاة والحج والزكاة . كلها اركان لهذا الدين الآلهى الخالد . فمن آمن بهذا الدين آمن بهذه الأركان كلها لا يفرق بين احد ومن كفر بهذه الأركان أو بأحدها فقد كفر بها وبالدين الذى جاء بها . هكذا الاسلام وهكذا يجب أن يفهم وهكذا فهمه سلفنا الصالح . فهذا خليفة رسول الله الأول وصاحبه الأمين حينما تولى الخلافة ورأى ان طائفة من الناس امتنعت عن اداء الزكاة مع اعترافها ببقية الأركان الاسلامية وادائها لها قرر محاربة هذه الطائفة ولم يلتفت الى ايمانها ببقية الأركان . وقال واقسم . والله لو منعونى عقال بعير كانوا يؤدونه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لحاربتهم علية . والله لاقاتلن من يفرق بين الصلاة والزكاة . فقد قرر مقاتلة من فرق بين الصلاة والزكاة لأن من فرق بين الأركان يكون كمن آمن ببعض الكتاب وكفر ببعض والله سبحانه وتعالى يقول فى أولئك « افتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم الا خزى فى الحياة الدنيا ويوم القيامة يرد الى اشد العذاب . وما الله بغافل عما تعملون . أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون) .

هذه مقدمة أسوقها الى الكثيرين من مسلمى اليوم الذين فرقوا فى دينهم فتباعدوا عنه وفرقوا بين أركانه فآمنوا ببعض الكتاب وكفروا ببعض . فهناك طائفة من الناس تصوم رمضان فقط من غير صلاة ظنا منها ان رمضان وحده مكفر للذنوب والحق ان صومه فى الغالب لم يكن للعبادة انما هو لتأثير العادة أو البيئة . فليس لهذه الطائفة من صومها إلا الجوع والعطش والا النصب والتعب وهناك طائفة تصلي وتصوم وتحسب انها صنعت كل شيء ولكنها تكتنز الأموال وتمنع زكاتها ولا تؤدى حق الله فيها فتهدم هنا ما تبنى هناك . وتحسب انها تحسن صنعاً . والله سبحانه تعالى يقول (والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لانفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون) ويقول تعالى « ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيراً لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة ولله ميراث السموات والأرض والله بما تعملون خبير) فليس لهذه الطائفه نصيب من صلاتها وصيامها بعد ما هدمت ما بنته بايديها . وهناك طائفة اخرى تصوم وتصلى وتزكى وهى إلى جانب هذا تأكل اموال الناس بالباطل وتضرب هذا وتقذف هذا وتغتاب ذاك وتسيء الى هذا وتحسب انها تحسن صنعاً وهذه الطائفة هى التى سماها الرسول صلى الله عليه وسلم بالمفلسة فقد ورد فى الحديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : وهو جالس مع نفر من صحبه الكرام (أتدرون من المفلس . قالوا المفلس فينا يا رسول الله من لا درهم له ولا متاع . قال لا . ان المفلس من امتى من يأتى يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويأتى وقد ضرب هذا

وأكل مال هذا وشتم هذا فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته فان فنيت حسناته اخذ من سيئاتهم فطرحت عليه ثم طرح فى النار) .

فلم تنفع هذه الطائفة صلاتها ولا صيامها ولا زكاتها إلا قليلا لانها لم ترع مستلزمات العبادة والطاعة من التلبس بالفضيلة والاحسان الى الناس ومعاملاتهم بمثل ما يحب الانسان ان يعاملوه به وحسن الخلق وصون البدن واللسان عن أذى الناس وهناك طائفة اخرى ترى ويا بئس ما ترى ان الاسلام بصفاء القلب فقط لا بالصلاة ولا بالصيام ولا بالحج ولا بأى ركن من اركان الاسلام ولذلك تراها لا تفعل شيئاً من احكام الاسلام ولا تتبع سنن الرسول صلى الله عليه وسلم . وقد خابت وخسرت لأنها هدمت الاسلام من أساسه وقوضت اركانه وهى تحسب انها تحسن صنعاً وما علمت ان الاسلام هو الذى اعطى القلب الصفاء والنقاء وطالبه بالعبادة والخشوع والخضوع لله رب العالمين وان هذه الأركان هى التى تصفى القلب وتطهره من درنه وحقده وحسده .

وأى صفاء فى القلب يبقى ان تجرد من ذكر الله وطاعة الله وخشية الله ان كثيراً من الناس يخدعون بما يوسوس لهم الشيطان فاذا رأوا متديناً اساء فى شأن من شؤون الدنيا ادعو انهم خير منه لانهم اصفياء القلوب ـ كذا ـ ولا يقومون بما يرتكبه بعض المتدينين . وهذا من تلبيس الشيطان لعنه الله . فالرجال ليسوا حجة على الدين ، وعصيان رجل لا يبرر العصيان للآخر فكل مسؤول عن عمله (ولا تزر وازرة وزر أخرى) ولكل عمل حساب . وكما لا يجوز للمتدين ان يرتكب ما يخالف امر الدين فلا يجوز لغير المتدين ان يحتج بمثل هؤلاء المخالفين وليعلم الناس ان الدين وحدة متماسكة

ومن جزأ الدين يكون مثله كمثل من جزء جسما وقطعه أوصالا فاصبح منظره من البشاعة بشكل تشمئز منه النفوس ومن قطع اوصال الاسلام فقد اساء الى الاسلام وشوه جماله . ونقص من كماله . فاتقوا الله ايها الناس وخذوا بالاسلام كلاً ولا تجزؤه أجزاءً . ولا تفرطوا فى شىء من احكامه وسننه وانظروا بعد ذلك إلى الجمال والكمال فى رسالة الاسلام الخالدة والسلام .

ميزان الانسان ..

خلق الله الانسان من نطفة من ماء مهين ثم خلق النطفة علقة . فخلق العلقة مضغة ثم جعله عظاما ثم كسى العظام لحما . ثم انشأه خلقاً آخر فجعله فى احسن تقويم فتبارك الله احسن الخالقين .

وهذا التطور فى الخلق شامل لكل مخلوق من البشر لا فرق بين عربى وعجمى ولا بين شرقى وغربى ولا بين ابيض واسود ولا بين اصفر واحمر . الكل فى الخلق سواء . ثم انعم الله على هذا المخلوق بنعم ظاهرة و باطنة وقسمها بينهم بالعدل والقسطاس المستقيم الذى عرف به هذا الرب العظيم ذو الجلال والاكرام فوهب لكل انسان عينين ولسانا وشفتين . وجوارح وجناناً وعقلا ووجداناً ونفساً سليمة طيبة الهمها فجورها وتقواها . ثم جعل التفاضل بين الناس فى هذا الجوهر اللألاء وهو (الالهام) فمن اتقى ربه وعرف خالقه فخاف عذابه وزكى نفسه من الفجور والدنس فقد أفلح وفاز . ومن دنس نفسه بالكفران والجحود ولم يتق الاله المعبود فقد خاب وخسر خسراناً مبيناً . فالتقوى إذاً هى الميزان الدقيق والمعيار الذى يوزن به اعمال الناس ومنها تعرف اقدارهم ومنازلهم ومن الاشقياء هم أم من السعداء ومن المبعدين المطرودين من رحمة الله أم من المقربين فى جنة نعيم .

ومن اصحاب اليمين هم أم من اصحاب الشمال . فمعرفة الله وخوفه . وتقواه هى التى يتفاضل بها البشر فبقدر ما يحمل الانسان فى قلبه من هذه الصفات تكون منزلته عند رب الأرض والسموات وكلما عظمت وعلت فى

نفسه هذه الأسس سمت منزلته عند الله وازداد قربة منه تعالى . والعكس بالعكس فالتفاضل فى الاسلام لايكون بكثرة العرض وعلو المراتب والمناصب ولا بغلبة الجاه وقوة السلطان انما بالتقوى و بالتقوى وحدها قال تعالى (ان اكرمكم عند الله اتقاكم) ورب اشعث اغبر أكرم عند الله من اصحاب الجاه والسلطان لمعرفته بربه وخضوعه لخالقه وخوفه من عذابه الاليم الشديد ورجائه فى رحمته . لذا فقد أمر الله المسلمين بالتقوى ليحموا أنفسهم من عذاب الله وليتقوا الله ربهم الذى اعد جهنم للكافرين نزلا . وازلف الجنة للمتقين المحسنين . قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون) وحق تقاته سبحانه ان يطاع فلا يعصى ويذكر فلا ينسى ويشكر فلا يُكفَر . وان نجعله رقيباً علينا فلا نفعل إلا ما يرضيه ولا نتخطى الحدود التى وضعها لنا ليغفر لنا ذنوبنا ويصلح أعمالنا قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً) . وقال تعالى (ان تتقوا الله يجعل لكم فرقاناً ويكفر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم والله ذو الفضل العظيم) والتقوى من الوقاية وهى حماية النفس وحفظها وصيانتها من العذاب الذى اعده الله لمنكرى فضله وجاحدى احسانه وكافرى نعمه. ثم التقوى فى الدنيا لباس الأبرار وسمة الاطهار تزين اصحابها وتجملهم وتصنعهم على عين الحق فالتقى بر كريم ومحسن رحيم . ليس بالفاحش ولا المتفحش يعيش فى الدنيا وكأنه غريب عنها . لذا لا يطمعه الكثير ولا يحزنه القليل . فهو أكرم مخلوق فى الدنيا وهو انعم فى الأخرة .

سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل له يا رسول الله من أكرم الناس . قال اتقاهم فقالوا ليس عن هذا نسألك قال فيوسف نبى الله بن نبى

الله ابن نبى الله ابن خليل الله . قالوا ليس عن هذا نسألك قال فعن معادن العرب تسألونى . خيارهم فى الجاهلية خيارهم فى الاسلام اذا فقهوا. ومعنى فقهوا اى تعلموا احكام الشريعة . وتفهموها متفق عليه فاكرم الناس وافضل الناس وأحب الناس إلى الله ورسوله انما هو أتقاهم لا أغناهم ولا أقواهم اللهم الا اذا كان الغنى أو القوى تقياً فذاك الذى يجمع السعادتين ويحوز الفضلين وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم . ومن دعاء النبى صلى الله عليه وسلم اللهم انى اسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى .

فالرسول الذى غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر يسأل الله التقى فيما يسأله لعظمته عند الله فالله الخالق الرازق البارىء المصور المبدىء المعيد المحيى والمميت أحق بالتقوى وأجدر بالعبادة .

قال تعالى « قل من يرزقكم من السماء والارض أمن يملك السمع والابصار ومن يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ومن يدبر الامر فسيقولون الله فقل افلا تتقون » فاذا كنتم تقرون للخالق العظيم بهـذه الصفات افلا يجدر بكم ان تتقوه ايها الناس وتؤمنوا به وله تسجدون . ومن لوازم تقواه عز وجل ان تعبدوه وحده ولا تشركوا به شيئا وان تطيعوه فلا تخالفوا له امرا فتصلوا خمسكم وتصوموا شهركم وتؤدوا زكاة اموالكم وتجاهدوا فى الله حق جهاده وتبروا آباءكم وتصلوا ارحامكم. وتجمعوا كلمتكم وتعتصموا بحبل الله المتين وتصدقوا اذا حدثتم وتؤدوا اذا اؤتمنتم وتخلصوا فى اعمالكم ولا تخونوا الله والرسول وتخونوا اماناتكم وتتيقنوا ان الله رقيب عليكم ويعلم ما تصنعون وبذا تشرون انفسكم من عذاب الله وتبلغون حقيقة التقوى ولا ينفعنا نسب ولا حسب ولا ولد ولا نشب وقد انذر النبى صلى الله عليه وسلم قومه فقال «يامعشر قريش اشتروا انفسكم من الله لا أغنى عنكم من الله شيئا . يا بنى عبد مناف

اشتروا انفسكم من الله لا أُغنى عنكم من الله شيئا يا عباس بن عبد المطلب لا أُغنى عنك من الله شيئا . يا فاطمة بنت محمد سليني من مالى ما شئت لا أُغنى عنك من الله شيئا » .

فمن اراد ان يشرى نفسه ابتغاء مرضاة الله فليتق الله ربه وليعمل لما بعد الموت فما بعد الموت من مستعتب ولا بعد الدنيا من دار الا الجنة أو النار. فى حديث شريف عن الرسول صلى الله عليه وسلم انه قال « ان الدنيا حلوة خضرة وان الله مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون . فاتقوا الدنيا واتقوا النساء فان اول فتنة بنى اسرائيل كانت فى النساء » رواه مسلم . واذا اتقى المرء الدنيا جعلها بين يديه ولم يجعلها فى قلبه فانها غرارة قد تجر الانسان الى المهالك فتهوى به فى نار جهنم وقد عرف السلف الصالح حقيقتها وفلسفتها فعملوا لها على قدر مقامهم فيها وعملوا للآخرة على قدر حاجتهم اليها ومقامهم فيها . فاستوحشوا من الدنيا وزهرتها واستأنسوا بالآخرة واخبارها وآمالها واذا دعت احدهم لتفتنه عن امر ربه اجابها هيهات هيهات غُرِّى غيرى ايتها الدنيا الفانية . وصف ضرار بن ضمرة علي بن ابى طالب رضى الله عنه فى خلافته بعد وفاة علي لمعاوية فقال « يستوحش من الدنيا وزهرتها ويستأنس بالليل وظلمته كان والله غزير الدمعة طويل الفكرة يقلب كفه ويخاطب نفسه يعجبه من اللباس ما خشن ومن الطعام ما جشب كان والله كأحدنا يجيبنا اذا سألناه ويبتدئنا اذا اتيناه ويأتينا اذا دعوناه يعظم اهل الدين ويحب المساكين لا يطمع القوى فى باطله ولا ييأس الضعيف من عدله واشهد بالله لقد رأيته فى بعض مواقفه وقد ارخى الليل سجوفه وغارت نجومه وقد مثل فى محرابه قابضا على لحيته يتململ تململ السليم ويبكى بكاء الحزين وكأنى اسمعه وهو يقول يا دنيا أبى تعرضت ام لي تشوفت هيهات هيهات غرى غيرى قد

بتتك ثلاثا لا رجعة لى فيك . فعمرك قصير وعيشك حقير وخطرك كبير . آه من قلة الزاد وبعد السفر ووحشة الطريق » صفة الصفوة لابن الجوزى هكذا تفعل التقوى فى القلوب فهل الى التقوى من سبيل لتكون العاقبة لنا معشر المتقين . قال تعالى « تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الارض ولا فسادا والعاقبة للمتقين » . خير ما اختم به كلمتى آية قرآنية جمعت صفات المتقين فاسمعوها وعوها قال تعالى « ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب واقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم اذا عاهدوا والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس اولئك الذين صدقوا واولئك هم المتقين » والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

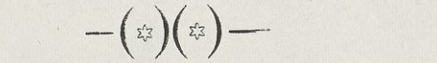

الدعوة الاسلامية والشباب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد العالمين محمد وعلى آله وصحبه ومن دعا بدعوته الى يوم الدين وبعد :

فى حديث مرفوع الى النبى صلى الله عليه وسلم أنه أوصى بالشباب خيراً فقال: « أوصيكم بالشبان خيراً ، فانهم أرق أفئدة ، إن الله بعثنى بشيراً ونذيراً فخالفنى الشبان ، وخالفنى الشيوخ » ، ثم قرأ : «فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم » ولا غرو إن أوصى رسول رب العالمين بالشباب ، والشباب فى كل أمة هم عرقها النابض ، وعصبها المتين ، وركنها الركين . بهم تصول وتجول. وعليهم المعول فى نهوضها و بناء مجدها، ومن دمائهم الزكية يفوح عطر الحرية والاستقلال ، فهم جندها الباسل ، وهم أبناؤها الأماثل .

ولقد قامت الدعوة الاسلامية الأولى على سواعد الشبان ، بل كانت صراعاً ونضالاً بين الشباب الذين أخذوا بهذا الدين الجديد الذى وافق عقولهم وهواهم ، و بين الشيوخ الذين جمدوا على ما ألفوا من دينهم القديم الذى وجدوا آباءهم عليه عاكفين .

ولقد ناضل الشباب الاسلامى الأول من فتيان وفتيات أشرف نضال وضحوا فى نفوسهم وأموالهم أشرف تضحية ، وكانوا يجاهدون ويضحون فى سبيل الحرية الدينية التى يأباها قومهم عليهم ، ويريدون أن يكرهوهم على الجمود على الشرك مثلهم . فجاهدوهم فى سبيل هذه الغاية النبيلة لا يبغون من جهادهم ملكاً ولا سلطاناً يتمتعون بخيراته ، وينعمون بحسناته ، ولا

يطلبون لأنفسهم مجداً ولا جاهاً بين الناس ، انما جل ما كانوا يبغونه هو اعلاء كلمة الله ، ونصرة الحق على الباطل ونشر النور بين الناس، نور الهداية الربانية التى أفاضها الله على محمد وصحبه وجنده من هذه الصفوة المختارة من شباب الاسلام الأولين ، الذين اختارهم الله لحمل رسالة الانسانية الخالدة ، والسبق فى ميادينها الفسيحة وجنى ثمارها وهى طرية طيبة . فكانوا السابقين الأولين الى الدين العظيم ، وكانوا المجاهدين الصادقين والهداة المهديين .

والرسول صلى الله عليه وسلم إذ يوصى بالشبان انما يوصى بخير الأمة وصفوتها وهو صلى الله عليه وسلم يعلم أنهم أنصار كل جديد . وهذا ماذهب اليه علم الاجتماع الحديث، لأن الشباب لم يألفوا القديم إلف الشيوخ، فيسهل عليهم قبول الدعوة الجديدة ، ولا ينفرون منها كما ينفر آباؤهم الذين قست قلوبهم وكاد يخبو منها النور الوهاج ، الذى يتلألأ فى قلوب الشباب الناصعة الصافية التى لم يَرِنْ عليها بعد . ولقد سبق القرآن الكريم علم الاجتماع الحديث فى تقرير هذا الأصل وهو ان الشباب أنصار كل جديد .

وكم فى القرآن من عجائب العلم والمعرفة فهو الكتاب الذى لا تنقضى عجائبه ولا تنتهى أسراره على طول الزمن . وهذا الأصل الذى ثبت فى علم الاجتماع قد جاء فى كلمة واحدة من هذا القرآن العظيم ، دلالة على إعجازه وبرهانا على خلوده وأنه لا يمكن لأحد أن يأتى بمثله إذ تحوى الكلمة الواحدة منه من العلم ما يكفى لتأليف كتاب ومثل هذا لا يوجد فى كتاب آخر منزل أو غير منزل . وها كم الكلمة :

قال تعالى : « فما آمن لموسى الا ذُرِّيَّةٌ من قومه على خوف من فرعون وملئهم ، أن يفتنهم وإن فرعون لعالٍ فى الأرض وانه لمن المسرفين »

فقد جاء فى هذه الآية الكريمة كلمة تشير الى ذلك الأصل ، وهى كلمة

(ذرية) لأن الذرية الولد والنسل مأخوذة من الذر وهو صغار النمل ، فتفيد هذه الكلمة أنه لم يؤمن بموسى إلا أولاد قومه ، وهم صغارهم وشبابهم من فتيان وفتيات ، وهذ لأنه أتى بدعوة جديدة ، فبادر الشباب إلى الإيمان بها لأنهم أنصار كل جديد ، وأبى الشيوخ أن يؤمنوا بها لأنهم جمدوا على القديم ، وينفرون من كل جديد .

وقد نزلت هذه الآية لتسلية النبى صلى الله عليه وسلم لأنه لم يؤمن به فى أول بعثته إلا ذرية من قومه أيضاً وقد عمرت بهم دار الأرقم ابن أبى الأرقم المخزومى بمكة المكرمة .

اما شيوخهم ورؤساؤهم فقد صعب عليهم أن يتركوا قديمهم ، لأن حبه كان قد تمكن من قلوبهم بطول الزمن فقالوا : « انا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون » .

وهذا ما كان يحزن النبى صلى الله عليه وسلم إذ كان يتمنى عليه صلوات الله وسلامه أن يؤمن به رؤساء قومه وشيوخهم ليؤمن غيرهم تبعاً لهم فنزلت هذه الآية لتبين له أن شأنه فى هذا كان شأن الأنبياء قبله ، وهو شأن كل دعوة جديدة . كدعوته الإسلامية الجديدة . فترضى نفسه بهؤلاء الشباب ويعرف ان اولئك الرؤساء و الشيوخ لا يؤمنون به إلا بعد جهاد طويل شاق بعيد المدى .

اهتم الرسول صلى الله عليه وسلم بهؤلاء الشبان وعكف على تربيتهم وتربية أرواحهم حتى خرجهم من تلك المدرسة المحمدية الربانية ، فكان منهم القادة وكان منهم السادة ، وكان منهم الفاتحون ومنهم المجاهدون المخلصون ، وكلهم من الشباب العاملين لخير الدين .

قال أبو حمزة الخارجى فى خطبته فى مكة حين غلب عليها فى آخر دولة

بنى أمية : يا أهل الحجاز تعيروننى بأصحابى ، وتزعمون أنهم شباب ، وهل كان أصحاب رسول صلى الله عليه وسلم إلا شباباً .

وجاء فى رسائل أخوان الصفا :

وأعلم أن الله تعالى ما بعث نبياً إلا وهو شاب ، ولا أعطى لعبد حكمة إلا وهو شاب ، كما ذكرهم فى مدحهم فقال عز اسمه : « إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى » وقال تعالى :

« إنا سمعنا فتىً يذكرهم يقال له ابراهيم »

روى عفيف الكندى رضى الله عنه انه قال : جئت فى الجاهلية إلى مكة وأنا أريد أن أبتاع لأهلى من ثيابها وعطرها ، فأتيت العباس بن عبدالمطلب وكان رجلاً تاجراً ، فأنا عنده جالس حيث أنظر إلى الكعبة ، وقدحلقت الشمس فى السماء فارتفعت وذهبت إذ جاء شاب فرمى ببصره إلى السماء ثم قام مستقبل الكعبة ، ثم لم ألبث إلا يسيراً حتى جاء غلام فقام عن يمينه ، ثم لم ألبث إلا يسيراً حتى جاءت امرأة فقامت خلفهما . فركع الشاب ، فركع الغلام والمرأة ، فرفع الشاب فرفع الغلام والمرأة ، فسجد الشاب ، فسجد الغلام والمرأة ، فقلت يا عباس أمر عظيم ! فقال العباس : أمر عظيم ! أتدرى من هذا الشاب ؟ قلت : لا . قال : هذا محمد بن عبدالله أخى . أتدرى من هذا الغلام ؟ قلت : لا . هذا علي ابن أخى . أتدرى من هذه المرأة ؟ قلت : لا . قال هذه خديجة بنت خويلد زوجته ، ان ابن أخى هذا أخبرنى أن ربه رب السماء والأرض أمره بهذا الدين الذى هو عليه ولا والله ما على الأرض كلها أحد على هذا الدين غير هؤلاء الثلاثة »

صحح بعضهم هذا الحديث : وورد أن البخارى لم يصححه .

فيا أيها الشباب : إلى الإسلام من جديد . إلى دين العزة والكرامة

والطمأنينة والخلود . وأنتم أهله ونصراؤه ، فأنصروه كما نصره شباب الإسلام الأول ليعزكم كما أعزهم ويخلدكم كما خلدهم فى النعيم المقيم ، والذكر الكريم .

اعملوا ايها الشباب فلا عاصم لنا اليوم وقد أحاطت بنا الكروب إلا بالرجوع الى رسالتنا الخالدة رسالة الإسلام الغالية حماها الله من كيد أعدائها .

وطلما الأمة فى حالتها الراهنة فواجبكم أيها الشباب عظيم ، وتبعاتكم جسيمة ، والأمانة التى فى أعناقكم ثقيلة ، وحقوق أمتكم عليكم متضاعفة فجاهدوا ما استطعتم فى سبيل استرداد حق أمتكم المسلوب بأيدى الغاصبين المستعمرين الكافرين ، وحريتها الضائعة ، وكرامتها المهانة ، وتراثها المغصوب ، ومثلها العالية التى دنسها عُبَّاد المادة والحكم من أذناب المستعمرين ووكلائهم فى ديارنا .

جاهدوا أيها الشباب فالمستقبل لكم ، والبلاد بلادكم ، فإذا فرطتم فيهما ، عشتم أذلاء فى مستقبل مظلم أسود فاحم . ويقظتكم فى جهادكم ، وأخلاصكم فى عملكم ، وانصرافكم لعظائم الأمور وترك صغائرها وحماسكم لقضاياكم ، كل هذا كفيل بنيلكم أسمى الأمانى وأرفع الدرجات ، جعلنا الله من العاملين الصادقين . ووفقنا لما يحبه ويرضاه ، والحمد لله رب العالمين .

الفرد والجماعة في الاسلام

يرى المتتبع للدراسات الاسلامية العجب العجاب فيما يطلع عليه ، ويعلمه من بحوثه ودراساته ، لهذه الشريعة الخالدة شريعة الحق والخير ، والانسانية الكاملة بأفرادها وجماعاتها .

يرى شريعة ضخمة ، ومبادىء سامية فى كل شأن من شؤون الحياة السياسية ، والاجتماعية ، والاخلاقية ، والتربوية ، والادارية ، والقضائية .

فقد عنيت بكل هذه المبادىء وغيرها ووضعت لها القواعد العامة والآداب والاخلاق التى تصحبها وتسيرها لئلا تشتط فتخرج عن طريق الحق الذى جاء الاسلام ليهدى الناس اليه .

ومما عنيت به الشريعة واهتمت له ، الفرد المسلم ، ثم الأسرة المسلمة ، فالجماعة المسلمة .

أما الفرد فهو اللبنة الأولى فى بناء المجتمع فإذا صلح هذا الفرد صلح المجتمع كله وإذا فسد فالويل والثبور لتلك الأمة التى يزيغ افرادها ويعمهم البغى والفساد .

جاء الاسلام فوجد انحطاط الفرد فى المجتمع قد بلغ أشده . فإن الانسان يقتل كما يقتل الحيوان فلا حرمة ولا كرامة وقد كانت المشاحنات والمخاصمات تأكل العرب أكلاً وتحصدهم حصداً .

فاحترم الاسلام الفرد ورفعه مكاناً علياً وحرم قتله وفرض العقوبة الصارمة وهى القتل على من قتل نفساً بغير نفس أو فساد فى الأرض . و بين

أن من قتل نفساً بغير نفس أو فساد فى الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً ومن احياها فكأنما أحيا الناس جميعاً .

جاء الاسلام وحق المرأة فى المجتمع ضائع و نفسها محطمة مهشمة لما يقع عليها من مظالم وما يصيبها من عقوق، فهى لا ترث ولا تورث، ولا تَمْلِك ولا تُمَلَّك ، وهى بضاعة مزجاة يمتهنها الرجل أنَّا شاء ومتى شاء .

فرفع الله شأنها بالاسلام وارجع اليها حقوقها المسلوبة منها فَوَرَّثَهَا وَمَلَّكَهَا وأعطاها حق التصرف فيما تملك . وجعلها شقيقة الرجل . « ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة والله عزيز حكيم » .

فكانت عناية ألاسلام بالفردة المسلمة كعنايته بالفرد المسلم .

وقد تعجب أيها المسلم إذا علمت بأن عناية الاسلام لم تفارقك منذ ولادتك حتى وفاتك بل اعتنى بك قبل أن تكون شيئاً مذكوراً فأوصى أباك بالزواج الشريف ونهاه عن خضراء الدِّمَنْ وهى المرأة الحسناء فى منبت السوء ولو تزوج رجل بإمرأة وضيعة لأغضى أولاده حياءً من ذكر امهم وأخوالهم المنحطين لذا فواجبنا أن نتخول لأولادنا الأخوال الشرفاء الكرماء وهذا من عناية الاسلام بشخصية الفرد واهتمامه به و بمستقبله .

ومن عناية الاسلام الدقيقة بالفرد منذ ولادته أن يختار له أبوه الاسم الحسن ثم يعتنى بتربيته ، وتنشئته ، وتهذيبه ، وتعليمه ، والعناية بجسمه وبروحه ، وأن يؤدبه بادب الاسلام ويحفظه من كل ما يلوث خلقه وروحه الصافية التى فطره الله عليها « يا أيها الذين آمنوا قو أنفسكم واهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين » .

وإذا بلغ الشاب رشده واستوى وكان والده فى حال مالية طيبة وجب عليه أن يزوجه ليصون بذلك دينه وخلقه ، و يضيف إلى الشعب المسلم أسرة

إسلامية جديدة فيكون له أجرها وأجر ما تعمل به من صالحات إلى يوم البعث والنشور .

ومن عناية الاسلام بالفرد انه وضع له منهجاً أخلاقياً سامياً وأمره باتباعه والاهتداء بهداه .

وإذا تمسك الفرد المسلم بالإخلاق الإسلامية وتأدب بآدابها كان الإنسان الكامل والفرد المثالى فى الدنيا كلها . لما يتصف به من صفات الكال ولما يتجنب عنه من صفات النقصان .

فقد أمر الأسلام الفرد المسلم بالأمانة ، والصدق ، والوفاء ، والعفاف ، والهدى ، والتقى ، والتضحية ، والتراحم ، والكرم ، والشجاعة ، والشهامة ، والشمم ، والغيرة ، والتعاون ، والاستقامة ، والصبر ، والإحسان ، والإصلاح بين الناس ، وأن يحب للناس ما يحب لنفسه ويكره لهم ما يكره لها ، ويقضى حوائج الناس وينفق عليهم ، وأن يبر والديه ، ويراعى حقوق الجوار وذوى الأرحام .

وأوصاه بالاقتصاد والقناعة والسعى والزهد عما فى أيدى الناس والعفو والرفق والحلم والأناة والتواضع وخفض الجناح للمؤمنين والوقار والسكينة . إلى ماهنالك من السجايا الخلقية الإسلامية . فإذا تمسك بها المسلم كان أصلح فرد عرفته الدنيا . ولا شك أن المجتمع الذى يعيش فيه مثل هذا الفرد يكون من أسعد المجتمعات واسماها واقواها خلقاً وخلقاً .

هذا للفرد أما الجماعة فقد نظمها الاسلام ، وأعتنى بها أيما اعتناء ونهى عن الخروج على الجماعة ، ووضح الاسباب التى تجمع المسلمين وتوحد بين قلوبهم وصفوفهم ففرض صلاة الجماعة فى اليوم خمس مرات ثم فرض الجمعة واستن صلاة العيدين وفرض الحج . وفى كل ذلك ما فيه من دعوة الإسلام

إلى الاجتماع والتعارف والتآلف ولأجل أن تعيش الجماعة الاسلامية في عز وهناء وحب ووفاء ويكون المجتمع الاسلامي في رغد من العيش فقد نظم الاسلام العلاقة بين الحاكم والمحكوم والأمير والمأمور . إذ لا بد لكل جماعة من أمير يقوم على أمرها وتعطيه هي ثقتها وقيادها .

والعلاقة التي نظمها الاسلام بين الحاكم والمحكوم تقوم على أساس الحب والاحترام وتبادل المودة والنصح والإكرام ، فالحكام في الاسلام من الشعب واليه يعودون والله اختارهم وجعل حملهم اثقل من بقية المسلمين لما حملوا من الأمانة وهم مأمورون بخفض الجناح لمن اتبعهم من المؤمنين ، وهم رعاة وسيسألون عن كل ما استرعاهم الله من حقوق هذه الأمة التي جعلها الله امانة في اعناقهم .

ومن وصايا الاسلام للرعاة بالرعية العدل بينهم بالسوية ، وعدم الاحتجاب عن حاجاتهم وان يحببوا جماعتهم ولا يلعنوهم ولا يترفعوا على أحدٍ من الناس .

ورد عن أبي يعلى معقل بن يسار رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ما من عبدٍ يسترعيه الله رعيةً يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته إلا حرم عليه الجنة . متفق عليه. وفي رواية : فلم يَحُطها بنصحه لم يجد رائحة الجنة . وفي رواية لمسلم : ما من أمير يلي أمور المسلمين ثم لا يَجهَدُ لهم وينصح لهم إلا لم يدخل معهم الجنة .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في بيتي هذا : « اللهم من ولي من أمر أمتي شيئاً فشق عليهم فاشقق عليه ، ومن ولي من أمر أمتي شيئاً فرَفَقَ بهم فارفق به » رواه مسلم .

وفي صفة الأئمة ما ورد عن عوف بن مالك رضي الله عنه قال : سمعت

رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم وتصلون عليهم (أى تدعون لهم) و يصلون عليكم ، وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم وتلعنونهم ويلعنونكم ، قال : قلنا : يا رسول الله أفلا ننابذهم ؟ قال : لا ما أقاموا فيكم الصلاة . رواه مسلم . وكما أوصى الإسلام الرعاة بالرعية فقد أوصى الرعية بالرعاة وحرم على الناس الخروج على الجماعة بل أمر الأفراد بطاعة أولياء الأمور فيما ليس فيه معصية الله عز وجل فقال تعالى :

« يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم »

وعن ابن عمر رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره الا أن يؤمر بمعصية فإن أُمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة » متفق عليه .

وعن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اسمعوا وأطيعوا ، وان استعمل عليكم عبد حبشى كأن رأسه زبيبة » البخارى .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : عليك السمع والطاعة فى عسرك و يُسرك ، ومنشطك ومكرهك وأثرة عليك » رواه مسلم .

وعن أبى هنيدة وائل بن حجر رضى الله عنه قال : سأل سلمة بن يزيد الجُعفيُّ رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا نبى الله أرأيت إن قامت علينا أمراء يسألونا حقهم و يمنعونا حقنا فما تأمرنا ؟ فأعرض عنه ثم سأله . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اسمعوا وأطيعوا فإنما عليهم ما حُمِّلوا وعليكم ما حُمِّلتُم » رواه مسلم .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من أطاعنى فقد أطاع الله ، ومن عصانى فقد عصى الله ، ومن يطع الأمير

فقد أطاعنى ، ومن يعص الأمير فقد عصانى » متفق عليه .

وهكذا ينظم الاسلام العلاقة بين الفرد والجماعة يصلح الفرد ويطهره ثم يختار له الأمير العادل ويأمره بطاعته حتى تسعد الجماعة . إذ الخروج على الجماعة يوجب الشقاء ويجلب على الأمـــة البلاء . والتعاون بين الافراد والجماعات يجلب للأمة السعادة والخير الكثير . وكل ما يريده الاسلام للافراد والجماعات ان يعيشوا سعداء ويموتوا سعداء فهم سعداء الدارين وأصحاب ميراث الحياتين المجد والفخار والعز والهناء فى الدنيا . وجنة عرضها السماوات والأرض ونعيم مقيم فى الآخرة جعلنا الله من هؤلاء وحشرنا مع الذين اتقوا والذين هم محسنون والحمد لله رب العالمين .

اهداف الاسلام ومقاصده

أرسل الله الرسل مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ، فبلغوا الرسالة ، وأدوا الأمانة . وجاهدوا فى الله حق جهاده ، و بشروا وأنذروا ، ووعدوا ، وأوعدوا ، و بلغوا الكتاب الذى أنزل معهم ، وصدقوا ما عاهدوا الله عليه ، ثم ختم الله هذه الرسالات برسالة الإسلام الخالدة وجعل نبى الاسلام عليه الصلاة والسلام جوهرة العقد النظيم ، فأتم به النبوات ، وختم به الرسالات ، وآتاه الحكمة وفصل الخطاب ، وعلمه ما لم يكن يعلم ، وأرسله بالحق بشيراً ونذيراً وداعياً الى الله بإذنه وسراجاً منيراً .

فشرح الله به الصدور ، وأنار به البصائر ، وزكى به الأنفس وطهرها من أدرانها ، وأكرمه الله عز وجل فجعل دينه صفوة الأديان ، بل جمع الأديان كلها فكانت الاسلام واختار الله هذا الدين للبشرية جمعاء فقال : « إن الدين عند الله الإسلام » وقال : « ومن يبتغ غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه » .

ثم ضمن الله لهذه الرسالة الخلود والبقاء ، فحفظ كتابها العظيم من التحريف والتبديل ، وأعلى شأن رسولها فى الخافقين ، ورفع له ذكره فى الدارين . قال تعالى : إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون . وقال : فى رسوله : ورفعنا لك ذكرك » ولما كان شأن هذه الرسالة الخلود والبقاء ، فقد حملت معها عناصر الخلود ، وأسباب البقاء ولقد ابتعث الله أهلها لانقاذ الناس من الظلمات الى النور ومن ضيق الدنيا الى سعتها ومن جور الأديان

الى عدالة الاسلام وأرادت للناس السعادة والهناء فكانت أهدافها أسمى الأهداف، ومقاصدها أجل المقاصد، وغاياتها أرفع الغايات، وكانت رحمة للعالمين.

فمن أهداف الاسلام السمو الروحى إذ يسمو الاسلام بروح المسلم ويرفعه من الحضيض الذى يهوى فيه الضالون فهى رسالة روحية سماوية لا مادية أرضية والسمو الروحى يكون عن طريق تقوى الله، وعبادته وحده، والتعلق به عز وجل قال تعالى: «وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون».

والعبادة فى اللغة مشتقة من العبودية بمعنى الخضوع والتذلل والطاعة. وهذا لا يكون الا لله وحده فالمسلم لا يكون رقيقاً مستعبداً لغير الله. ومعنى العبادة السامى هو التوحيد والتوحيد ينصرف الى التمجيد، وتمجيد الخالق كواجب يؤديه كل مؤمن يتجلى فى الاعتراف له سبحانه وتعالى بأنه المنعم الأوحد الفرد الصمد، الذى أسبغ نعمه علينا ظاهرة وباطنة.

وهذه العقيدة الطاهرة عقيدة التوحيد الخالص حررت العقول مما كان يسيطر عليها من الأوهام والخرافات، والبدع والضلالات فبعد أن كان الناس أشتاتاً هذا يسجد للحجر وذاك يعبد البشر وآخر يقدس الشجر والدواب والبقر، سمت بهم رسالة الاسلام ووجهتهم الى الخالق الأول والوارث الأخير وربطت أسبابهم برب السماء والارض وحررتهم من مخلفات الأوهام والعقائد الزائفة ولله الفضل والمنه.

ومن اهداف الاسلام الاعتصام بحبل الله المتين وتأليف قلوب المسلمين وجعلهم أمة واحدة قال تعالى: واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا وأذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله

لـكم آياته لعلكم تهتدون» و يطلب الاسلام منا الوحدة الشاملة فى كل شىء فى الدين واللغة والاتجـاه والمقاصد والعادات والأخلاق والثقافة والقوة . واستطاع الاسلام أن يكون فى ظرف قصير من جميع أتباعه أمة واحدة ، ذات رسالة خالدة ، فكانت خير أمة أخرجت للناس حين تمسكت برسالتها ولما تركت رسالتها وهى الاسلام تفرقت أيدى سبأ وأصبحت أمماً وشعوباً مختلفة فى الغايات والأهداف والمقاصد والله سبحانه يقول : وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون »

وأى شىء أجل وأسمى من الاتحـاد فهو قرين العزة وصنو المجد ، وروح الخلود وعسى الله ان يهدى المسلمين ورؤساءهم الى ما أمرهم الله به من الاتحاد والاعتصام بحبل الله المتين .

ومن أهداف الاسلام المساواة التامة بين عموم الأفراد ، لا فرق بين انسان وانسان . ولا فضل لعربى على عجمى إلا بالتقوى . قال تعالى : يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم ، ان الله عليم خبير »

فرسالة الاسلام رسالة المساواة الصادقة بين الناس أجمعين ، فقد سمت عن حـدود القوميات الضيقة ، وارتفعت عن الجنسيات والعصبيات القبلية وجعلت التفاضل بين الناس فى تقوى الله وعبادته وطاعته ، فأكرم الناس عند الله وأقربهم اليه أتقاهم .

ومن الأهداف الأخوة الصادقة القائمة على التوادد والتراحم والايثار ، والتواصى بالحق والتواصى بالصبر ، وأن يحب أحدنا لأخيه ما يحبه لنفسه ، حتى نصبح كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى والله تبارك وتعالى قد آخى بيننا فقال : إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا

بين أخويكم » . والرسول صلى الله عليه وسلم قد قال : المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يحقره. وفى سنن أبى داود عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : المؤمن مرآة المؤمن ، المؤمن أخو المؤمن يكف عنه ضيعته ويحوطه من ورائه .

ومنها التعاون على البر والخير والمعروف قال تعالى : وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الأثم والعدوان »

ومنها الاحسان فى كل شىء ، فى عباداتنا وفى معاملاتنا ، وفى اخلاقنا وعاداتنا ، إذا أكلنا فلنحسن الأكل على الوجه الصحى والشرعى .

واذا اتجرنا فلنحسن فى تجارتنا ، وإذا عبدنا الله فلنحسن فى العبادة ونتقنها على الوجه المشروع وإذا جمعنا الأموال فلنحسن التصرف فيها ولنعرف كيف نخرج زكاتها ونؤتى منها ذوى القربى واليتامى والمساكين .

قال تعالى : « ان الله يأمر بالعدل والاحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون ، وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا إن الله يعلم ما تفعلون »

ومن اهداف الاسلام التزام الصدق فى القول ، والاخلاص فى العمل والوفاء بالعهد والمحافظة على الوعد ، والصبر على الشدائد ، والبر بالآباء وتوقير الكبير والعطف على الصغير مع التواضع والحلم والكرم والعناية باليتامى والأرامل والمساكين .

والامتناع عن الاساءة وتجنب الغيبة والنميمة ، والحسد والخيانة والكذب والنفاق والتجسس والايقاع بين الناس ، والغش فى المعاملة ، والتطفيف فى الميزان ، والسكر وتعاطى المنكرات كالزنا والقمار والرياء وشهادة الزور .

والاسلام يأمر ويدعو الى جميع الفضائل والمكرمات ، ويأمر بالعمل لتحصيل منافع الدنيا وكسب الرزق بشتى انواع العمل المشروع كالتجارة ، والزراعة ، والصناعة ، والأخذ بأسباب القوة وإعداد العدة وما يكون موجباً للعزة واقرار السلام . ويحض الناس على النظافة والزينة وجميع الطيبات ويدعوهم إلى البحث والتفكير فى اسرار الكائنات، و بدائع المخلوقات ويعتبر كل ما يقوم به الفرد فى حياته الخاصة أو العامة طاعة يؤجر عليها إذا قصد بها وجه الله والنفع لعباد الله وكانت فى حدود الشرع .

هذه بعض اهداف الاسلام التى حملها الينا رسولنا الأعظم صلوات الله وسلامه عليه و مقصد الاسلام من هذه الاهداف اصلاح الفرد المسلم أولاً اصلاحا شاملاً ظاهراً و باطناً ثم إصلاح الأسرة المسلمة فالأمة المسلمة ، فالشعب المسلم فالحكومة المسلمة التى تطبق احكام الله وترعى شرعه من ان يعبث به العابثون ، فهى الأمينة المسؤولة أمام الله لأنها وارثة السلطان فى الأرض استخلفها الله لينظر ما تصنع وما تدع ، فان احسنت فالى خير وسعادة أقدمت ، و إلا فهى الطامة الكبرى فصلاح الراعى صلاح الرعية كما ان فساده فسادها .

ولو طبق المسلمون هذه الأهداف وساروا نحوها لأضاءوا للناس سراجا وهاجا ينقذهم من غياهب هذه الظلمات التى يتخبطون فيها . ولاهتدوا بهذا السراج « الاسلام » الى الشاطىء الأيمن شاطىء السلامة والعزة والكرامة والطمأنينة .

وعجباً من قوم يقتلهم الظمأ والماء فوق ظهورهم محمول . وعجباً للمسلمين تقتلهم الامراض والبلسم « الاسلام » بين ايديهم فيه شفاؤهم وفيه سعادتهم وهم عنه غافلون ، و بغيره منشغلون .

فالى الاسلام من جديد ايها المسلمون فقد آن الاوان ، فهو الطريق الاقوم وفيه النجاة والسلام .

وهيا إلى القرآن نتدارسه ونطبق احكامه فهو دستورنا الاكبر وهو نورنا الذى يسعى بين أيدينا و بايماننا فى الدنيا والآخرة .

قال تعالى : « إن هذا القرآن يهدى للتى هى اقوم ، ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً كبيراً ، وأن الذين لا يؤمنون بالآخرة أعتدنا لهم عذاباً أليماً » .

وأهدأف الاسلام مكنونة بكتاب الله، تحملها الآيات البينات، والسور النيرات ، وتوضحها السنة المطهرة المأخوذة من سيرة الرسول المكرم وأقواله وأفعاله . والشباب اليوم — بفضل التوجيه الغربى الضال — قد عزف عن كتاب الله وجهل سنة رسوله فضاعت عليه أهداف الاسلام السامية، ومقاصده العالية ، فسار هذا الشباب من غير هدف يسعى إليه ، أو رسم له هدفاً خسيساً وضيعاً أضاع فيه حياته و بدل الخير شراً والايمان كفراً والمستعان الله ولاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

المسلم الحقيقى

هو الانسان المثالى الكامل

الإسلام دين الله الخالد ، وشريعته الواضحة ، وحجته البالغة ، وحكمه العادل ، وصراطه المستقيم « ومن يبتغ غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه » شرع الله هذا الدين نوراً وهدىً ورحمة للعالمين ، فمن أخذ به فقد أوى الى ركن شديد ، وعصم نفسه من السقوط فى مهاوى الكفر والضلال ، وكان إنساناً مثالياً فى الحياة . له من دينه ما يبعث فيه القوة والحيوية وما يتوجه بكل فضيلة و يدفع عنه كل رذيلة حتى يصبح الرجل الكامل الذى ترمقه كل عين . لا يغش ولا يكذب ، ولا يبخل ولا يجبن ، ولا يسرق ولا يزنى ، ولا يقول إلا الحق ، ولا يخاف فى الله لومة لائم ، دأبه الاصلاح وديدنه التقى والصلاح . يخلص فى السر والعلانية ، و يعدل فى الرضا والغضب ، و يقتصد فى الفقر والغنى ، و يعفو عمن ظلمه ، و يعطى من حرمه ، و يصل من قطعه ، صمته فكر ، ونطقه ذكر ، ونظره اعتبار وهو خير رجل خرج للناس وأمته خير أمة أخرجت للعالمين ، يأمر بالمعروف ، و ينهى عن المنكر ، « كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر »

أمين إذا اؤتمن عادل اذا حكم « ان الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات الى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل » .

صادق إذا حَدَّثَ ، مُوفٍ إذا وعد ، لا يخاصم . و إذا خاصم فمقتصد

فى الخصومة ، غير فاجر ولا مكابر ، يغض بصره ويحفظ فرجه ، ويكف يده قال النبى الكريم صلوات الله وسلامه عليه « اضمنوا لي ستاً من أنفسكم أضمن لكم الجنة ، اصدقوا اذا حدثتم واوفوا إذا وعدتم ، وأدوا إذا أؤتمنتم ، واحفظوا فروجكم ، وغضوا أبصاركم وكفوا أيديكم » .

يؤمن بالله وحده ليس له ند ولا شريك لا فى ذاته تعالى ولا فى صفاته و إذا سأل سأل الله وحده و إذا طلب طلب من الله وحده لا تسيطر على قلبه الأوهام ، ولا يؤمن بغير ذى الجلال والاكرام ، ويخلص العبادة لله والاستعانة بالله ، شعاره « إياك نعبد و إياك نستعين » ودثاره : « وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وان يردك بخير فلا راد لفضله يصيب به من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم »

يحافظ على صلواته لا يسهو عن واحدة منها . « فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون » ويخشع فى الصلاة ويطمئن ويخضع لله رب العالمين « قد أفلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون » .

يصوم رمضان إيماناً واحتساباً « يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم » .

ويحج البيت مخلصاً لله وحده « ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلاً ومن كفر فإن الله غنى عن العالمين »

يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله وبالقدر خيره وشره ، وباليوم الآخر .

طيب المأكل والملبس لا يبخس الناس أشياءهم ولا ينقص المكيال والميزان . و إن كان غنياً شكر ، و إذا كان فقيراً صبر ، لا يماطل فى اليسر ولا يجزع فى العسر ولا ينفق ماله فى محرم سهل فى البيع ، سهل فى الشراء

سهل فى التقاضى والقضاء ، حسن الخلق طيب النفس خِصْبُ الروح ، يعاشر الأخيار و يتجنب مخالطة الأشرار ، سليم صدره من الغل والحقد والحسد ، يصبر عند المصيبة و يرضى بقضاء الله وقدره ، لا يسخر من الخلق ، ولا يحتقر احداً منهم . « يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيراً منهن »

ليس من صفاته الكبر والعجب والخيلاء ، ولا يتنابز بالألقاب ولا يغتب أحداً ، له وجه واحد ولسان واحد ، وقلب واحد ، إن أحب المرأ لا يحبه الا لله و إن أبغضه لا يبغضه الا فى الله . وأنه يحب لأخيه كما يحب لنفسه .

« لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه و يكره له ما يكره لها » .

لا يهجر مسلماً بغير عذر ولا يقطعه بدون سبب ، ولا يتتبع عورات المسلمين .

ولا يُرضى الخَلْقَ بما يغضب الخالقَ بل شأنه العكس فإن أرضى الآله فلا يبالى أيرضى غيره أم ليس راض .

يبر والديه ، ويصل رحمه ، ويربى أولاده وزوجته ، وخدمه ، على الدين ، ويعرف حق أخيه المسلم عليه ويسعى بين يديه ويقضى حوائج الناس بماله وبجاهه وينفس الكرب عنهم «من نَفَّسَ عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة » .

لا يخوض فيما لا يعنيه ولا يلغو فى القول ولا يشتغل بعيوب الناس عزيز عليه إيمانه و إسلامه ولا يؤذى أولياء الرحمن . يكره أن يعود فى الكفر كما يكره أن يرمى فى النار .

اذا ذُكِر الله وجل قلبه ، واذا تليت عليه آيات الرحمن زادته إيماناً .

« وبشر المخبتين الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم والمقيمى الصلاة ومما رزقناهم ينفقون » .

يمشى على الأرض هوناً ويبيت لربه ساجداً ، قائماً ، ويستغفر ربه بالاسحار ويذكر الله الليل والنهار .

يكرم الضيف ويحسن الى الجار ولو جارَ معه . ولا يقتل النفس التى حرم الله الا بالحق ، ولا يأكل أموال الناس بالباطل فلا يغتصب أرض أحد ولا حقه ولا يأكل الربا ولا يطعمه ، ولا يكتبه ولا يأكل أموال اليتامى والأرامل ولا يقبل أن يكون راشياً ولا مرتشياً ولا رائشاً (وهو المتوسط بينهما) .

يجاهد فى الله حق جهاده ، يرهب من الفرار يوم الزحف الأكبر ، ويرى الإستشهاد فى سبيل الله عذباً سائغاً ويرهب من الخصومة الباطلة ولا يجعل الله عرضة ليمينه.

هين لين وإذا سيم خسفاً وبُغى عليه انتصر وزمجر وأصبح أسداً هزبراً .

ضحوك السن إن أمروا بخير وعند الشر مطراق عبوس

يحب معالي الأمور ويكره سفسافها « لا يبيع نصيب يومه بحرمان غده ، إن اؤتمن على الأسرار قام بها ، وإن قُلِّدَ مهماً من الأمور أجزء فيه ، له لسان مع أدب وحكمة تكفيه اللحظة وترشده السكتة » .

وَفِيٌّ وقور ، حليم صبور ، يحترم الناس ، فيوقر كبيرهم ، ويكرم صغيرهم يهوى العلم والعلماء ، ويحب مجالسة أهل الفضل والتقى منهم.

يرحم الفقراء ويواسى الضعفاء وينفق فضل ماله فى سبيل الله ، ويؤدى الزكاة الشرعية .

آلف مألوف ليس بالفظ ولا الغليظ يلقـاك بالبشر ويودعك بالتحية والسرور ، ويحفظ غيبك ، ولايذكر عيبك ، وإن أحسنت اليه فقد ملكته، وان أحسن اليك لا يرى أنه صنع شيئاً . ويترفع عن ان يبطل فضله بالمن والأذى .

يحب أن يكون تقياً خفياً يأبى الظهور خشية أن يعتريه الغرور . لا يرائى ، ولا يمارى ، ولا يداجى ، ولا يجامل فى الباطل . يقول الحق إذا علمه . مؤمن بالنصر واثق بتأييد الله له ماثبت على طاعة الله ورسوله ويخذلان الله له ما عصى الله ورسوله .

هذا بعض ما يجب أن يتصف به المؤمن بالإسلام ورسول الملك العلام، محمد المصطفى صلى الله عليه وسلم وهذا هو الخلق القرآنى ولقد كانت الصديقة بنت الصديق موفقة غاية التوفيق حينما وصفت خلق النبى الكريم وقالت «كان خلقه القرآن ألم تقرأ قوله تعالى قد أفلح المؤمنون » .

فما قولكم أيها المسلمون فى رجل اتصف بهذه الأوصاف ؟ ألستم ترون معى أنه الرجل المثالى الكامل فى الحياة، وأنه القدوة الصالحة ، والمثل الكامل للانسانية الحقة . فهذه الأخلاق هى أخلاق المسلم الحقيقى العامل بكتاب الله والمقتفى لآثار رسول الله (ص) .

ألستم ترون معى كذلك أن مثل هذا الرجل هو (السو برمان) الكامل الذى اختلف الأوربيون فى وصفه وشكله . ولم يجدوه حتى الآن !

ألستم ترون معى أنه خير من يعمر الأرض وينشر العدل والحب والطمأنينة فيها .

أنه المسلم الحقيقى هذا الذى أصفه لكم ، أما مسلموا اليوم فهم

مزيفون كالنقود الزائفة وهم اشباه المسلمين وليسوا بالمسلمين الحقيقيين ولوكانوا مسلمين حقاً لما رأينا هم بالحال التي هم عليها الآن، بل كان الله ينصرهم ويؤيدهم على عدوهم على كل حال ، نسأل الله ان يهدينا بهداية القران ويوفقنا لاتباع من أنزل عليه القرآن سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .

فقد تركنا هدى الله ، وهدى رسوله وأصبحنا نرى المنكر معروفاً ، والمعروف منكراً . وضاعت مقاييس الفضيلة والرذيلة ، فظهر المفسدون ، واختفى الصالحون ، وبرزت الرذيلة وأسفرت عن سوآتها ، واختفت الفضيلة مع جمالها وحسناتها. ولا عاصم لنا مما نحن فيه إلا بالتخلق بالأخلاق الاسلامية والتأدب بالآداب الربانية ، والمسلم الحقيقي أسعد وأكرم ، وأجل ، وأفضل إنسان عرفه الوجود .

اما أكثر مسلمي اليوم فهم في صورة المسلمين ولو رجعوا الى حقيقتهم الأولى لكانوا غيرهم اليوم ولعمروا الأرض بالفضائل مرة أخرى جعلنا الله منهم أجمعين .

التوبة...

من رحمة الله بعباده أنه لم يأخذهم بذنوبهم معجلاً لهم العذاب ، إنما يؤخرهم و يصبر عليهم ، و يضع بين أيديهم الفرص الكافية للتوبة والإنابة والرجوع اليه تعالى ، فإن تقربوا اليه شبراً تقرب اليهم ذراعاً ، وان تقربوا اليه ذراعاً ، تقرب اليهم باعاً ، وان أقبلوا اليه عز وجل يمشون أقبل اليهم يهرول فرحاً بتوبة عبيده اليه و إستغفارهم له ، ورجوعهم اليه . وهو الغنى عنهم ولكنه تعالى بر كريم ، ورب غفور رحيم لا يرضى لعباده الكفر ولا الفسوق ولا العصيان .

ومن رحمة الله بعباده أن فتح لهم باب التوبة ودعاهم الى الدخول فيه ورغبهم فيما عنده من رحمة واسعة ومغفرة دائمة ، واغلق أبواب الجنة فى الدنيا الا باب التوبة فانه تعالى أبقاه مفتوحاً لعباده التوابين الأوابين المنيبين اليه ، ليدخلوه أنّى شاؤا و يتمتعوا برضى مولاهم فى جنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين .

ومن رحمة الله بهذه الأمة الإسلامية المباركة أن وضع عنها إصرها والأغلال التى كانت على غيرها من الأمم السالفة وجعلها أمه وسطاً لتكون شهيدة على الناس .

وقد خفف عنها فى التوبة أثقالاً كانت على غيرها من الأمم .

فبنو اسرائيل كان أحدهم اذا عصى ربه وخالف أمر خالقه ثم بدا له أن يتوب و يرجع الى ربه فما عليه الا أن يقتل نفسه طائعاً مختاراً ليقبله الله

ويعفوا عنه ذلك ما وصى به موسى قومه وأمرهم به .

قال تعالى : « وإذ قال موسى لقومه يا قوم إنكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا الى بارئكم فاقتلوا أنفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم فتاب عليكم إنه هو التواب الرحيم » .

أما الأمة الإسلامية فالله عز وجل يقبل منها التوبة بمجرد الإنابة اليه والإقلاع عن الذنب فلطف بها، وعطف عليها، وقبل منها توبتها واستغفارها بعد إذ أوجبها عليها ورغبها فيها .

قال النووى : قال العلماء : التوبة واجبة من كل ذنب فان كانت المعصية بين العبد وبين الله تعالى لا تتعلق بحق آدمى فلها ثلاثة شروط :

أحدها أن يقلع عن المعصية ، والثانى أن يندم على فعلها ، والثالث أن يعزم أن لا يعود اليها أبداً ، فان فقد أحد الثلاثة لم تصح توبته . وان كانت المعصية تتعلق بآدمى فشروطها أربعة : هذه الثلاثة — التى ذكرناها — وأن يبرأ من حق صاحبها ، فان كانت مالاً أو نحوه رده اليه ، وان كان حدّ قذفٍ مكّنه منه أو طلب عفوه ، وان كان غيبة استحله منها ، ويجب أن يتوب من جميع الذنوب فان تاب من بعضها صحت توبته عند أهل الحق من ذلك الذنب وبقى عليه الباقى .

وقد تظاهرت دلائل الكتاب والسنة واجماع الأمة على وجوب التوبة من كل ذنب . فالمؤمن الذى قد تجنح نفسه الى الشر فتقترف إثماً أو تكسب خطيئة فما عليه إلا المبادرة الى التوبة ، ليغسل عنه ما أصابه من درن المعصية وأوضار الخطيئة فإن التوبة تغسل الحوبة وتصقل القلب وتمسح عنه رين المعصية وآثارها السوداء التى تتركها على قلب المؤمن ففى الأثر أن المؤمن اذا اذنب ذنباً كانت نكتة سوداء فى قلبه ، فإن تاب واستغفر صقل منها قلبه، وأن

زاد زادت حتى يغلف قلبه بالسواد وذلك الران الذى قال الله فيه : « كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون .

وكان المؤمنون يتوبون الى الله و إن لم يذنبوا اذ أنهم يرون أنفسهم مقصرين ولم يبلغوا حد الشكر مهما صنعوا من معروف فهم دوماً فى ذكر واستغفار ، ونظر واعتبار و يتوبون الى الله مما يعلمون من ذنوبهم ومما لا يعلمون .

والرسول الكريم الذى غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر كان يتوب الى الله و يستغفره فى اليوم مائة مرة ، و يوصى الناس بذلك فقد ورد عن عن الأغر بن يسار المزنى رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا أيها الناس توبوا الى الله واستغفروه فانى أتوب فى اليوم مائة مرة » رواه مسلم .

والله عز وجل أوصانا بالتوبة النصوح فقال :

« يا أيها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحاً »

وقال عز من قائل : وتوبوا الى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون »

فالفلاح منوط بالتوبة ، والتوبة النصوح هى التوبة الصادقة المنبعثة عن نفس نادمة ، وقلب منكسر خاشع لله رب العالمين ، ثابت على الإيمان الصادق لا يعود الى الذنب مهما أغواه الشيطان وزين له عمله .

ومن كرم الله بهذه الأمة أن قبل منها توبتها ، و بدل بعد التوبة سيآتها حسنات ، فكل من تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً فقد فاز ونجا وأثابه الله على توبته أجراً عظيما ،

قال الله سبحانه وتعالى فى صفة عباد الرحمن الأبرار : « وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما .

والذين يبيتون لربهم سجداً وقياماً ، والذين يقولون ربنا أصرف عنا عذاب جهنم ان عذابها كان غراماً ، إنها ساءت مستقراً ومقاماً ، والذين إذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً ، والذين لا يدعون مع الله آلهاً آخر ولا يقتلون النفس التى حرم الله إلا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاماً يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا ، إلا من تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً فأولئك يبدل الله سيآتهم حسنات وكان الله غفوراً رحيماً »

فالتوبة التى يتقبلها رب العزة هى المصحوبة بالإيمان العميق والعمل الصالح والندم على ما فات من تفريط فى جنب الله .

ولمثل هؤلاء التائبين السعادة والهناء والله سبحانه من رحمته يبسط يده بالليل ليتوب مسىء النهار ، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسىء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها .

فالمسلم الواعى هو الذى يغتنم الفرص ، وينال من فيض رحمة الله عز وجل ، وينهل من معينها العذب الصافى قبل فوات الأوان فاليوم عمل ولا حساب ، وغداً حساب ولا عمل . والله سبحانه يتوب على من تاب ، ويغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم .

وقد فهم السلف الصالح هذا المعنى فكان أحدهم من الرجال والنساء ان زلت به القدم ، وأغواه شيطان فأنساه ذكر ربه وأعانه على المعصية غلب الشيطان بالتوبة وبادر الى الاستغفار من ذنبه بل قد يجود بنفسه رخيصة فى سبيل الله لأنه يعلم أن عذاب الدنيا مهما كان أليماً فهو الى انتهاء ، أما عذاب الآخرة فهو العذاب المقيم وفيه الألم المبرح ولعذاب الآخرة أشد وأبقى .

ورد عن أبى نجيد عمران بن الحصين الخزاعى رضى الله عنهما : أن

امرأة من جهينة أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهى حبلى من الزنا فقالت : يا رسول الله أصبت حداً فأقمه عليَّ فدعا نبى الله صلى الله عليه وسلم وليها فقال : أحسن اليها فإذا وضعت فأتنى بها ففعل ، فأمر بها نبىُّ الله صلى الله عليه وسلم فشدت عليها ثيابها ثم أمر بها فرجمت ثم صلى عليها فقال له عمر : تصلى عليها يا رسول الله وقد زنت ؟ فقال : لقد تابت توبة لو قُسِمت بين سبعين من أهل المدينة لوسعتهم وهل وجدت أفضل من أن جادت بنفسها لله عز وجل » رواه مسلم

وهكذا يفعل الايمان يجعل صاحبه يجود بالنفس فى سبيل رضا الله وهو أقصى غاية الجود .

فيا أيها المؤمنون بادروا بالتوبة قبل الفوات وأعلموا ان آجالكم ليست بأيديكم ولا ملكاً لكم ، فلا تعلم نفس ما تكسب غداً ، ولا تعلم نفس بأى أرض تموت . ولا تقولوا ندع التوبة الى الكبر فنحج حجة ونتوب ونستغفر بعد أن نمتع أنفسنا بشبابنا ، فمن يضمن لكم أنكم ستتمكنون من الحج والتوبه . وهل ضمنتم حفظ أنفسكم من أحداث الدهر وصروفه وغِيَرِ الزمن ؟ حتى تقولوا مثل هذا القول المنكر ، وفى قلب كل واحد من البشر دقات تنذره بقرب الخطر كما قال الشاعر :

دقات قلب المرء قائلة له إن الحياة دقائق وثوانى

والرسول الكريم قد أمرنا بتعجيل التوبة قبل الموت ، وان نبادر بالأعمال الصالحة والانابة الى الله عز وجل .

فمن خطبة للنبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أيها الناس توبوا الى الله قبل أن تموتوا و بادروا بالأعمال الصالحة قبل أن تشغلوا وصلوا الذى بينكم

و بين ربكم بكثرة ذكركم له و كثرة الصدقة فى السر و العلانية ترزقوا و تنصروا و تجبروا » .

والله سبحانه يفرح بتوبة عبده لأنه بعباده رؤف رحيم و بر كريم .

ورد عن أبى حمزة أنس بن مالك الأنصارى خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لَلّهُ أفرح بتوبة عبده من أحدكم سقط على بعيره (أى وجـده) وقد أضله (أى أضاعه) فى أرض فلاةٍ ، متفق عليه .

وفى رواية مسلم : لله أشد فرحاً بتوبة عبده حين يتوب اليه من أحدكم كان على راحلته بارض فلاةٍ فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه فأيس منها فأتى شجرة فاضطجع فى ظلها . وقد أيس من راحلته فبينما هو كذلك إذ هو بها قائمة عنده فأخذ بخطامها ثم قال من شدة الفرح : اللهم أنت عبدى وأنا ربك أخطأ من شدة الفرح .

فبادروا أيها الناس بالتوبة قبل فوات الأوان فالله سبحانه يقول : وليست التوبة للذين يعملون السيئآت حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إنى تبت الآن »

رزقنا الله التوبة الصادقة وثبتنا و إياكم بالقول الثابت فى الحياة الدنيا و يوم يقوم الأشهاد والحمد لله رب العالمين .

أهل الذمـــة

أو الأقليات فى الإسلام

جزى الله عنا الإسلام ونبى الإسلام كل خير فإنه لم يترك ناحية من نواحى الحياة المتعددة والمتشابكة معاً إلا ووضع لها العلاج الناجع ، والدواء الشافى ، ورسم لنا المناهج التى توصلنا الى الحياة السعيدة المجيدة ، التى يسودها الحب والوئام ، والتعاطف والتراحم والاحسان • سواء فى ذلك المسلمون وغير المسلمين .

ولما كان الإسلام دين هداية لا دين جباية فإنه كان يدعو الناس أول ما يدعوهم الى الإسلام ليدخل النور الى قلوبهم ، فإن أجابوا كفوا المسلمين عن قتالهم وتآخوا معهم وأصبحوا كالجسد الواحد لا فضل لأحدهم على الآخر إلا بالتقوى .

وقد ثبت ان النبى صلى الله عليه وسلم ما قاتل قوماً حتى دعاهم الى الإسلام. وان امتنعوا دعوهم الى أداء الجزية ، فإن بذلوها وقبلوا بها فقد عصموا بها أموالهم وأنفسهم واصبحوا فى عهدة المسلمين ، يحمونهم ويذبون عنهم ، ويحرسونهم ، وهم آمنون فى دورهم متمتعون بتجارتهم وأعمالهم ، بل أصبح لهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين سواء بسواء .

قال الإمام علي كرم الله وجهه: إنما بذلوا الجزية ليكون دماؤهم كدمائنا وأموالهم كأموالنا ، وإذا رأى الإمام أن يصالح أهل الحرب أو فريقاً منهم

فعل لقوله تعالى « وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله ».

فأهل الذمة (أى العهد) هم الذين يُعْطَوْنَ الأمانَ المؤبد على أرواحهم وأموالهم ويكون لهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين !

والمعاهدون هم المصالحون الذين يعطى لهم الأمان الموقت على أموالهم وأبدانهم ، ولقد سار الإسلام ثابتاً على العهد ، مخلصاً الى صحبه . ولقد جرب غير المسلمين الحياة مع المسلمين فما وجدوا حياة أهنأ منها ولا أنعم . ولم يجدوا أصدق من المسلمين عهداً ووعداً ، بل وجدوهم أولئك الأوفياء الأصفياء ، الذين جرد الله من قلوبهم الحقد والأنانية ، وطبع نفوسهم على الإحسان والاكرام ، خاصة لمن هم فى عهدهم وذمتهم من أهل الكتاب .

ولقد عاهد المسلمون حتى اليهود ، وهم أشد أعداء الله ورسوله وكتابه والنبيين بل والناس أجمعين ، وصدق المسلمون مع اليهود واوفوا بعهدهم ، ولم ينبذوا اليهم عهدهم الا بعد أن خانوا الله ، وخانوا الرسول والمسلمين ، وأعانوا المشركين عليهم فى السر والعلن ، فاضطر المسلمون الى نبذ عهدهم — مقابلة بالمثل — وتنظيم الحملة عليهم ، ومع كل هذا فبعد أن أظفر الله المسلمين عليهم عفا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بعضهم وأجلى البعض الآخر مما هو معروف فى كتب السيرة النبوية المطهرة .

لقد كان المسلمون ولا يزالون شرفاء نبلاء فى معاملة أهل الذمة الذين يعتبرون من الأقليات فى بلادهم فى القديم والحديث ، وقداستمدوا هذا النبل من وحى قرآنهم العظيم الذى يأمرهم بالعدل والإحسان والوفاء بالعهد مع الناس أجمعين . ويأمر المسلم بالعدل على كل حال ومع كل أحد حتى مع أعدائه ومبغضيه ! قال تعالى : « ولا يَجْرِمَنَّكُمْ (أى يحملنكم) شَنَآنُ (أى بغض) قوم على أن لا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى » .

وأمرنا بالإحسان فى كل شىء وعلى كل شىء حتى مع الحيوان الأعجم فضلاً عن الإنسان المكرم ، والله جلت قدرته لم ينهنا عن البر مع أهل الكتاب وهم أهل الذمة شريطة أن لا يقاتلونا فى الدين ولا يريدون أخراجنا من ديارنا او يظاهروا على اخراجنا أعداءنا. فإن ساروا معنا بهذا الصفاء أحسنا إليهم وأقسطنا معهم والله يحب المقسطين، قال تعالى: «لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين».

ونهانا الإسلام عن إيذاء الذمى فى نفسه أو ماله ، فحرام على المسلمين أن يمدوا أيديهم بسوء الى أحد ممن هم فى عهدنا وعهدتنا واذا آذوا أحداً فقد خالفوا سنة الرسول صلى الله عليه وسلم وسنة الإسلام وآذوا رسولهم الحبيب الذى حفظ حقوق أهل الذمة ، وأوصى بهم خيراً وجعل لهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين ، وقال عليه صلوات الله وسلامه : « من آذى ذمياً فقد آذانى » .

وهذا المعنى السامى والمساواة فى الحقوق بين الأقلية والأكثرية ، والضعفاء والأقوياء لم يجده أهل الكتاب أنفسهم الا فى ظل الإسلام الوارف فانهم (أى أهل الذمة) قد مرت عليهم كوارث وأحن صبها عليهم حكامهم الظالمة ، وقياصرتهم المتجبرون حتى ضاقوا بهم ذرعاً وأصبحت حياتهم فى جحيم لا يطاق ، فلما فتح الله البلاد على يد أرحم الفاتحين فى العالم تنفسوا الصعداء ودخل حب الأسلام والمسلمين فى قلوبهم ، فمنهم من آمن فسر بهم المسلمون لأنهم بعثوا هداة لا جباة لذا كان يسرهم إسلامهم ولا يهمهم أمر الجزية بشىء أبداً . حدث الطبرى عن زياد بن جزرا الزبيدى ، قال :

« جمعنا فى مصر ما فى أيدينا من السبايا ، واجتمعت النصارى ، فجعلنا نأتى بالرجل ممن فى أيدينا ثم نخيره بين الإسلام و بين النصرانية ، فإذا اختار

الإسلام كبرنا تكبيرة ، وهى أشهر من تكبيرنا حين نفتح القرية .

قال ثم نحوزه الينا ، و إذا اختار النصرانية نخزت النصارى ثم حازوه اليهم ووضعنا عليه الجزية وجزعنا من ذلك جزعاً شديداً ، حتى كأنه رجل خرج منا اليهم » .

و بمثل هذا إنتشر الاسلام ثم حصل الوئام التام بين المسلمين وغير المسلمين ممن هم فى كنفهم ، وعهدهم ، ولسمو أخلاق المسلمين ، وطيب معاملاتهم أحبهم أصحاب الأديان الأخرى ، و بلغ من حبهم بهم أن تمنوا لهم النصر على أقوامهم وحادثة حمص ليست بغريبة على المؤرخين ، فكلهم يعلم أن المسلمين حينما جمعوا منهم الجزية ، ثم علموا بأن عدواً قوى الشكيمة ، وافر العدد والعُدد ، قد تهيأ لهم . إستعدوا له . ولكنهم قبل أن يبدأوه بالحرب أرجعوا ما جمعوه من أموال الجزية من النصارى وقالوا لأهل حمص : إنا قد أخذنا الجزية منكم على أن نحميكم مما نحمى منه أنفسنا ، أما وقد علمنا بوفرة العدو فنخشى أن لا نقوم بواجب حمايتكم فتكون أموالكم علينا حسرة و إثماً فأرجعناها اليكم .

لما رأى أهل البلد وهم نصارى هذا الخلق الكريم وهذه الأمانة العجيبة أخذوا يدعون للمسلمين بالنصر والتأييد ، وقد نصرهم الله على عدوهم فأصبحوا من الفائزين .

بمثل هذه الأخلاق عامل المسلمون أهل الذمة فعاش أهل الذمة ، فى رغد من العيش ، وملكوا الأموال الطائلة ، واستحوذوا على التجارة والمسلمون فى الثغور وأمام خطوط النيران ، والمسلمون يخرجون من أموالهم الزكاة وهى مقابل الجزية من غير المسلمين .

وحوادث التاريخ التى تبين لنا عدل المسلمين فى معاملة الأقليات

وحسن أخلاقهم معهم كثيرة لا تحصى ، ولا تزال فى عصرنا هـذا نرى فى جميع البلاد الاسلامية تقريبا أقليات تتمتع بحقوق وامتيازات قد تفوق حقوق المسلمين أنفسهم أو هم مساوون لهم فى كل شىء ، وآمنون على حياتهم ، وأموالهم ، ويتمعون بمكانتهم الاجتماعية ، وحقوقهم ، وحرياتهم الدينيـة والدنيوية . فالاسلام دوماً وأبداً مع السماحة واليسر والاحسان يحسـن مع المستحق للاحسان ومع غير المستحق لأن طبعه الاحسان ، وهو خلق القرآن ووحيه الذى ربى عليه أبناء هذا الدين الخالد ، والرسالة السماوية الباقيـة ما دامت السماوات والأرض ، والله غالب على أمره ولـكن أكثر الناس لا يعلمون .

بطلان من أبطال الاسلام

من أهم ما يجب أن يتدارسه المسلمون اليوم ، تاريخهم المجيد وسِيَرُ أبطالهم العظماء ، مكتوباً بأقلام مؤمنة ، وصادراً عن قلوب مسلمة لم يُعمِها الهوى ، ولم يصمها التعصب الذميم ، فإنه قد وضع بيننا و بين تاريخنا أستار وسُجُفْ ، حجبت نوره عنا ، و باعدت بيننا و بينه ، فما أحرانا اليوم ونحن على أبواب نهضة إسلامية جديدة ، بدراسة هذا التاريخ الفخم وعرضه للناس ، عرضاً جديداً ، يكشف عن أسراره وعظمته ، فترى الأمة ماضيها منه لتقيس عليها حاضرها وتوجهه تلك الوجهة الصالحة الصادقة ، وتتدارس سير أبطاله لتبعث فى النشأ روح البطولة ، ومعانى التضحية والجهاد ، وودت اليوم أن أحدثكم عن بعض أبطالنا وشهدائنا لتكون فى ذلك الذكرى لمن كان له قلب أو القى السمع وهو شهيد .

البطل الأول : جعفر ابى طالب .

جعفر بن أبى طالب ابن عم النبى الحبيب وأخو علي بن أبى طالب رضى الله عنه أسلم وهو شاب فى الثامنة عشرة من عمره ، ولكنه ذاق طعم الايمان وعرف معنى الاسلام فثبت على دينه واستقام على عقيدته ، فاستهان بالعذاب الذى أصابه فى هذا السبيل النبيل .

كان جعفر رضى الله عنه ممن عذب فى إسلامه ، وأوذى فيه ، فهاجر الى الحبشة فيمن هاجر إليها من أوليك النفر من شباب الاسلام وجنوده الغر الميامين وقد أرسلت قريش بعد هجرة هذا النفر الى الحبشة عبدالله

بن أبي ربيعة ، وعمرو بن العاص ، وأرسلت معهما الهدايا والعطايا ظناً منها أن لعاب النجاشي سيسيل لهذه الهدايا ، فيرد من هاجر إليه من المسلمين ، لتفعل بعد ذلك قريش بهم الأفاعيل وتشفي غليلها بجنود محمد واتباعه .

ولما وصلا إليه إتصلا به وقالا للنجاشي : « أيها الملك ، إنه قد ضوى إلى بلدك منا غلمان سفهاء ، فارقوا دين قومهم ، ولم يدخلوا في دينك ، وجاءوا بدين ابتدعوه لا نعرفه نحن ولا أنت ، وقد بَعَثَنَا إليك أشراف قومهم ، من آبائهم ، وأعمامهم ، وعشائرهم لتردهم عليهم » .

فأبى النجاشي تسليمهم إليهما حتى يأتي بهم ويسألهم عما يقولان فيهم.

ثم أرسل إليهم فسألهم عن الدين الذي فارقوا فيه قومهم ، ولم يدخلوا في ملة من الملل . فقال له جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه : « ايها الملك كنا قوماً أهل جاهلية ، نعبد الأصنام ، ونأكل الميتة ، ونأتي الفواحش ، ونقطع الأرحام ، ونسيء الجوار ، ويأكل القويُّ منا الضعيف ، فكنا على ذلك حتى بعث الله الينا رسولاً منا ، نعرف نسبه ، وصدقه ، وأمانته ، وعفافه فدعانا الى الله لنوحده ، ونعبده ، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه ، من الحجارة والأوثان ، وأمرنا بصدق الحديث ، وأداء الأمانة ، وصلة الرحم ، وحسن الجوار ، والكف عن المحارم ، والدماء ، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام ، فصدَّقناه ، وآمنا به ، فعدا علينا قومنا ، فعذبونا ، وفتنونا عن ديننا ، ليردونا الى عبادة الأوثان من عبادة الله تعالى ، فلما قهرونا وضيقوا علينا ، وحالوا بيننا و بين ديننا ، خرجنا الى بلادك ، وأخترناك على مَنْ سواك ورجونا الأَ نُظلَمَ عندك أيها الملك .

فلما سمع النجاشي هذا الكلام العذب وهذه المعاني السامية ، التي لخص فيها جعفر الاسلام ورسالته الخالدة ، رد الهدايا الى الرسولين ، وأبى أن يسلم اليهما

أحداً من أولئك المسلمين الفارين بدينهم فى سبيل الله .

ومكث جعفر بن أبى طالب هو وإخوانه بالحبشة الى أن كانت السنة السابعة من هجرة النبى صلى الله عليه وسلم الى المدينة المنورة فهاجروا من الحبشة الى المدينة بعد أن مكثوا فيها عشر سنين آمنين مطمئنين فى كنف النجاشى الذى هداه الله الى الاسلام فيما بعد .

وقد تلقى النبى صلى الله عليه وسلم جعفراً عند قدومه فقبله بين عينيه وكان قدومه بعد فتح خيبر فقال : ما أدرى بأيهما أنا أشد فرحاً؟ بقدوم جعفر، أم بفتح خيبر .

وبعد أن رجع جعفر رضى الله عنه وأرضاه ، أخذ يشارك إخوانه من المهاجرين والأنصار فى الجهاد ، ولما كانت السنة الثامنة من الهجرة أرسل النبى صلى الله عليه وسلم جيشاً الى الروم ليقتصوا ممن قتلوا الحارث بن عمير رسوله الى أمير بصرى ، وكان عدد جيش المسلمين ثلاثة آلاف رجل ، وأَمَّرَ الرسول عليهم زيد بن حارثة ، وقال لهم : إن أصيب زيد فالأمير جعفر ابن أبى طالب ، فإن أصيب جعفر ، فالأمير عبدالله بن رواحة .

فساروا حتى وصلوا مُؤْتَةَ وهى قرية معروفة بمشارف الشام (وتقع الآن فى الأردن قرب مدينة الكرك) فوجدوا أن الروم قد جمعوا لهم الجموع حتى بلغوا ما يقرب من مائتى ألف رجل، فاصبحوا يزيدون المسلمين سبعين ضعفاً ومع هذا فقد قاتلهم المسلمون ولم يرهبوا جموعهم المحتشدة وكثرتهم الساحقة ، وشاء الله أن يُقْتَلَ زيد بعد قليل من المعركة ، فنهض مكانه ، جعفر وطار الى الراية طيرانا فأخذها وهو يقول :

يا حبذا الجنةُ واقترابُها ... طيِّبةً وبارداً شرابُها

والروم روم قد دنا عذابها ... كافرةً بعيدةً أنسابها

علىَّ إذ لاقيتها ضرابها

ثم قاتل رضى الله عنه حتى قطعت يده اليمنى، فأخذ اللواء بيده اليسرى، واستمر يقاتل ويجاهد حتى قطعت أيضاً فاحتضن اللواء بعضديه ، ومكث يقاتل حتى استشهد فى سبيل الله وطار الى الجنة بجناحين بعد أن أصابه ما يقرب من تسعين جراحة ، ما بين ضربة بسيف وطعنة برمح .

وكانت سنه عند موته ثلاثا وثلاثين سنة وقيل قد استوفى الأربعين وعلى كلا الحالين فهو شاب فى ريعان الشباب .

ولم يمكث جعفر رضى الله عنه بين إخوانه إلا قرابة سنة وكأنه لم يأت من الحبشة إلا ليستبدل بغربتها غربة الموت الأبدية ، وليموت هذه الموتة الشريفة النبيلة ، وقد عظم على المسلمين مصابه ، وكان وقعه على النبى صلى الله عليه وسلم أشد وأعظم ، وقد كان يحبه حباً شديداً لأنه أشبه النبى صلى الله عليه وسلم فى الخَلْقِ والخُلُقِ وكان يقول له : أشبهت خلقى وخلقى .

كما كان يكنيه أبا المساكين ، لأنه كان خير الناس لهم ، وكان يحبهم ويجلس اليهم ويخدمهم ويخدمونه ، فأحبوه وتعلقوا بشمائله وعطفه ، فحزنوا عليه حزناً شديداً ، بل حزن كل مسلم على فقده ، فذهبت نفسه رضى الله عنه راضية مرضية فدخلت فى عباد الله واستقرت فى جنة الله عز وجل الخالدة.

وقد رآه الرسول صلى الله عليه وسلم فقال : رأيت جعفر بن أبى طالب ملكاً يطير فى الجنة مع الملائكة بجناحين .

البطل الثانى : زيد بن حارثة .

وهو حِبُّ النبى صلى الله عليه وسلم وصاحبه الأمين أسلم وهو فى حدود العشرين سنة من عمره وقد أسلم بعد أبى بكر وعلي رضى الله عنهما وأقام بمكة مع النبى صلى الله عليه وسلم الى أن هاجر الى المدينة فهاجر اليها فيمن هاجر من المسلمين وكان رضى عنه من أعظم المجاهدين كفاية ، وشجاعة ، واقداماً ،

عرف النبي صلى عليه وسلم فضل كفايته ، فكان لا يخرجه فى سرية الى القتال إلا جعله أميراً عليها ، وكان يقول له : وأيمُ الله إن كان لخليقاً للامارة وإن كان لَمِنْ أحب الناس اليَّ .

وقصته مع زينب وزواجه بها بأمر من الله مشهورة معروفة وقد استشهد فى معركة مؤتة قبل استشهاد جعفر . فحزن عليه المسلمون وعم المصاب فيه وحزن عليه النبي حزناً شديداً ومما قاله حسان بن ثابت فى رثائه :

عينُ جودى بدمعك المنزور (١) واذكرى فى الرخاء أهل القبور
واذكرى مؤتة وما كان فيها يوم راحوا فى وقعة التغوير (٢)
حين راحوا وغادروا ثم زيداً نعم مأوى الضريك (٣) والمأسور
حبَّ خير الأنام طُراً جميعاً سيدِ الناس حُبَّه فى الصدور
ذاكمُ أحمدُ الذى لا سواه ذاك حزنى له وسرورى
إن زيداً قد كان منا بأمر ليس أمر المكذَّب المغرور

(١) القليل . (٢) الاسراع والانهزام . (٣) الفقير .

المساجد وأثرها
فى الحيـــاة الإسلامية

أيها المسلمون الأبرار :

ها هو ذا الشهر البهيج رمضان الهادى الوديع يودع أصحابه ويودعونه وهم بالحزن غارقون ولفراقه مكتئبون ، يسير الآن مودعاً بعد ان القى عن كاهله امانة الرسالة الروحية . فبعث الى النفوس هداها والى الأرواح رشدها وللقلوب رقتها وذكر ما وسعه أن يذكو ثم انار للبصائر سبل الخير وطرق الكمال الانسانى ، واذل وكبح من جماح شهوات النفوس العاتية . فعل هذا ثم أعقبه بتغذية الارادة الانسانية ورفع شأنها واعزازها ، تلك التى ما ارتفعت فى انسان إلا رفعته معها صاعداً فى مدارج الكمال ، ولا فى أمة إلا دفعت نظرها الى التطلع صوب المثل العليا. هو ذا يودع واوشكت المساجد من بعده أن تودع روادها الجدد . وقصادها الوقتيين من (التقاة الموسميين) ولكنها لهذا التوديع آسفة ولفراق رمضان كاسفة ، رمضان الذى أذكرها بسوالف ايامها البيضاء وأعاد لها شيئاً من مجدها وعمرها أى تعمير فهى عليه جزعة ، فاصبرى أيتها المساجد وصابرى، فلك الله يا بيوت الله من بعد رمضان ولك الصادقون الثابتون من المؤمنين الذين اتقوا ربهم باحسان ولم يتحولوا أو يتبدلوا تبديلا فينقلبوا خاسرين .

للمساجد فى تاريخ الحياة الاسلامية مجد وأى مجد وأهمية ولا كأهميتها

فى عصرنا هذا فقد كانت مراكز الخلفاء والوزراء والامراء يخطبون فيها كلما حزبهم أمر أوعرض لهم مبهم ، وكانت مستقر العلماء والشعراء ، ومدرسة المتعلمين والمتأدبين من مناهلها يرتشفون وفيها ينبغون ، وكانت مكتبة حافلة بصنوف الكتب وهى للواردين والمترددين وكانت مجمع الناس فى الاعياد والمواسم ، وكانت دور الافتاء ، ومساكن الفقهاء ، و بيوت العلم والحكمة والفلسفة . فيها يجرى التعارف بين المسلمين وفيها تتصافح القلوب وتتصافى النفوس ، وتتوحد الكلمة وتمنو الرحمة و يزداد الاخاء وهى تنزع فى داخلها ما علق فى صدور الناس من غل وحقد خارجها فيها تنقى الأرواح من الخطايا كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس ، فتعرض الى الله بيضاء ناصعة خاشعة ، منها يصعد الكلم الطيب ، والعمل الصالح ترفعه ومن مآذنها ينبعث نور الايمان والدعوة ساطعاً متلألئاً وهاجاً ، ومنها مبدأ الوحدة والقوة ، يدخلها الداخل وهو فرد وكله فكر فى نفسه محيطها الضيق ، ويخرج منها وقد عمرت نفسه بحب الجماعة والتفكير فيها وصار هو واستشعر بأنه حجر فى بناء تلك الجماعة فيصبح معهم جسداً واحداً يؤلم سائر الأعضاء مايؤلم العضو الواحد منه و بالعكس ، هكذا ـ من ذلك الحين ـ تفعل المساجد فى النفوس . لذا كانت الصلاة فيها مع الجماعة تفضل باقى الصلوات سبعاً وعشرين مرة ، وكان اول عمل قام به مصلح الانسانية الأكبر رسولنا الأعظم صلوات الله وسلامه عليه حين الانقلاب الخطير فى تاريخ حياة الدين الاسلامى حين الهجرة الخالدة هو ان (بنى مسجد قباء) وصلى فيه قبل دخوله المدينة ، ولقد كان لبيته صلى الله عليه وسلم باب على المسجد ليدخل منه عند كل صلاة وليوجه الناس الى المساجد باعطائها هذه الأهمية الكبرى ثم كان هذا لأكابر الصحابة رضوان الله عليهم ، واقتدى بهم من بعدهم كثير من الخلفاء والأمراء فبنوا لقصورهم مساجد يقيمون فيها الصلاة

وما اليها من العبادات والطاعات .

هذا عهد المساجد أيها السادة من قبل ، فاين هى منا الآن . وأين نحن منها ؟ هى فى واد ونحن فى واد ، لقد هجرنا التوفيق مذ هجرناها ، وبعد عنا الخير مذ تباعدنا عنها ، وتهدم بنيان وحدتنا مذ تركناها مهدمة من غير تعمير روحى أو مادى ، فهيا لاعادة مجدها الغابر واعادة تعميرها باعتيادها وارتيادها دوماً — ليس فى رمضان فقط — لتنالوا كرم الله سبحانه وعطفه ولطفه ففى الحديث القدسى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : قال الله تعالى « ان بيوتى فى أرضى المساجد وان زوارى فيها عمارها ، فطوبى لعبد تطهر فى بيته ثم زارنى فى بيتى فحق على المزور ان يكرم زائره» . هذا من جانب المولى الكريم واما من الجانب الآخر فتنالوا به ثقة الناس ورضاهم وشهادتهم لكم بالايمان ففى الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « اذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا له بالايمان » .

عمروها بقصدها أيها المؤمنون فانتم منها كالزهر من الحديقة والروح من الجسد ، فما نفع الحديقة من غير زهر ؟ وما فائدة الجسد بلا روح ؟ والمساجد من غير المصلين ؟ وهذا لعمر الحق هو التعمير الحقيقى أعنى به تعميرها بارتيادها والعبادة خالصة لله عز وجل . وهذا هو الذى عناه المولى الكريم فى قوله — رداً على المشركين زعمهم الباطل فى ان قيامهم على المسجد الحرام وتعميرهم له مع شركهم وضلالهم كاف فى تخليصهم من عذاب الله ونقمته « إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى اولئك ان يكونوا من المهتدين »

وقد ذكر المفسرون « أن قد أقبل المهاجرون والأنصار على أسارى بدر

فيعيروهم فى الشرك وطفق علي بن أبى طالب رضى الله عنه يوبخ العباس على قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم وقطيعة الرحم وأغاظ فى القول فقال العباس : تذكرون مساوينا وتكتمون محاسننا ، فقال علي رضى الله عنه : أولكم محاسن قالوا : نعم ونحن أفضل منكم أجراً إنا لنعمر المسجد الحرام ونحجب الكعبة ونسقى الحجيج ونفك العانى » بعد هذه الحادثة ردهم الله تعالى بقوله : «حبطت أعمالهم» التى هى العمارة الظاهرية والحجابة وما اليهما . «وفى النار هم خالدون »، وهذه من قوله تعالى « ما كان للمشركين ان يعمروا مساجد الله شاهدين على أنفسهم بالكفر اولئك حبطت أعمالهم وفى النار هم خالدون ، انما يعمر . الآية »

فمن أسس تعميرها المهمة بل الجوهرية فيها هى بزيارتها وتوحيد العبادة فيها لله رب العالمين « وان المساجد لله فلا تدعو مع الله أحداً» ومحبتها والفها فعنه صلى الله عليه وسلم انه قال ! « من ألف المسجد ألفه الله » وليس من شك فى أن تعمير بنائها وفرشها وتأثيثها والعناية بها أمور داخليه ومشمولة فى الآية الكريمة آية التعمير .

فلو عنينا بهذه الناحية الاسلامية العناية الكاملة لأدرت علينا كثيراً من الخيرات ولسدت فراغاً واسعاً من جوانب أرواحنا ونفوسنا ، وليت المسجد الأن يعيد مجده فيقوم بما قام به سابقاً أو بما تقوم به (الكنيسة) الحاضرة .

ذكر أحد الأدباء المصريين ان مجلساً ضمه مع سيدة انجليزية فاضلة وكان مما جرى من الأحاديث بينهما ، التكلم عن التربية والتعليم وشؤونهما وخطر له أن يسأل السيدة عن برنامج التربية الدينية الأخلاقية فى بلادهم ليتعرف الى اشكالها وكيفيتها فقال لها :

ـــ ما برنامج الأخلاق والتربية الوطنية للمدارس الثانوية فى انجلترا؟

ـــ ليس لها فى المدارس برنامج معين ولا دروس خاصة ولكن تلقى فيها محاضرات مناسبات ، وأهم ما يقوم بهذه المهمة (الكنيسة) فهى تنظم دروساً للشباب والشواب فى هذا الموضوع ويقوم بها رجالها فيكفوننا بذلك مؤونة الدروس فى المدارس والقاؤها فى الكنائس يجعل لها معنى أجل واحتراماً أوفر وطعما أحلى .

هذا جوابها وكله عظة وذكرى لمن أراد أن يتعظ ويتذكر ، فمتى يقوم مسجدنا بهذه المهمة الاجتماعية الخطيرة ؟ فى رمضان ، نعم يؤدى جزء من هذه الرسالة والشهور الأحد عشر ماذا يصنع فيها (التقاة الموسميون) ؟ ولماذا لم يستمروا على زيارة بيوت الله ليهديهم الله ؟ ولماذا لم يغتنموا فرص الحياة ويتذكروا بقول سيد البشر صلى الله عليه وسلم حيث يقول : «اغتنم خمساً قبل خمس . شبابك قبل هرمك ، وصحتك قبل سقمك ، وفراغك قبل شغلك ، وغناك قبل فقرك ، وحياتك قبل موتك » .

فطوبى لمن انتهز فرص الحياة الخاطفة فطهر نفسه وأعدها نقية خالصة لمقابلة العليم الجبار يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من اتى الله بقلب سليم .

وطوبى لعبدالله الذى أطاع فخضع لحكمه وأناب ولم يكن من الذين أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات ، وسوف لا يلق غياً بل سيلق جزاء مرضياً .

وهنيئاً لكم أيها المؤمنون الصادقون الثابتون على ما قدمتم من صالح العمل وعلى ما عمرتم به بيوت الله من العبادات والطاعات فسوف يعمركم الله فى الجنة خالدين فيها أبداً تحف بكم الملائكة من كل مكان أدخلوها

بسلام آمنين وتحيط بكم الحور والولدان ولا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون - فكلوا واشربوا وتنعموا وتمتعوا فقد لقيتم ما وعدكم به ربكم حقاً وصدقاً وعدلا ، وتذكروا دوماً البيوت التى أحلتكم هذه الدار الخالدة والنعيم المقيم أذكروا بيوت الله المساجد . . .

حول الهزة الارضية

هذا نذير من النذر ...[1]

الله أكبر الله أكبر الله أكبر كبيراً والحمد لله كثيراً وصلى الله على سيدنا محمد بكرة وأصيلا .

لقد رجت الأرض ببغداد فى مثل هذا اليوم من الاسبوع الفائت وزلزلت زلزالاً شديداً فأرتعدت القلوب ورجت الأنفس وطارت الأرواح لها شعاعاً .

وظن الناس أن قد دنا الأجل ووقعت الواقعة ونزلت الطامة الكبرى وان عذاب الله آت ، فوجلت الأنفس وارتعدت الفرائص من الفرق واصفرت الوجوه وشاهت وجحظت الأعين وخرج الناس حيارى مزعزى القلوب وكأنهم سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد .

الأطفال تصرخ وتعول والنساء تبكى وتولول ومنهن من تركن خدرهن وخرجن من طورهن فتركن منازلهن يطلبن الخلاص والنجاة . وهذه مجتمعات الناس تلفظهم منازلها فى لحظة من الزمن فيخرجون منها لا يلوون على شىء وهم كالكتل المتراصة يتدافعون فيما بينهم ويتسابقون للفوز بالهزيمة العاجلة ولكن الى أين ؟ وهل من هزيمة إذا دنا أمر الله واقترب الوعد الحق ؟ كأنى بمناد ينادىهم ساعتئذ « يا معشر الأنس والجن ان استطعم ان تنفذوا من اقطار السموات والأرض فأنفذوا لا تنفذون الا بسلطان »

(١) اهتزت الأرض ببغداد فى يوم ٢٤ ذى القعدة سنة ١٣٦٤ هـ الموافق ١٨/١٩/١٩٤٦ م فارتاع الناس لها أيما ارتياع وعلى اثرها القيت هذا الحديث من دار الاذاعة العراقية .

أيها الناس هذا نذير من النذر البليغة وآية من آيات الله الكبرى وكم لله من من آيات ؟

فليعلل علماء الطبيعة ما شاء لهم التعليل وليقولوا ماعن لهم وما خطر على بالهم وما توحيه لهم مواد علمهم ومستلزمات بحثهم فالاسلام لا يناقض هذا التعليل ولكنه مع هذا ينظر الى السموات والأرض كآيتين من آيات الله الكبرى الحيه الناطقة بعظمة الصانع القدير وانه جل وعلا يتصرف فيهما كيفما شاء وان المسلم إذا مرت به آية من هذه الآيات خضع لله وحده وخشع وكبر لمولاه وركع وزاد فى الاستغفار وأناب الى الله وتاب .

فيا أيها الناس خذوا حذركم وارجعوا إلى ربكم « وتوبوا الى الله قبل أن تموتوا وبادروا بالأعمال الصالحة قبل أن تشغلوا وصلوا الذى بينكم وبين ربكم بكثرة ذكركم له وكثرة الصدقة فى السر والعلانية ترزقوا وتنصروا وتجبروا » فما بعد الدنيا من دار الا الجنة أو النار . والموت حق ثابت وحقيقته ناصعة للعيان وها هو ذا الرسول الاعظم صلى الله عليه وسلم . يقول مقسما وهو الصادق الأمين : « والله إنكم لتموتن كما تنامون ولتبعثن كما تستيقضون ولتحاسبن بما تعملون ولتجزون بالاحسان إحساناً وبالسوء سوءاً وإنها لجنة أبداً أو نار أبداً » .

أفق أيها السادر فى لهوك الغارق فى زهوك المستعبد لشهوتك أفق من سكرتك فما بعد الموت من مستعتب ولا يجديك الندم حين لا ينفع الندم .

هذه زلزلة صغرى تزلزل لها قلبك وطارت نفسك شعاعاً فما بالك بالزلزلة الكبرى « يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه » استمع لوصف الله العلى الكبير لهذا اليوم العصيب — يوم الزلزلة الكبرى — وأظنك قد شهدتها مصغرة فى زلزالنا بالامس .

« يا أيها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شيء عظيم يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما ارضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد » .

واسمع له جل وعلا إذ يقول : « إذا زلزلت الأرض زلزالها وأخرجت الأرض أثقالها وقال الانسان مالها يومئذ تحدث أخبارها بأن ربك أوحى لها يومئذ يصدر الناس أشتاتاً ليروا أعمالهم فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره » .

هذه آيات بينات وعظات بالغات — وكم فى القرآن من عظات — فهل نسمع لها أو نعقل ووراءنا اليوم الثقيل ؟ وهل أعددنا العدة ! وهل هيأنا له المتاع ؟

ومتاعه الصالحات من الأعمال فأين هى اليوم أفى النساء أم فى الرجال والكل لاه بزخارف هذى الحياة المزركشة وكأن بريقها أعماهم فأضلهم فأصبحوا لا يبصرون شيئاً ولا يعقلون .

أيها القوم أفيقوا من سكرة المعاصى المهلكة وأنيبوا الى ربكم فأنكم اليه راجعون .

عيشوا ما شئتم فانكم ستموتون واحبوا من شئتم فانكم ستفارقونه . واجمعوا ما شئتم فانه سيفرق والبسوا ماشئتم فانه سيمزق .

أيها الغافلون العاصون المتجنون على دينكم وأنفسكم ماذا سيكون موقفكم : « إذا السماء إنفطرت وإذا الكواكب انتثرت وإذا البحار فجرت وإذا القبور بعثرت » . وكيف ستثبتون أمام الله فى يوم الله « إذا الشمس كورت وإذا النجوم انكدرت وإذا الجبال سيرت وإذا العشار عطلت وإذا الوحوش حشرت وإذا البحار سجرت وإذا النفوس زوجت وإذا

الموءودة سئلت بأى ذنب قتلت و إذا الصحف نشرت وإذا السماء كشطت و إذا الجحيم سعرت » .

وما هو سبيل نجاتكم وطريق خلاصكم ؟ « إذا السماء انشقت وأذنت لربها وحقت و إذا الأرض مدت وألقت ما فيها وتخلت وأذنت لربها وحقت » .

ومن أى صنف ستكونون ومع من ستحشرون !! : « إذا وقعت الواقعة ليس لوقعتها كاذبة خافضة رافعة . إذا رجت الأرض رجاً و بست الجبال بساً فكانت هباءً منبثاً وكنتم ازواجاً ثلاثة » .

وما هى ذكراك التى خلفتها ورائك وكيف ستتذكر ؟

« يوم يتذكر الانسان ما سعى و برزت الجحيم لمن يرى فأما من طغى وآثر الحياة الدنيافأن الجحيم هى المأوى وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هى المأوى » .

وماذا ستنظر أنت « يوم ينظر المرء ما قدمت يداه ويقول الكافر يا ليتنى كنت ترابا » .

وما هو جوابك لربك على سىء أعمالك ؟ « يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً وما عملت من سوء تود لو ان بينها و بينه أمداً بعيداً »

« يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم وازلفت الجنة للمتقين و برزت الجحيم للغاوين .

أيها القراء الكرام ان آيات الله لا تحصى وعبره لا تستقصى ففى كل شىء له آية ناطقة بعظمته تبارك وتعالى ووحدانيته وعزته وقوته وجبروته ، وانه تعالى يتصرف فى هذا الكون كيفما شاء ومتى شاء وكما شاء لا يسأل عما يفعل وهم يسألون «وفى الأرض آيات للموقنين وفى أنفسكم أفلا تبصرون»

فلا تدعوا الآيات تمر من غير عبرة ولا تكونوا من أولئك الذين يقال فيهم : « وكأى من آية فى السموات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون واعلموا ان الخبث إذا كثر فى أمة حاق بها المقت والعذاب واستحقت اللعنة والاوصاب وقضت قوانين الكون عليها بالقضاء المحقق سنة الله فى الأمم ولن تجد لسنة الله تحويلا ولن تجد لسنة الله تبديلا ، وقد عذب الله أمماً قبلنا فأبادها وأهلكها العدم أخذها بأسباب الحياة والبقاء وجعلها لمن بعدها عبرة وذكرى فهل من مذكر ؟

وقد قضت السنن الآلهية أننا إذا فعلنا ما فعلوا وأخذنا بأسباب الهلاك كما أخذوا نزل بنا ما نزل بهم وأصابنا ما أصابهم من الدمار والذل والعار . ولا ينفعنا أننا مسلمون وكفى . فالاسلام شىء وما نجده من منكرات شىء آخر والمسلمون الحقيقيون شىء والمسلمون المزيفون شىء آخر .

إسمعوا لحديث الرسول الاعظم محمد صلى الله عليه وسلم يصف قوماً من هذه الأمة ويبين ما سيحل بهم كما حل بمن قبلهم لأنهم سيفعلون المنكرات التى فعلتها تلك الأمم .

روى عن أبى أمامة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال: « يلبث قوم من هذه الأمة على طعم وشرب ولهو ولعب فيصبحون قد مسخوا قردة وخنازير وليصيبنهم خسف وقذف حتى يصبح الناس فيقولوا: خسف الليلة ببنى فلان بدار فلان ، وليرسلن عليهم حجارة من السماء كما أرسلت على قوم لوط على قبائل فيها وعلى دور ، وليرسلن عليهم الريح العقيم التى اهلكت عاداً على قبائل فيها وعلى دور ، بشربهم الخمر ولبسهم الحرير واتخاذهم القينات (المغنيات) وأكلهم الربا وقطيعة الرحم وخصلة نسيها جعفر » رواه احمد البيهقى .

هذه أصناف وألوان من العذاب الذى أرسله الله على الأمم الفاسقة الطاغية وهو جل وعلا بالمرصاد يرسله فى كل حين باذنه تعالى على من طغى وبغى وتولى واستكبر واستدبر وفسق وفجر وما هذه الأمور إلا معاول لهدم الأمم وتحطيمها فاذا اكثرت فى أمة فارتقب لتلك الأمة الدمار والخراب. اقرأوا سورة القمر فى القرآن الكريم « إقتربت الساعة وانشق القمر وإن يروا آية يعرضوا ويقولو أسحر مستمر الآيات .. » لتروا فيها أصنافاً من عذاب الله الذى ارسله الله على أمم مختلفة كفرت بأنعم الله وكذبت رسله الكرام والقرآن العظيم فى جملته وتفصيله كله آيات بينات وعظات زاجرات. فارجعوا اليه وتدبروه ولقد يسره الله للذكر فهل من مذكر : ارجعوا الى ربكم راضين مرضيين وادخلوا فى عباده الصالحين واسمعوا لقوله تعالى وهو مسك الختام :

« كلا اذا دكت الارض دكاً دكاً وجاء ربك والملك صفاً صفاً. وجىء يومئذ بجهنم يومئذ يتذكر الانسان وأنى له الذكرى يقول يا ليتنى قدمت لحياتى فيومئذ لا يعذب عذابه أحد ولا يوثق وثاقه أحد . يا أيتها النفس المطمئنة ارجعى الى ربك راضية مرضية فادخلى فى عبادى وادخلى جنتى » .

وفقنا الله لان نكون من عباده الصالحين المتعظين بآياته المؤمنين به وبكتابه ورسله واليوم الآخر انه نعم المولى ونعم النصير . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ؟

الاديان السماوية

أيها المتدين الكريم سلام الله اليك والى من معك من المؤمنين بالله وملائكته وكتبه ورسله و باليوم الآخر اولئك الذين هداهم الله فبهداهم اقتده اولئك هم أولو الالباب نور الله بصائرهم بالايمان به وأنار أبصارهم باتباع الاديان و بالعلم والفرقان فجل من إله ديان له الحكم واليه ترجعون .

واعلم أيها المتدين السعيد أن نعم الاله على العباد كثيرة وجليلة « و إن تعدوا نعمة الله لا تحصوها » وأجلها قدراً وأعظمها أثراً وأسماها مقصداً فى هذه الحياة الدنيا إنما هى الاديان السماوية وهى هدية السماء العظمى الى الأرض و نعمة الله الكبرى الى الخلق بها استقام شأن الناس و بنورها استناروا وساروا فى طريق الهداية والرشاد بعد أن كانوا تائهين فى مهامه الغواية والضلالة والفساد . وهى حجة الله البالغة تبشر الناس وتنذرهم لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل . تبشرهم بجنة خالدة عرضها السماوات والأرض ونعيم مقيم وخيرات حسان إن هم اتبعوها وعملوا بأوامر الملك الديان وتنذرهم بيوم يجعل الولدان شيباً السماء منفطر به « يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته و بنيه وفصيلته التى تؤيه ومن فى الأرض جميعاً ثم ينجيه » وتنذرهم بنار حاميه انها لظى نزاعة للشوى تدعو من أدبر وتولى .

هذه النذر لمن لم يرعو عن ضلالته ولم يتبع النور الذى يأتى به رسل الله الكرام والناس يوم الغاشية صنفان « وجوه يومئذ خاشعة عاملة ناصبة تصلى ناراً حامية تسقى من عين آنية ليس لهم طعام الا من ضريع لا يسمن

ولا يغنى من جوع ووجوه يومئذ ناعمة لسعيها راضية فى جنة عالية لا تسمع فيها لاغية فيها عين جارية فيها سرر مرفوعة وأكواب موضوعة ونمارق مصفوفة وزرابى مبثوثة »

والأديان دعت الى الفضائل الكاملة وصدعت بالحق والصدق يوم لم يكن للحق من يعرفه وللصدق من ينطق به ويألفه وهى عقائد صحيحة وعبادات قويمة ومعاملات حسنة عادلة واخلاق كريمة سامية . تتكفل بالسعادتين لمتبعيها من الرجال والنساء .

عز ومجد وكمال وحياه طيبة . صحة فى الجسم وسلامة فى العقل وصون للعفاف ووفرة للكرامة فى الدنيا ورحمة وخير ونعمة فى الأخرة « من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبه ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون» ولم تشرع الأديان الا لتهذيب النفوس وصقلها ومنعها من الشهوات الرديئة وحفظ النظام من الفوضى والاضطراب ، فلا صلاح للناس إلا بها ولا سلامه لهم من مخاطرات الشقاء إلا بها كذلك وهى أكبر زاجر للضمائر ، وأعظم مصلح للسرائر ، رقيبة فى الخلوات نصوحة فى الملمات، وهى أحكم القوانين وأضخمها لاصلاح الحياة واستقامتها وأنفع وسيلة لانتظامها وسلامتها وذلك بما أرشدت اليه من آراء صائبة وآيات محكمة وقوانين عامة ثابتة تصلح لكل زمان ولكل مكان لا تَخْلُقُ على طول الزمن فاذا خالطت بشاشة الايمان القلوب ، فأَخْلِقِ بتلك القلوب ان تزكو وتصفو وتسمو وتسعد بنعمة باريها ومبدعها وهى حقاً القانون المحكم العادل الذى يردع الظالم عن ظلمه وينصف المظلوم من ظالمه ويقف الجميع عند حد الاعتدال فى جميع شؤون الحياة ومرافقها وانها لتقمع النفوس عن الشر وتكفها عن العدوان . والأديان تُقَوِّمُ الطباع ، وتهذب النفوس ، وتطهرها من أدران

النقائص والرذائل ، فتحرم على الناس الحقد والحسد والغش والنفاق والتقاطع والبغى ، والاضرار بالناس ، وتوجب العدل والمساواة والامانة والوفاء والسعى والاخلاص وتنهض بالمتمسكين بها والمهتدين بهديها إلى منازل الرفعة والكمال والأديان كلها فى أصلها الصحيح قد اتفقت على الدعوة إلى الله تعالى والحث على التحلى بالآداب العالية . والخلال الحميدة السامية ، الا أن الدين الاسلامى الحنيف اختص من بين الأديان بأنه خاتم الأديان وأنه أوضحها بياناً وأجملها صورة وأقواها حجة وبرهاناً وأوفاها بمصالح البشر الدنوية والأخروية وهو السراط السوى والمنهج القويم ، يخاطب العقول ويألف الافهام ويمتزج بالأرواح ويتغلغل فى أعماق القلوب حتى يأخذ له منها مقراً وموضعاً ولا فضل فيه لأحد على أحد إلا بالتقوى ومكارم الاخلاق « ان أكرمكم عند الله أتقاكم » ولقد كان للاديان السماوية آثارها المحمودة فى المجموعات البشرية المختلفة قديماً وحديثاً فى كل ما ذكرت من معان .

ولقد حاول كثير من الضالين المضلين المفسدين أفراداً وجماعات فى القديم والحديث محاربة الأديان والخروج كل مبدأ من مبادئها القويمة ولكنهم خابوا وخسروا وانطمسوا فى الأوحال ولم يوقف لهم على حال وكانوا :

كناطح صخرة يوماً ليوهنها ... فما أضرها وأوهى قرنه الوعل

جبال راسيات ، وشم شامخات ، من صنع رب الأرض والسموات أيجوز فى شرعة العقل والعلم أن تقضى عليها الحشرات من المخلوقات قل لى بربك أيها القارىء الواعى الحكيم ؟

خدعوا البسطاء من الناس وقالوا لهم ان الأديان أفيون البشرية ، سعوا جادين للقضاء على هذا الوباء — بزعمهم — ثم رجعوا وقالوا نحن

نعترف بالأديان ولا نحاربها ومن جهة أخرى يقيمون المتاحف للالحاد والأدلة الساطعة على البغى والفساد فما هذا التبلبل أفيدونا أفادكم الله أيها الناس ولا تفسدوا فى الأرض بعد اصلاحها .

« وإذا قيل لهم لا تفسدوا فى الأرض قالوا إنما نحن مصلحون ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون » .

أرجعوا الى الله أيها الضالون باتباع الهوى « ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله »

فوالله لا ملجأ لكم منه إلا إليه . اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه . وتوبوا الى بارئكم فاصلحوا أنفسكم وادعوا إلى الخير وانبذوا الشر فما للشرور والافساد والعبث خلقكم الله « أفتحسبون أنما خلقناكم عبثاً وأنكم الينا لا ترجعون » .

وهل تظنون ان امركم يخفى على الله وأنتم تلحدون فى آياته وتجحدون فان ظننتم هذا فأعملوا ما شئتم وادعوا لمن شئتم فان الله بما تعملون خبير بصير وكفى به جلت قدرته عالماً حكيماً قال الله تبارك وتعالى « ان الذين يلحدون فى آياتنا لا يخفون علينا افمن يلقى فى النار خير أم من يأتى آمناً يوم القيامة اعملوا ما شئتم انه بما تعملون بصير . إن الذين كفروا بالذكر لما جاءهم وانه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد » (فصلت) .

فالدين روح من أمر الله ونور يهدى به الله من اتبع رضوانه من عباده الأخيار ، وصراطه المستقيم فسيروا عليه واتبعوه لتأمنوا سخط الله ونقمته وعذابه فان مصيركم ومردكم اليه .

قال تبارك وتعالى « وكذلك أوحينا اليك روحاً من أمرنا ما كنت

تدرى ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلنا نوراً نهدى به من نشاء من عبادنا وانك لتهدى إلى صراط مستقيم صراط الله الذى له مافى السموات وما فى الأرض الا الى الله تصير الأمور » (الشورى) .

وقال عز من قائل : «قل هذه سبيلى أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى وسبحان الله وما أنا من المشركين » .

هدانا الله لأقوم السبل وهيأ لنا من أمرنا رشداً إنه سميع الدعاء مجيب النداء والسلام عليكم ورحمة الله .

دعوة الاسلام

ودعوى ادعياء الاسلام

ان الأحداث التى مرت على الدين الاسلامى منذ نشأته حتى الآن لو مرت على الشم الشوامخ لهدتها وزعزعتها . وان الأعاصير التى هبت عليه لو هبت على الجبال لنسفتها نسفاً فتركتها قاعا صفصفاً لا ترى فيهـا عوجاً ولا امتاً . ولـكنه الإسلام الخالد ، ودين الله الباقى الذى لا يزول ولا تحركه القواصف ولا تزعزعه العواصف ، صمد فى الأول امام طغيان المشركين والمنافقين ، وثبت كالطود فى وجه جيوش المبطلين ، وها هو ذا يقف اليوم فى كبد الـكون كالبدر فى كبد السماء يضىء العـالم بنوره ويشيع الحيوية والسمو والنشاط فيه ولا يضره نباح سود الـكلاب ، أوحمرها ، او بيضها .

لقد حارب الاسلام أعداء اشداء وخصوم أقوياء بارزون فى العداوة والبغضاء والعدو البارز الظاهر من الممكن إتقاؤه إن لم يمكن القضاء عليه .

ويحاربه اليوم اعداء أخفياء جبناء بلهاء والعدو الخلق هو الداء الذى يستعصى العلاج فيه على كبار المصلحين . وإذا تفشى فى جسم أمة قادها الى الهاوية السحيقة .

وقد يكون هؤلاء الأعداء — أو أكثرهم — وهم منبثون فى كل مكان ترتفع فيه راية الإسلام ، قد يكونون ممن يَدَّعونَ الإسلام وينتسبون اليه زوراً وبهتاناً وافـكاً وضلالاً . وهذه هى الطامة الـكبرى ، ان ترى جماعات

من الناس يتشدقون بالإسلام وربما يظهرون الغيرة عليه والحماسة له ، وإذا فتشت عن أعمالهم وما تحت الثياب وجدتهم ذئاباً على أجسادهن ثياب .

كيف السبيل الى اتقاء شرور هؤلاء الفسقة وهم من أبناء جِلْدَتنا ويتكلمون بلغتنا ولا يحملون من الإسلام إلا أسماء المسلمين والانتساب الى الإسلام بجنسياتهم وعشيرهم وقبيلهم ، أما العمل بأحكام الإسلام والائتمار بأوامره فهم أعداء ألداء لتلك الأحكام وهذه الأوامر .

فالإسلام يدعوا الى الاصلاح فى الأرض وهم يفسدون فيها ويهلكون الحرث والنسل ، والإسلام يأمرهم بالبر وصلة الرحم ويقول : « واتقوا الله الذى تساءلون به والارحام إن الله كان عليكم رقيباً » .

ويقول الرسول الأكرم للرجل الذى سأله وقال : يارسول الله ان لى قرابة أصلهم ويقطعونى ، وأحسن إليهم ويسيئون إلي ، وأحلم عليهم ويجهلون علي ، فقال صلى الله عليه وسلم للسائل : « إن كنت كما قلت فكأنما تُسِفُّهم المَلَّ ولا يزال معك من الله ظهير عليهم ما دمت على ذلك » (مُسْلم) .

والأدعياء يقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون فى الأرض .

ويأمرهم الاسلام بالعزة والكبرياء أمام الأعداء «محمدرسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم » ولله العزة ولرسوله والمؤمنين » .

والادعياء أذلة صاغرون خانعون متشاكسون يعصون الله ما أمرهم به ويفعلون مالا يؤمرون به يستأسدون على أبناء البلاد وللاجانب عبيد اذلاء :

عبيد للاجانب هم ولكن على أبناء جلدتهم أسود

والإسلام ينادى بالمحبة لله والوئام فى سبيله والعصمة بحبل الله المتين فيقول « واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً وكنتم على شفا حفرة من

النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون » .

ويقول الرسول الاعظم صلى الله عليه وسلم فيما رواه أبو داود عن أبن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن من عباد الله ناساً ما هم بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء بمكانهم من الله» قالوا يا رسول الله فلتخبرنا من هم . « قال هم قوم تحابوا بروح الله على غير أرحام بينهم ولا أموال يتعاطونها فوالله ان وجوههم لنور وإنهم لعلى نور ولا يخافون اذا خاف الناس » وقرأ هذه الآية : « ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون » .

ويقول صلوات الله وسلامه عليه : « من أحب لله وأبغض لله وأعطى لله وصنع لله فقد استكمل الايمان » .

أما أدعياء الاسلام فهم ينادون بالبغض والخصام وينشرون الفوضى ولا يحترمون أى نظام .

والاسلام يدعو الى المساواة ولا يعترف بنظام الطبقات فيقول : «ياأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم » .

وينادى أن المسلم من سلم المسلمون من يده ولسانه . والأدعياء لا يسلم من أيديهم وألسنتهم إنس ولا جان .

والإسلام يرغب أهله فى الدعوة إلى الخيرات ويطلب اليهم أن تكون منهم أمة تدعوا إلى الخير وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر .

وأدعياء الإسلام منغمسون فى المنكرات والملذات بل يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف وأولئك هم المنافقون .

والإسلام يأمر بالصلاة وهى الصلة بين العبد وربه والعبادة الروحية

السامية التى تصقل الانفس من وضر الدنيا وتعدها إعداداً موفقاً لعمل الخير والاحسان ويأمر بالزكاة ويشدد النكير على الممتنعين عنها لأنه يعلم أنها العلاج الناجع لصلاح الحال والوسيلة الكبرى لإشاعة الحب بين الاغنياء والفقراء والضعفاء والأقوياء فيقول تعالى: «وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة» ويقول: «فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى وأما من من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى وما يغنى عنه ماله إذا تردى».

وأدعياء الإسلام عن الصراط ناكبون فلا صلاة ولا زكاة ولا بر ولا معروف ألا ساء ما يزرون.

جاء الإسلام بحفظ العهود ورعى الذمم ودعا الى مكارم الاخلاق وأحب أعالى الأمور وكره سفاسفها.

والأدعياء ينقضون العهود ويَخْفِرُون الذمم ويدعون الى سفاسف الأمور ومساىء الأخلاق.

والإسلام يوصى أهله بالاخلاص فى السر والعلانية والعدل فى الرضا والغضب والقصد فى الفقر والغنى ويرتفع الى القمة من كرم النفس وطيب الخلق فيأمر أهله بأن يعفوا عمن ظلمهم ويعطوا من حرمهم ويصلوا من قطعهم ويحسنوا الى من أساء اليهم.

والأعياء شأنهم الظلم والخيانة والاسراف وأن يظلموا من عفا عنهم ويقطعوا من وصلهم، ويسيئوا الى من أحسن اليهم.

والإسلام يدعو الى اجتناب السبع الموبقات (المهلكات) وهى الشرك بالله والسحر وقتل النفس التى حرم الله إلا بالحق وأكل الربا وأكل مال اليتيم والتولى يوم الزحف وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات.

والأدعياء يفعلون كل ذلك ويحسبون أنهم يحسنون صنعاً ألا ساء ما يفعلون .

والإسلام يترفع عن الدنايا فينهى عن الخمر والميسر وهما ركنا المفاسد والشرور ودعامتا كل منكر وزور فيقول الله تبارك وتعالى : « يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون . إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون ؟ » ويقول النبى صلى الله عليه وسلم : « لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن . ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن . ولا يشرب الخمر حين يشرب وهو مؤمن »

ويقول صلى الله عليه وسلم : «من قال لصاحبه تعال أقامرك فليتصدق » نعم يتصدق لانها كلمة خبيثة وفعلة نحسة فيجب أن يتطهر منها ان حدثته نفسه بها . والأدعياء لا تصحوا عقولهم من خمرة الشيطان ولا تسلم أنفسهم من لعبة اللصوصية المكشوفة ولكنها باسم القمار سرقة ظاهرة ولكنها من الصاحب القريب والصديق والجار فبئست تلك الأنفس وخابت وخسرت

والاسلام ينهى عن الزنا والكذب والبهتان والخديعة والحسد والنفاق وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى ويحذر عن الزور والباطل والمنكرات .

أما أدعياء الاسلام فهم متلبسون بكل ذلك والى الحق لا يرجعون وبالنفاق منشغلون ، وعن الكذب والبهتان لا يتورعون ، الا ساء مايزرون . والاسلام ينهانا أن نقول شيئاً ولا نفعله ، وسما فوق ذلك أيضاً فأمرنا بحرب أولئك الذين يقولون مالا يفعلون ويفعلون مالا يؤمرون فقال صلى الله عليه وسلم : « ما من نبى بعثه الله فى أمته قبلى الا كان له فى أمته حواريون

وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره ثم إنها تخلف من بعدهم خُلُوف يقولون مالا يفعلون ويفعلون مالا يؤمرون، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن وليس وراء ذلك من الايمان حبة خردل. »

اما اولئك الأدعياء فانهم يقولون ما لا يفعلون كبر مقتاً عند الله أن يقولوا ما لا يفعلون.

فهل ترى أيها القارىء الكريم بعد الذى رأيت أن هؤلاء الأدعياء من الإسلام فى شىء وهل يمتون اليه بصلة ما؟ أم ترى مع من يرى أنهم من الدجالين المنافقين المرتدين الخارجين عن سنة الله ورسوله والذين غضب الله عليهم ولعنهم وأعد لهم عذاباً أليماً. والذين قال الله عز وجل فيهم وفى امثالهم: « ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الأخر وما هم بمؤمنين. يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون الا أنفسهم وما يشعرون، فى قلوبهم مرض فزادهم الله مرضاً ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون. وإذا قيل لهم لا تفسدوا فى الأرض قالوا إنما نحن مصلحون، الا انهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون. وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء ألا إنهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون. وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خَلَوا الى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزؤن. الله يستهزىء بهم ويمدهم فى طغيانهم يعمهون. اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين » (سورة البقرة).

جعلنى الله وإياكم من أصحاب الدعوة الاسلامية المستقيمة وحشرنى وإياكم تحت لواء سيد المرسلين فى فردوس رحمة الله ووفقنا لأن نكون من عباده الصالحين الذين رضى الله عنهم وأرضاهم وأعد لهم جنة خالدة ونعيماً مقيما والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ؟

مرحبا بك رمضان

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أيها المستمعون الكرام أحييكم بتحية إسلامية مباركة ، وأهنئكم تهنئة روحية صادقة بحلول شهر الإسلام والقرآن سائلا الله عز وجل أن يوفقنا وإياكم لمغفرته ومرضاته فى هذا الشهر الذى فضله الله على شهور السنة كلها ، كما فضل ليلة القدر فيه على سائر الليالى وهى خير من ألف شهر .

وأسأل الله أن يُهِلَّهُ على العالم الإسلامى باليمن والسلامة والإسلام وأن يعيده اليهم كل عام وهم يرفلون فى حلل المجد والحرية والكمال .

ولقد وددت أن يكون حديثى اليوم خطاباً وترحيباً بهذا الشهر المبارك فمرحباً بك رمضان ، مرحباً بك شهر الطاعة والغفران ، مرحباً بك شهر النور والبرهان ، مرحباً بك شهر الهداية والفرقان ، مرحباً بك شهر الاسلام والقرآن ، مرحباً بك موسم العبادة والسعادة وأيام التوبة والانابة لك أيها الشهر فى قلوب المؤمنين أسمى مقام فهم يجلونك ويحترمونك ، ويعدون العدة لاكرامك بصيامك ورعاية حقوق الله فيك .

وإن أعناقهم لتشرئب الى مرآك وتستعد نفوسهم للقياك .

فمرحباً ومرحى مرحى لمن عرف حقك فأسعده الله بصيام نهارك وقيام ليلك أيها الشهر المبارك لقد أكرمك الله ففضلك على الأشهر كلها وزاد فى إكرامك ففرض على الناس صيام أيامك .

ثم ضاعف فى إجلالك وتكريمك فأنزل فيك كتابه الخالد ، وفرقانه المبين ، وقرآنه العظيم « شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان » .

وقد جعلك الله حجة على الناس فمن رعاك رعاه الله ومن ضيعك ضيعه الله ومن استهان بك وكله الله الى نفسه واستهان به وجعله فى الأذلين .

وقد جعلك الله أيها الشهر شهراً دورياً تأتى فى الصيف والشتاء وفى فصول السنة الأخرى وإذا ما جئت فى الحر كنت شهر محنة واختبار ليميز الله فيك الخبيث من الطيب ويفرق بين الصادقين وغير الصادقين وبين المؤمنين والمنافقين .

قال تعالى : « ألم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين » وإذا ما قال قائل فيك إنك ثقيل الظل فى الحر أجابه داعى الضمير والايمان « قل نار جهنم أشد حراً » لو كنت أيها الانسان تعقل أو تسمع أو تعى فينكص على عقبيه ويرتد خاسئاً وهو حسير .

أيها الشهر المبارك : إن أيامك معدودات وانها ستمر مر السحاب فالسعيد السعيد من وقى نفسه وصانها من عبودية الشهوات فصام نهارك وعبد ربه فى ليلك فجئت له شاهداً عدلاً عند ربك فاكرمه الله بشهادتك ونعمه وجعله فى عليين ، والشقى الشقى من أضاعك وأضاع نفسه بالسقوط فى أودية الشهوات المظلمة فأفطر فى نهارك وأساء فى ليلك فجئت عليه شاهداً عدلاً عند ربك فاذله الله واشقاه وجعله فى سجين .

أيها الشهر المكرم ان ربك الأعظم قد خصك بفضله بميزات ظاهرة وباطنة فجعلك غرة فى شهور السنة وفضل أيامك على أيام العام كله وان فيك

لليلة هى خير عند الله من ألف شهر تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم من كل أمر سلام هى حتى مطلع الفجر ، وجعلك الله مكفراً للذنوب إذا اُجتنبت الكبائر قال النبى صلى الله عليه وسلم « الصلوات الخمس والجمعة الى الجمعة ورمضان الى رمضان مكفرات ما بينهن اذا اجتنبت الكبائر » (رواه مسلم) وفيك أيها الشهر الجليل تتفتح أبواب الجنان وتدعو الناس لدخولها واقتطاف راتها اليانعات ، وفيك تغلق أبواب النيران وتحذر الناس من ولوجها والاكتواء بسعيرها كما أن شياطين الانس والجنس تصفد وتقيد فيك بالاغلال فلا شياطين الانس تستطيع انتهاك حرمتك فى ظل الحكم الاسلامى الصادق ولا شياطين الجن تستطيع ان تنتهك حرمات الانفس المؤمنة فى ظل الايمان الصادق والصوم الخالص لوجه الله .

وفى الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال « إذا جاء رمضان أغلقت ابواب النار وصفدت الشياطين » (مسلم) .

والصائم المحتسب فيك لا يرد الله دعوته وقد قال صلى الله عليه وسلم « ثلاثة لا ترد دعوتهم الصائم حتى يفطر والامام العادل ودعوة المظلوم يرفعها الله فوق الغمام وتفتح لها أبواب السماء ويقول الرب وعزتى لأنصرنك ولو بعد حين » (الترمذى) .

وأنت أيها الشهر المبارك تبنى عزائم الرجال وتكون منهم الأبطال الصابرين ، الذين لا يهمهم الجوع ولا العطش ولا يثنيهم عن طاعة ربهم شهوة زائلة باطلة ، فرجالك صُبر اقوياء على البلاء ان جاعوا صبروا ولم يقولوا نحن جياع ولو ادى بهم ذلك الجوع الى الموت الزؤام اذ لم يكونوا اغراراً أطفال النفوس ان جاعوا بكت نفوسهم وخارت قواهم وضعفت عزائمهم فلم تقو على مغالبة الجوع فاستعبدت هذه الأنفس الصغيرة ، وخسرت معركة

الجوع وسوف تخسر كل معركة فى الحياة لأنها فقدت الصبر والعزم والقوة والرجولة .

وفيك أيها الشهر الجليل تزكى الأجساد من أدرانها وتطهر الأنفس فلكل شيء زكاة كما ورد فى الحديث الشريف « وزكاة الجسد الصوم .» والصوم نصف الصبر والصوم جُنه ووقاية من عذاب الله ومن استعباد الشهوات للانفس المؤمنة الزكية الحرة ، والصيام لله عز وجل وهو بين العبد ورب به وقد جعل الله جزاء الصوم له فلا يعلم مقدار ثواب الصائمين الا الله عز وجل كما بين ذلك رسولنا الاعظم صلى الله عليه وسلم حينما قسم الاعمال و بين مقدار جزاء كل عمل منها فقد روى عن ابن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « الاعمال عند الله عز وجل سبع عملان موجبان وعملان بامثالها وعمل بعشر امثاله وعمل بسبعمائة وعمل لا يعلم ثواب عامله الا الله عز وجل، فاما الموجبان فمن لقى الله يعبده مخلصاً لا يشرك به شيئاً ، وجبت له الجنة ومن لقى الله قد اشرك به وجبت له النار ، ومن عمل سيئة جُزى بها ، ومن أراد ان يعمل حسنة فلم يعملها جزى مثلها ، ومن عمل حسنة جزى عشراً ومن انفق ماله فى سبيل الله ضُعِّفت له نفقته الدرهم والدنيار بسبعمائة ، والصيام لله عز وجل لا يعلم ثواب عامله الا الله .» (الطبرانى)

هكذا يجزى الله فيك العاملين أيها الشهر المبارك وان شهراً هذه بعض خلاله جدير بالاجلال والاكبار والتكريم والترحيب ، فانت أيها الشهر موسم التقوى وعيد المؤمنين وفيك تُبشرى الجنان ، فمرحباً بك و بقدومك الميمون ومرحباً بالصوم فيك . فنحن أيها الشهر قوم مسلمون نرى الخضوع للجوع والعطش سُبة وعاراً ، ونرى فيك المجد والفخار وفى صيامك النجاة والسلامة من النار فطوباك أيها الشهر الجليل ، ثم طوباك وطوبى للمومنين بقدومك الميمون ان شاء الله والحمدلله رب العالمين .

الاحسان فى رمضان

بذل الخير وصنائع المعروف الى الناس احسان ، ومعونة العبد لأخيه و بشاشته فى وجهه إحسان ، وتفريج الكرب عن المكروبين إحسان ، وعيادة المرضى وزيارة المصابين احسان . وبذل المال والجاه الى المحتاجين إحسان ، واغاثة الملهوف إحسان ، وفك العانى والعون على نوائب الدهر إحسان ، والتطوع لبناء المساجد والمعاهد والمستشفيات والمستوصفات إحسان و بذل المجهود لنيل المقصود من المال ليكف الانسان نفسه عن ذل السؤال إحسان ، وافشاء السلام وطيب الكلام وحسن المعاملة إحسان ، والاحسان مشتق من الحسن وهو الجمال فهو جميل فى جميع صوره واشكاله . والشريعة الإسلامية الغراء قد رغبت فى هذا الجمال الذى هو الإحسان ودعت اليه فى جميع صوره وأشكاله . فالإحسان مطلوب لذاته ومطلوب لنيل الحسنى والجزاء من رب المحسنين عز وجل مطلوب لذاته لان الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم أمرنا بالإحسان الى الناس سواء منهم المستحق وغير المستحق والمكافىء وغير المكافىء ومن كان أهلاً للاحسان ومن لم يكن أهلاً له لانه صلى الله عليه وسلم أمرنا بان نحسن فان وجد الإحسان أهله ومحله فبها ونعمت وان لم يجد أهله وكان فى أرض أجادب فنحن من أهله ونصنعه مع هؤلاء لا نريد منهم جزاء ولا شكوراً وهو أسمى أنواع الإحسان . ومطلوب لنيل الجزاء من الله لأن الإسلام قد علمنا ان الحسنة بعشر أمثالها وان الدرهم المنفق فى سبيل الله بسبعمائة درهم وان الدينار بسبعمائة دينار والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم . «مثل

الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة انبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم » .

والإحسان جميل فى كل وقت ومطلوب فى كل حين وهو أجمل ما يكون فى رمضان . فرمضان شهر الصوم والصبر وفيه يتحسس الإنسان بحاجة المحتاجين وإذا شعر هو بألم الطوى عامة نهاره فيقدر هو ان كان من أهل البصيرة حالة الطاوين المؤلمة فتجود نفسه ويده بما لم تجودا به فى غير رمضان. وفى رمضان يستجيب الله الدعاء واذا أحسن المحسن الى الناس ارتفعت إصواتهم بدعوات صاعدة من قلوب مكلومة بجروح الفاقة فتدخل هذه الدعوات ابواب السماء المفتحة امامها من غير استئذان وان الله لا يضيع اجر من أحسن عملاً والله يجزى المحسنين بالحسنى . « لله ما فى السماوات ومافى الأرض ليجزى الذين أساءوا بما عملوا ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى » هذا كتاب الله ينطق بالحق فيأمر اهله بالاحسان فيقول تعالى « ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون » .

ويقول عز وجل « وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا واحسن كما أحسن الله اليك ولا تبغ الفساد فى الأرض ان الله لا يحب المفسدين » . وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يضرب لنا الأمثلة العليا الصادقة فى البر والجود والاحسان فيزهد فى الكثير ويقنع بالقليل ويعطى عطاء من لا يخشى الفقر جاء سائل يسأله صلى الله عليه وسلم وكان عنده غنم بين جبلين فقال له خذ هذه الغنم فما كاد الرجل يصدق ولكنه أمره باخذها فاستاقها الرجل وهو مندهش مذهول فجاء قومه وأخذ يصرخ فيهم يا قوم اسلموا فان محمداً يعطى عطاء من لا يخشى الفقر .

وقد أجمع المؤرخون وكتاب السير على وصف صفة الرسول صلى الله عليه وسلم بالجود الفياض وانه صلى الله عليه وسلم كان جواداً وكان أجود ما يكون فى رمضان حتى لكأنه أجود من الريح المرسلة وكان صلى الله عليه وسلم يجود بكل ما يملك ويؤثر على نفسه ولو كان به خصاصة ويحسن ماوجد الى الاحسان سبيلاً ويأمر بالاحسان فى كل شىء ومع كل احد حتى مع الحيوان الاعجم وكان لا يرد سائلا وصنع المعروف شىء مطبوع فيه صلى الله عليه وسلم . ارأيتم أيها الناس الى هذه المثل التى ضربها لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، أرأيتم الى هذه الكمالات التى اجتمعت فى الرسول صلى الله عليه وسلم حتى جعلته بحق سيد العالمين وأمام الأنبياء والمرسلين ؟ أرأيتم الى هذه المعانى السامية التى قصدها صلوات الله وسلامه من هذا الزهد فى المال وذلك العزوف عن الدنيا وهذا الجود الذى جعله أجود من الريح المرسلة انه عليه عليه الصلاة والسلام يضرب الأمثال للاجيال ويربى أمة لتكون خير أمة أخرجت للناس وينشىء هذه الأمة النشأة الصالحة فى كل شىء ولكل شىء فى مادياتها ومعنوياتها فى أخلاقها واجتماعياتها ، فى عمرانها واقتصادياتها ، فى دينها ودنياها ، فأين هذه الأمة المثالية من الأمة الاسلامية اليوم . ان أمة اليوم و يا أسفى عليها قد استبدلت الذى هو أدنى بالذى هو خير فعضت على الدنيا بالنواجذ و باعت دينها بدنياها وتنافست على المادة وتراكضت وراءها وتزاحمت عليها حتى أشغلتها عن أعز ما تملك ، أشغلتها عن ربها ودينها . أشغلتها عن عزتها ومجدها أشغلتهاعن كرامتها وسيادتها أشغلتها عن الاحسان الى الناس وحرمتها من لذة هذا الجمال وتلك المعانى العظيمةالتى يلقاها المحسن الى الناس أشغلتها عن البر والطاعة وجعلتها تترك الأمة والجماعة وتعبد المادة من دون الله حتى أصبح كل فرد من أفراد هذه الأمة المترامية الأطراف

يسعى وراء مآربه واطماعه ويركض وراء المال ناسياً كل شيء إلا المال الفانى وقد أشفق علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وخاف أن تفتح علينا الدنيا كما فتحت على من قبلنا فتنافسها كما تنافسوها فتهلكنا كما أهلكتهم وقد وقع مما حذرنا منه رسولنا الأكرم صلى الله عليه وسلم فتركنا كل مهم من الأمور الدينية حتى الاحسان الى الناس الذى هو الصلة الطيبة بين الانسان وأخيه الانسان .

فيا أيها المؤمنون احسنوا الى الناس تستعبدوا قلوبهم وصلوهم يصلكم الله ولا تنسوا الفضل بينكم . وحاذروا القطيعة بينكم والتنافر بين الأغنياء منكم والفقراء فان هذا التنافر هو الحالقة التى تحلق الدين والدنيا معاً . احسنوا الى الناس وانتظروا الجزاء الأوفى من رب الناس والخلق كلهم عيال الله وأحبهم اليه تعالى أنفعهم لعياله واسمعوا لقول الله إذ يقول عز من قائل « وقيل للذين اتقوا ماذا أنزل ربكم قالوا خيراً للذين أحسنوا فى هذه الدنيا حسنة ولدار الآخرة خير ولنعم دار المتقين . جنات عدن يدخلونها تجرى من تحتها الأنهار فيها ما يشاءون كذلك يجزى الله المتقين الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون » صدق الله العظيم والحمد لله رب العالمين والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ؟

واجبك أيها المسلم

فى يوم عيـــدك

الحمد لله الذى هدانا وعافانا ورزقنا من الطيبات نحمده ونستغفره ونثنى عليه ونكبره وهو الـكبير المتعال والله أكبر وهو الـكبير الذى عنت الوجوه لـكبريائه وعظمته . الله أكبر وهو الحى القيوم الذى دبر الـكائنات بحكمته الله أكبر وهو القادر الذى أبدع الموجودات وعمها بإحسانه ورحمته ، الله أكبر كبيراً والحمد لله كثيراً وسبحان الله وصلى الله على نبيه محمد الذى اصطفاه وأيده بنصر منه تعالى .

أيها المسلم إن يومك هذا يوم عيد وسرور ونشوة وحبور . يوم فرح وتهان وعفو وإحسان يوم الفلاح والنجاح والخير والإرباح يوم هنىء وسعيد انه يوم العيد وكفى فما هو واجبك فيه أيها المسلم .

فى هذا اليوم المبارك يتجلى المولى تبارك وتعالى على المخلصين بمزيد الخير والانعام ينظر فيه الى أهل الصدق والوفاء من الأتقياء الأصفياء الذين طابت نفوسهم وخلصت نياتهم لله ولعباد الله .

ينظر فيه تبارك وتعالى الى من تاب وآمن وراقب الله فى السر والعلانية وينظر الى من تغافل عن عيوب الناس وشغل بعيوب نفسه ويعز الله فيه من طهر قلبه من الغل والحقد والحسد وتأدب بآداب الاسلام الرفيعة العالية .

ينظر الله فيه الى الذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل ويصلحون فى

الأرض والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون والذين هم لفروجهم حافظون والذين هم للزكاة والصدقة فاعلون وللفقراء راحمون وللناس ناصحون وللدين مقدسون ولأمر الله طائعون .

ينظر الله فيه الى المحسنين والمنفقين والمتفقدين لأحوال الأرامل واليتامى والمساكين و إذا نظر الله الى عبد نَضَّرَ فؤاده وجعله فى عيـــد روحى وسمو إنسانى اسلامى لا يتذوقه إلا من سمت نفسه بالتقوى والمعرفة اليقينية وخلصت من شهوة المظاهر وغرورها وهذا هو العيد الحقيقى عند المتقين الأبرار .

وليس العيد لمن تمتع بالشهوات ولبس الثوب الجديد وقلبه مظلم معلق بالباطل والزور .

ليس العيد لمن لَبس الجديد وهو لم يأخذ أهبته ليوم الوعيـــد و يظن نفسه انه سعيد .

ليس العيد لخائن غشاش كذاب يسعى بالأذى والفساد بين الناس .

ليس العيد لمتـكاسل مرتاب لا يعمل لأمته ولا لدينه ولا لنفسه و بلاده .

ليس العيد لمن يحسد الناس على ما أتاهم الله من فضله الجسيم .

ليس العيد لمن طغى وتـكبر و اعرض واستدبر وآثر الحياة الدنيا إنما العيد لمن آمن ووعى ونهى النفس عن الهوى وأقبل الى الدين يسعى .

ليس العيد لمن عق والديه فحُرم الرضا فى هذا اليوم المبارك السعيد وانقطع عنه المدد السماوى بانقطاع دعاء والديه له .

ليس العيد لمن بخل واستغنى وكذب بالحسنى وظن انه يحسن صنعا وهو فى الضلال المبين .

ليس العيد لمن تجمل بالجديد وقلبه صلد جامد كالحديد لا يرعى فى الناس الا ولا ذمة وهو فى الأخرة فى العذاب الشديد .

وما قيمة التجمل والتعطر اذا كانت القلوب سوداء مظلمة والله سبحانه وتعالى لا ينظر الى جمال الملابس وطيب العطور ولا الى ضخامة الاجسام وجمال الصور ولكنه تعالى ينظر القلوب ويغفر لأصحاب القلوب التقية الطاهرة الصافية ويعذب تلك القلوب الكدرة الدنسة التى ران عليها فاصبحت لا تفقه شيئاً ولا تعى « لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل أضل »

وفى الحديث الشريف عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان الله لا ينظر الى أجسامكم ولا الى صوركم ولكن ينظر الى قلوبكم » (مسلم)

وعجبى لصاحب هذا القلب الأسود كيف يهنأ بالعيد وكيف يتقلب فى العيش الرغيد وكيف يسعد بلبس الجديد وهو عما قريب سيكون فى العذاب الشديد وكيف يهنأ بالعيد من استقام فى رمضان وبعد انتهائه عدل عن الطريق القويم المستقيم الى الضلال المبين .

أيها المسلم إن واجبك التقى والصلاح فى العيد كما هو فى رمضان واذا كان رمضان قد مضى كأنه طيف خيال وعزمت على العود الى التفريط والتقصير فى شوال وقلت فى نفسك تلك القولة المجرمه : « رمضان ولى هاتها يا ساقى » .

اذا قلت هذا فاعلم أن الله تعالى حى أبدى سرمدى لا يدركه زوال ولا يفنيه تداول الاوقات وتعاقب الأهلة وان الله تعالى يرضى عمن أطاعه فى أى شهر كان ويغضب على من عصاه فى كل وقت وأوان وإذا كنت فى رمضان منيباً الى ربك تائباً من ذنبك خائفاً من نقمته وعذابه محافظاً على الصلوات فى أوقاتها حريصاً على شهود الجمعة والجماعات مستعداً لقبول النصائح

و العظات مهذباً نقياً متواضعاً تقياً ذائقاً حلاوة الطاعة فكيف تعود فى العيد فتهدم ما بنيت وتقوض ما شيدت وتنضم الى حزب الشيطان بعد أن كنت من حزب الرحمن .

فواجبك أيها المسلم أن تحافظ على ما بنيت و تشيد فوقه ما استطعت ولا تجعل للمعاول الهدامة على أعمالك سبيلاً فاعبد ربك فى العيد وغير العيد كما عبدته فى رمضان وكن من الساجدين فى كل وقت وحين واعلم هداك الله ان الدنيا مزرعة الآخرة وأن الدنيا عمل ولا حساب والآخرة حساب ولا عمل فاعمل لدنياك وآخرتك واستعد ليوم الفزع الأكبر يوم ينظر المرء ما قدمت يداه . يوم يعض الظالم على يديه نادماً على ما جناه « يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات و برزوا لله الواحد القهار . وترى المجرمين يومئذ مقرنين فى الأصفاد سرابيلهم من قطران وتغشى وجوههم النار . ليجزى الله كل نفس ما كسبت ان الله سريع الحساب . هذا بلاغ للناس ولينذروا به وليعلموا انما هو اله واحد وليذكر أولوا الألباب » .

وأنت أيها المسلم الغنى أدخل السرور على الأرامل واليتامى والمساكين فى يوم عيدك وفى البر بهم السعادة والهناء وإذا أدخلت عليهم السرور استغفرت لك ملائكة الأرض والسماء وحياك الله بتحية الأبرار الأطهار وكتبت مع الصالحين ، وإذا أعرضت عنهم أعرض الله عنك فاخش عاقبة أمرك فمن للارامل واليتامى غير الأبرار من المؤمنين فى هذا اليوم المشرق على الناس والمظلم عليهم .

وإذا كان الله قد هيأ لولدك من يجاوبه إذا نادى (بابا بابا) فمن لليتيم اذا نادى (بابا بابا) .

أما تخشى بطش ربك أما تخشى أن يأتى العيد القابل وينادى فيه ولدك

(بابا بابا) ولا من يستجيب له إذا عد مع الأيتام و هيهات هيهات أن تحظى بالفلاح و العيد السعيد وأنت فى تخمة و بطنه و جارك المسكين فى طوى وعذاب وهيهات أن تفرح بالعيد وأنت تضيع أموالك فى غير وجوهها المشروعة كما يضيعها الكثير من الهمج فى الملاهى و بيوت الفسق و الدعارة و الفجور .

فكم من أموال فى هذه الأيام تضيع على الملاهى و الملاعب . وكم يتعدى أهل الغرور حدود الأدب بأفعال الهمج و تقليد الأجانب . وكم تتبهرج فيها أبناء الشهوات بما اكتسبوه من الشبه والحرام .

وكم تتبرج فيه من نساء تبرج الجاهلية الأولى فتكتسب لعنة الله والناس اجمعين .

وكم وكم من منكر وزور يجريان فى مثل هذه الأيام من كل عام وترى الناس وقد ركبوا رؤوسهم وانطلقوا من قيودهم فلا دين يردع ولا قانون يمنع ولو علموا أن الدنيا ظل زائل وأنها أضغاث أحلام وأن مصير الكل الى الزوال لما ارتكبوا ما ارتكبوا من الآثام .

فيا أيها المسلمون اتقوا الله و تباعدوا عن النفاق والشقاق فانه يوقع فى الوبال و البلاء وطهروا قلوبكم من الحقد والحسد وكونوا عباد الله إخواناً فى صفاء كما أمركم الله واطعموا الطعام وصلوا الأرحام واعطفوا على الارامل واليتامى تنالوا غاية القبول عند الله والاكرام والسلام عليكم ورحمة الله و بركاته ؟

نظر الاســـلام

الى الاضطراب العالمى العام

مستمعى الكرام :

الآيات والبراهين الناطقة بعظمة مدبر هذا الكون موفورة والحجج الدامغة التى تؤيد هذه العظمة لهذا المدبر الجبار كثيرة لا يحصيها عد ففى كل شىء له آية (جلت عظمته) فى السماء آيات بينات وفى الأرض والجبـــال والدواب والشجر آيات واضحات وفى البحار والأنهار آيات وفى أنفسنا وتركيب أجسامنا واختلاف أمزجتنا وألسنتنا وألواننا آيات وفى غنانا وفقرنا وسعادتنا وشقائنا وخيرنا وشرنا آيات . فى النملة آية وفى البعوضة آية وفى الجمل آية وفى الطير آية وفى كل شىء دليل وبرهان على جبروت وعظمة الملك الديان الرحيم الرحمن فان نالنا الرخاء وفتحت لنا أبواب السماء وكنوز الأرض وانقادت لنا الدنيا وأتانا ورزقنا رغداً من كل مكان فشبعنا وشبعت أنعامنا ودوابنا فتلك آية رضى المولى الكريم على عبيده وانه الغنى الحميد الذى لا ينضب فضل جوده وأنه تعالى لو سأله الناس جميعاً أولهم وآخرهم فأعطى كل إنسان مسألته ما نقص ذلك مما عنده الا كما ينقص المخيط اذا ادخل البحر . والله تعالى معهم على جوده ما داموا فى طاعته فان عصوه وخالفوه صبر عليهم وأمهلهم فان تمادوا فى غيهم واستمرؤا العصيان أخذهم أخذ عزيز مقتدر وأراهم فى الدنيا من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر لعلهم يرجعون وعذابه تبارك تعالى

يختلف باختلاف المعاصى والعصاة .

فان تظالم الناس وطمع أقو ياؤهم فى ضعفائهم عذبهم الله بالحروب تنشب بينهم فتهلك الحرث والنسل .

وان تركوا الحكم بما أنزل الله وعصوه بذلك جعل بأسهم بينهم .

وان نقضوا عهد الله وعهد رسوله سلط الله عليهم عدواً أجنبيا عنهم لايتكلم بلغتهم ولا يدين بدينهم فيستعمرهم و يستعبدهم و يستذلهم و يأخذ بعض ما فى أيديهم من أموال وأقوات وأرزاق .

وان منعوا زكاة أموالهم وظلموا الفقراء ومنعوهم حقوقهم المفروضة لهم عذبهم الله بالجدب وقلة الامطار وقلة الريع فى الزراعات أو نزول الآفات فى المزروعات .

وان ظهرت بينهم الفاحشة واعلنوا بها عذبهم الله بالأمراض والأوجاع تنتشر بينهم وتفتك بهم و بنسلهم .

وان نقصوا المكيال والميزان أخذهم الله بالسنين وشدة المؤونة وجور السلطان .

وان طغموا وشربوا ولهوا ولعبوا وشربوا الخمور واتخذوا القينات وأكلوا الربا وقطعوا الرحم ولبسوا الحرير — تخنثا — أصابهم المسخ والخسف والقذف وليرسلن الله عليهم الريح العقيم التى أهلكت عاداً على قبائل فيها وعلى دور وليرسلن عليهم حجارة من السماء كما ارسلت على قوم لوط على قبائل فيها وعلى دور حتى يصبح الناس يتحدثون خسف الليلة ببنى فلان و بدار فلان .

وكل هذه آيات بينات لمن كان له قلب أو القى السمع وهو شهيد .

وليعلم كل مؤمن بأن تعجيل العقوبة على الذنوب متوقع فى الدنيا قبل

الآخرة وان تأخر العقاب الى الأخرة فعذاب الآخرة أشد وأقوى وأخزى وأنكى وليعلم كل إنسان بان ما يصيب العبد من المصائب والبلايا فهو بسبب جناياته التى تصدر منه والذنوب كلها يعجل شؤمها — غالباً — على صاحبها فى الدنيا قبل الأخرة .

ونحن اليوم فى عصر طغت فيه الشرور وانطمست فيه معالم الحق وهام الناس فيه على وجوههم فى اللذات والشهوات والمنكرات فمن موضع لهوالى حانة خمر الى بيت فاحشة الى اهمال دين الى مخالفة قرآن . ومن تهتك نساء الى تطرف شبان الى فساد اخلاق الى ضياع حق الايمان . ومن مكر وخداع الى تجسس الى حسد الى نفاق الى كذب الى بهتان . الغنى فى الناس جبار شحيح والفقير فيهم متكبر قبيح ولقد عم البلاء وزاد الشقاء وفسدت مقاييس الافراد والجماعات .

فردية مطلقة وحب للذات مهلك وانتكاس فى اخلاق الافراد وفى كل شأن من شؤونهم . والأمم لا تقل عن الافراد فساداً وانتكاساً فالأمة القوية متكبرة جبارة همها نهب الضعيف وسلبه كل شىء حتى الحياة لاترعى نظاماً ولا قانوناً ولا إنسانية . والضعيفة منها خاملة جامدة مستهترة بحريتها وحقها نائمة عنها نوم الاموات لاهية بالسوء والفساد . هذه حالة الامم قويها وضعيفها وتلك حالة الافراد بفجرها وبرها . وقد حاقت بهم النقمة جميعاً ونزل بهم العذاب الأليم وأحيطوا بالخطر من كل جانب وأذاقهم الله فى الدنيا من عذابه الأدنى دون عذابه الأكبر لعلهم يرجعون عن غيهم ويتوبون الى الله ربهم ومالكهم وخالقهم ورازقهم ومحييهم ومميتهم ومعزهم ومذلهم .

قلِّبوا انظاركم أيها الناس فى الكرة الأرضية اليوم فماذا ستجدون ؟

انكم واجدون دون شك كل ما يبعث الاسى والشجن ويلقى فى النفس الرعب والفزع والحزن .

مجاعة فى أوربا تهددها بالمحق والفناء وباء بمصر العزيزة يهددها ويهدد الشرق العربى كله — لا سمح الله — بأمضى الاخطار فيضانات فى الهند لم تشهدها الهند منذ أجيال وحروب طائفية قد تؤدى الى حرب بين دولتين فتيتين ، حرب دامية فى اندونسيا بين ابطال الاندونسيين وشذاذ الهولنديين تحفز واستعداد لثورة كبرى وحرب دامية فى فلسطين العربية المسلمة المجاهدة.

خصومات دامية فى اليونان مشاحنات فى مجلس الأمن وهيئة الامم المتحدة قد تؤدى الى حله بعد فشله الذريع فى جميع الخصومات التى عرضت عليه .

تكتل فى الدول السلافية تنظيم واستعداد للدول الشيوعية رعب وفزع فى أمريكا وانكلترا من مطامع روسيا استياء واشمئزاز وفزع فى روسيا من أعمال أمريكا وانكلترا ومطامعها واضطراب عام شامل فى العالم أجمع لا ترى بقعة إلا وقد دهاها مادهاها من الويلات والنكبات وليقل علماء الاجتماع ما يقولون عن سبب هذا الاضطراب فان الإسلام ينظر إلى هذا كله كأمر طبيعى ونتيجة حتمية لغرق العالم فى بحران الفساد وبعدهم عن الدين الذى يكبح من جماحهم ويصدهم عن غيهم وينشر بينهم الأمن والاطمئنان والسلام وهذا التجهم للدين هو الذى أدى الى هذا التجهم والظلام العام فى الكرة الأرضية وذلك بما كسبت أيدى الناس . قال تعالى «ظهر الفساد فى البر والبحر بما كسبت أيدى الناس ليذيقهم بعض الذى عملوا لعلهم يرجعون» وقال تعالى « وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفوا عن كثير » .

ولقد كان الناس فى أمن ودعة ورغد من العيش يأتيهم الرزق من كل

مكان ولكن النعمة أبطرتهم ففعلوا ما فعلوا وقابلوا تلك النعمة العظيمة بالكفران والعصيان وكفروا بانعم الله كلها فعاجلهم الله بالعقوبة وغشيهم من الآلام والجوع والخوف والفزع ما غشيهم بما كانوا يقترفون .

قال تعالى « وضرب الله مثلاً قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون ولقد جاءهم رسول منهم فكذبوه فأخذهم العذاب وهم ظالمون » وقد جعل الله هذه القرية التى هذه حالها مثلاً لكل قوم أنعم الله تعالى عليهم فأبطرتهم النعمة فكفروا بها فبدل الله تعالى بنعمتهم نقمة وعذابا .

وفى القرآن الكريم أمثلة عظيمة لمثل هذه الأحوال وان حال أهل مكة — سواء سيقت هذه الأية لهم أو لهم ولمن سار سيرتهم — كان أشبه بحال تلك القرية فقد كانوا فى حرم آمن يتخطف الناس من حولهم ولا يخطر لهم خوف من عدو ولا قلق داخلى على بال وكانت تجبى اليهم ثمرات كل شىء . ولقد جاءهم رسول منهم وأى رسول فأنذرهم وحذرهم فكفروا بنعم الله تعالى وكذبوه صلى الله عليه وسلم فأذاقهم الله لباس الجوع والخوف حيث أصابهم بدعائه صلى الله عليه وسلم « اللهم أشدد وطأتك على مُضَرَ واجعلها عليهم سنين كسنى يوسف » ما أصابهم من جدب أليم وأزمة شديدة خانقة فاضطروا الى أكل الجيف والكلاب الميتة — والعلهز — وهو طعام يتخذ من الدم والوبر فى وقت المجاعة — وقد ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وما حل بهم يوم بدر أشد وأنكى .

وهؤلاء قبائل اليمن غمرهم الله تعالى بنعمه ومنحهم حياة طيبة فلما أعرضوا عن واجب الشكر سلبهم الله النعمة وأرسل عليهم سيلاً جارفاً أغرق أموالهم وخرب بلادهم قال تعالى « لقد كان لسبأ فى مسكنهم آية

جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور . فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتى أكل خمط وأثل وشىء من سدر قليل . ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازى الا الكفور » . سورة سبأ

وهؤلاء بنو اسرائيل لما أفسدوا فى الأرض وقتلوا الانبياء وسفكوا الدماء واستحلوا المحارم وتكبروا عن طاعة الله سلط الله عليهم أقواماً ذوى قوة وبطش فى الحروب فأغاروا عليهم وقتلوهم وشردوهم واتخذوا من جلودهم نعالاً ومن شعورهم حبالاً وذلك من قبيل تولية بعض الظالمين بعضاً مما جرت به السنة الآلهية . قال تعالى « وقضينا إلى بنى إسرائيل فى الكتاب لتفسدن فى الأرض مرتين ولتعلن علواً كبيراً . فاذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عباداً لنا أولى بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعداً مفعولا » .

هذه أيها المستمعون الكرام حالة العالم اليوم وتلك حالة الأمم السالفة وفى كليهما عبر وعظات لمن اعتبر وسبيل النجاة واضحة بينة فأسلكوها لعلكم تفلحون بنجاتكم من هذه الأخطار التى تحدق بالعالم أجمع وتهدده بكل خطر . وما هذه السبيل إلا سبيل الدين الذى يستنصركم الآن ويدعوكم للانضواء تحت لوائه والعمل بأحكامه والاهتداء بهداه لتسلموا وتنجوا من عذاب أليم . فأنيبوا الى الله واسلموا له واتقوه لعلكم تفلحون وأعلموا بأنكم غير معجزى الله وان الله ليس بظلام للعبيد هذا والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ؟ (١)

---

(١) الحديث يبين حالة العالم فى سنة ١٣٦٦ هـ الموافق ١٩٤٧ م حيث ألقى الحديث من دار الاذاعة العراقية .

أمر خطير فى الاسلام

أيها المسلم المؤمن أحييك بتحية من عند الله مباركة طيبة ثم أقول لك:

لعلك شاعر ومدرك وعالم خبير بما للأوامر الإسلامية من خطورة فى حياة المسلمين الخاصة والعامة ، وفى أمور معاشهم ومعادهم ، ولعلك قد علمت وجربت قاعدة أن الحسن لازم المأمور به ، فكل أمر إسلامى ما هو إلا بلسم لجرح إنسانى وشفاء لما فى الصدور ، فلو سرت بين الأوامر الآلهية مدققاً ومنقباً عن أمر يشذ عن هذه القاعدة لأنقطعت وأعياك المسير من وسط الطريق ، أنها أوامر من لدن حكيم خبير خلق الخلق وهو أعلم بما يصلح به حالهم و يستقيم به أمرهم . لا يرضى لهم غير ما تصفو به نفوسهم وتزكوا به أرواحهم ولا يرضى لعباده الكفر والفسوق والعصيان .

وكل أمر أمرنا به العزيز الجبار حسن بذاته ، عظيم بنتائجه صالح مصلح للجماعات والأفراد وأخطر أمر فى حياة الأمة الإسلامية بنظرى وهو ما غفل عنه المسلمون وحسبوه هيناً وهو عند الله عظيم . هذا الأمر هو ما ورد بقوله تعالى : « ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير و يأمرون بالمعروف و ينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون » .

فالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر من أخطر الأوامر الإسلامية التى لا يستقيم أمر الأمة بدونها ولا ينتظم حالها بغيرها ، بل تتمزق وحدتها . و يفصم أمرها ان هى تركتها ولم ترعها حق رعايتها .

لذا نرى الشريعة الإسلامية قد أولت هذه الناحية الحيو ية بعنايتها

التامة ، فنرى آيات الكتاب العزيز ملأى بالبحث عن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وعن طريقة الدعوة والارشاد ، وضرب المثل بأمم تركت هذا الأمر ، وكذا الأحاديث تعددت وتنوعت فى هذا السبيل .

فالله جل وعلا طلب أن تقوم منا (أمة) بهذا الواجب تدعو إلى الخير و إلى سواء السبيل و بشر تلك الأمة الداعية إلى سبيله بالفلاح والرشاد ، ووعدها بالنصرة والتأييد وتثبيت الأقدام « ان تنصروا الله ينصركم و يثبت أقدامكم » والله لا يخلف الميعاد ، ونصرة الله بنصرة دينه ، ونصرة الدين لا تكون إلا بالعمل به أولا والدعوة إلى العمل به ثانياً وعمل من غير دعوة — ولو للأهل والعشير — غير كامل ، كما ان الدعوة من غير عمل باطلة ، وتتخطى الآذان قبل القلوب .

وأعلم أيها المسلم ان الدعوة إلى الحق والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر واجب كل مسلم اليوم وهو فرض عين عليك ولا تتصور انه خاص بالعلماء فقط — نعم ان العلماء هم المسؤولون الأولون ، والخطاب يوجه اليهم قبل كل أحد ، والحق معك ان تصورت هذا فهم ورثة الأنبياء والأنبياء كانوا أمثلة الكفاح والجهاد فى سبيل العقيدة والمبدأ للذين جاؤا من أجلهما فمنهم من قُتل ومنهم من شرد ومنهم من أوذى ومنهم ومنهم الخ . ولكننا لم نجد شيئاً ولو يسيراً من هذا فى ورثتهم علماء اليوم .

والعلماء مصابيح الأرض فأين نورهم و إشعاعهم على المسلمين انه خبا أو كاد يخبو فى العراق . ولكن مع هذا فيجب أن تشعر وتتحسس بانك مسؤول ومطالب بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ان كنت مؤمناً حقاً فـ« كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته » .

وهل من الرعاية فى شىء أن تترك أبنك اذا كنت أباً يرعى فى مراتع الفسق والفجور من غير أن تزجره وتصده ؟ أو أن تترك زوجك تسير فى

غلوائها ولهوها من غير أن تمنعها وتصدها ؟ وتزعم أنك مسلم ؟

«يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة».

وهل من الرعاية فى شىء إذا كنت متولياً أمور الناس ومسؤولاً عما يفعلون ان تتركهم فى خوضهم يلعبون . وفى جهلهم وعتوهم يتيهون . ولا تمنعهم ذلك وتقف فى وجوههم بل ربما زدت فى طغيانهم بارتكابك ما يرتكبون وأتيانك ما يأتون ؟ وتزعم أنك مسلم ؟

وهل من الرعاية فى شىء اذا كنت غنياً وكان لديك من ذوى رحمك أو من بنى أمتك ممن تحت رعايتك وأنت مسؤول عنهم أن تتركهم فى الألم والشقاء يتخبطون ولا تعطيهم إلا نزراً ولا تنظر إليهم إلا شزراً وتزعم انك مسلم ؟

وهل من الرعاية فى شىء أيتها المسلمة إذا كان لك بيت وأولاد وزوج وأحفاد وكنت مسؤولة عنهم وعن توجيههم الى الخير أن تتركيهم وتسيرى وراء رغباتك ولا تقومى بواجباتهم إلا وأنت مكرهة ولا تصديهم عن باطلهم ولا تمنعيهم من السوء وأنت قادرة على ذلك وتزعمين أنك مسلمة ؟

ان هذا لبعيد وأن أمر الله لشديد « فكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته » كما اخبرنا بذلك سيد الرسل صلى الله عليه وسلم وكما وزع المسؤولية علينا نحن المسلمين .

عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته ، الامام راع ومسؤول عن رعيته ، والرجل راع فى أهله ومسؤول عن رعيته ، والمرأة راعية فى بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها ، والخادم راع فى مال سيده ومسؤول عن رعيته وكلكم راع ومسؤول عن رعيته » .

صدقت يا رسول الله صدقت ، ولو شعر كل مسلم بهـذه المسؤولية وحدها لما رأينا الفضائل تضحى كل يوم فوق مذابح الرذائل ولا من ناصر لها أو معين ، ولما رأينا الحق باطلاً والباطل حقاً والمنكر معروفاً والمعروف منكراً .

ولقد ظن الكثير منا خطأ اننا لسنا مسؤولين عن أعمال الغير ، نعم هذا صحيح، ولا تزروا وازرة وزر أخرى . ولكن هذا بالنسة لغير المسلمين فنحن لسنا مسؤولين عن أعمالهم فلهم دينهم ولنا ديننا ، اما بالنسبة للمسلمين فمسؤولية صد العصاة منهم عن عصيانهم موزعة على كل مسلم ، والمسلمون جسم واحد ونفس واحدة فعليهم اصلاح ما فسد من هـذا الجسم وتلك النفس وإلا فالشر يعمهم ان هم تركوا هذا ويؤيدنا ما روى عن أبى بكر الصديق رضى الله عنه قال : يا أيها الناس أنكم تقرأون هذه الآية : «يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم » وانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ان الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب منه » .

وظن البعض منا خطأ ان عقاب الآثام منزل على أصحابها فقط ، وهذا صحيح من وجه وغير صحيح من وجه آخر لأن الآثام ان عمت وكثر الخبث بين الناس ولم يوجد المستنكرون لها الساخطون عليها عمهم البلاء والعقاب لا فرق بين صالح وغير صالح ، فغير الصالح يؤخذ لفسقه وعصيانه وطغيانه والصالح يؤخذ لتركه الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وكل يبعث بنيته وعمله .

فأفيقوا أيها الناس وانتبهوا « واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا ان الله شديد العقاب » .

ويؤيد هذا من السنة ما ورد عن أم المؤمنين أم الحكم زينب بنت جحش رضى الله عنها أن النبى صلى الله عليه وسلم دخل عليها فزعاً يقول : « لا إله إلا الله ويل للعرب من شر قد اقترب فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه » (وحلق بأصبعيه الابهام والتى تليها) فقلت: يارسول الله أنهلك وفينا الصالحون ؟ قال : « نعم إذا كثر الخبث » (متفق عليه).

وعقاب الله عز وجل ان سلطه على أمة لا ينفع معه دعاء الصالحين فيها ولا استغاثة المستغيثين لانهم تركوا الأمر بالمعروف النهى عن المنكر فاصبحوا لهذا إذا دعوا الله لا يستجيب لهم بشىء .

يؤيد هذا ما ورد فى الحديث الشريف عن حذيفة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : والذى نفسى بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقاباً منه ثم تدعونه فلا يستجاب لكم »

وخير مثل ضربه لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن ترك صاحبه يركب عنان رأسه ويتصرف وشأنه من غير أن يحد الأخر من تصرفاته ويأخذ على يديه فى أمر سينتقل وباله عليه إن هو تركه وشأنه . هو ما ورد عن النعمان بن بشير رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « مثل القائم فى حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا (أى اقترعوا) على سفينة فصار بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها وكان الذين فى أسفلها إذا استقوا الماء مروا على من فوقهم فقالوا: لو أنا خرقنا فى نصيبنا خرقاً ولم نؤذ من فوقنا فان تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً وان أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً ».

كل هذا أيها المسلمون لمن ترك هذا الأمر الخطير فى الإسلام وهو الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وفوق هذا فقد لعن الله الأمة التى لايقوم أهلها

بهذا الفرض الكفائى والذى أصبح اليوم فرضاً عينياً على كل مسلم ومسلمة.

قال تعالى : لعن الذين كفروا من بنى اسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون وكانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون »

وهذا اللعن والعقاب لا يختلت باختلاف الأمم . والعبرة فى الكتاب العزيز بعموم اللفظ لا بخصوص السبب .

وقد أخبرنا الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم عن كيفية دخول النقص على بنى اسرائيل ثم بين كيف توسع أمره حتى استحقوا عليه اللعن والبعد من رحمة الله .

ورد عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أن أول ما دخل النقص على بنى اسرائيل أنه كان الرجل يلقى الرجل فيقول :

يا هذا أتق الله ودع ما تصنع فانه لا يحل لك ثم يلقاه من الغد وهو على حاله فلا يمنعه ذلك ان يكون أكيله وشريبه وقعيده فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض ثم قال : « لعن الذين كفروا من بنى اسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون » الى قوله تعالى : « ترى كثيراً منهم يتولون الذين كفروا لبئس ماقدمت لهم أنفسهم » الى قوله : « فاسقون » .

ثم قال : « كلا والله لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ولتأخذن على يد الظالم وَلَتَأْطِرُنَّهُ على الحق أطراً ولتقصرنه على الحق قصراً أو ليضربن الله بقلوب بعضكم على بعض ثم ليلعنكم كما لعنهم »

وهكذا يعاقب الله الأمم والأفراد ان تركوا أوامره التى بها يصلح حالهم

وينتظم أمرهم ويصبحون باتباعها قدوة صالحة للناس ومثلا طيباً ولكنهم حادوا عن جادة الصواب فضلوا السبيل فأضلهم الله وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون .

أما أولئك الذين يأمرون الناس بالمعروف ولا يأتونه وينهون عن المنكر ويأتونه فقد أعد الله لهم مقتاً كبيراً وعقاباً أليماً فى الدنيا والآخرة ونفى عنهم العقل « أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون » وقال جل وعلا فيهم وهم الذين يقولون مالا يفعلون: « يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما تفعلون كبر مقتاً عند الله ان تقولوا مالا تفعلون » .

وورد فى الحديث الشريف بيان نوع فظيع من عقابهم الأليم بأشنع صور العقاب وأخزاها كل ذلك سبيل أن يصدهم عن الأقوال الباطلة التى لا تصدر عن قلوب معمورة بالإيمان ولو صدرت عن قلب مؤمن لتلبس صاحبها بالعمل قبل أن يأمر الناس بها .

ورد عن أبى زيد أسامة بن أبى حارثة رضى الله عنهما قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « يؤتى بالرجل يوم القيامة فيلقى فى النار فتندلق أقتاب بطنه (امعاؤه) فيدور بها كما يدور الحمار فى الرحى فيجتمع اليه أهل النار فيقولون : يا فلان مالك ؟ ألم تكن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر فيقول بلى كنت آمر بالمعروف ولا آتيه وأنهى عن المنكر وآتيه » . (متفق عليه) .

هذا فى الآخرة أما فى الدنيا فقد طلب منا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان نحاربهم ونجاهدهم لأنهم أصحاب زور وباطل وأنهم يقولون مالا يفعلون وقد ورد عن عبدالله بن مسعود رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ما من نبى بعثه الله فى أمته قبلى إلا كان له حواريون وأصحاب

يأخذون بسنته و يقتدون بأمره ثم أنها تخلف من بعدهم خلوف يقولون مالا يفعلون و يفعلون مالا يؤمرن فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل » (رواه مسلم)

هكذا هذبنا الإسلام بأوامره فقد طلب منا ان تنطق أفعالنا قبل أن تنطق ألسنتنا ولغة الأفعال أبلغ من لغة الألسن فهما أزينت لغة الألسن وتجملت فهى وحشية ان لم يصحبها العمل المؤنس . والله سبحانه وتعالى وصف الأمة الإسلامية بأنها خير أمه أخرجت للناس وصفها بهذا الوصف إذ كانت تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر فقال جل وعلا « كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر » .

وكان الصحابة الكرام وهم على ما هم عليه من فضل وشرف الصحبة كانوا إذا لقى أحدهم الآخر صافحه وقرأ عليه قوله تعالى « والعصر ان الانسان لفى خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر » . فأين التواصى بينكم أيها المؤمنون وأين من يرعى هذا الأمر الالهى حق رعايته ؟

والله ان أمرنا لغريب وعجيب نخاطب ونطالب بالأوامر الالهية وهى دواؤنا الناجع مما بجسمنا من اسقام وأمراض ولا نجيب لداعى الله وكأننا لم نسمعه أو كأن فى آذاننا وقراً .

سبحان الله ما هذا الشطط أيها المسلمون فان الأمة التى يخشى أن يقال فيها للفاسق يا فاسق لا تقدس ولا تحترم .

وان الأمة التى لا يوم فيها من يقول للظالم يا ظالم لا تمجد ولا تكرم « فسارعوا أيها المؤمنون إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض

أعدت للمتقين » و بادروا بالأعمال الصالحة قبل ان تشغلوا وامروا بالمعروف وانهوا عن المنكر وأصبروا على ما أصابكم ان ذلك من عزم الأمور واعلموا أنكم مسؤولون جمياً عن أداء هذا الأمر الالهى الخطير وأذكروا قوله تعالى « ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم ، يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فأما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد إيمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون ، وأما الذين ابيضت وجوههم ففى رحمة الله هم فيها خالدون »صدق الله العظيم والحمد لله رب العالين والسلام عليكم ورحمة الله و بركاته ؟

الجهاد في الاسلام

الجهاد قاعدة من قواعد الشريعة الإسلامية ترتكز عليها عزة المسلمين ويبنى فوقها مجدهم ويدوم لهم الملك والسلطان ما دامت قاعدة الجهاد ثابتة فيهم قائمة بينهم .

فالله العلى الكبير الذى أمر بالصلاة وجعلها ركن الإسلام الأساسى وقال فى سبيل بقائها وحفظها : « حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين » هو نفسه تعالى القائل فى محكم كتابه : « انفروا خفافاً وثقالاً وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم فى سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون » .

والجهاد فى سبيل الإسلام حرب مقدسة للدفاع عن حق مقدس وهذا الحق إنما هو حرية النفس وحرية الدعوة الإسلامية . ولم يشرع الجهاد فى الاسلام للاعتداء والاستيلاء واستعباد ، وإنما شرع — كما هو مصرح به فى أكثر آيات الكتاب الحكيم — دفاعاً عن النفس أو تأميناً للدعوة من أن تقف الفتنة أو يقف الضلال فى طريقها ..

وأعلن الإسلام أنه لم يأت معتدياً وذلك بنهيه عن الاعتداء وأمره لمتبعيه بأن يجنحو الى سلم من سالمهم ويحاربوا من حاربهم ولا يعتدوا على أحد أبداً ، قال تعالى : « وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين » وقال تعالى فى آخر هذه الآيات : « فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم وأتقوا الله واعلموا ان الله مع

المتقين » (سورة البقرة) .

وقد كتب الله العزة للمسلمين حيث قال : « ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين » ولما كان سبيل العزة الجهاد فقد كتب الجهاد عليهم واشترى منهم أنفسهم وأموالهم وجعل الجنة لهم عوضاً وثمناً وذلك بأن يقاتلوا فى سبيل الله و يجاهدوا لتكون كلمة الله هى العليا فيقتلوا أو يقتلوا وعداً عليه حقاً فى التوراة والانجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله ؟..

وقد أعطى الإسلام الجهاد المقام الأسمى إذ أن مصير الدين والأمة مرتبطان به فجعل الجنة تحت ظلال السيوف كما ورد فى الحديث الشريف أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « من مات ولم يغز ولم يحدث به نفسه مات على شعبة من النفاق » . . وفى حديث آخر « ما ترك قوم الجهاد إلا عمهم الله تعالى بالعذاب » .. وأى عذاب أقوى وأنكى من الذل والاستعباد ؟.

والجهاد صنو المجد وقرين العزة والكرامة وهو ماض الى يوم القيامة ليس له وقت معين ولا مكان معين ففى أى وقت وقف فى طريق استقلالنا عدو ما أعلنا الجهاد فى وجهه وحاربناه حتى ننال إحدى الحسنيين أما الجنة بالاستشهاد وأما الحرية والاستقلال بالنصر والثبات .

وفى أى مكان خاصمنا مخاصم وأظهرنا فى قلبه من كيد وغيث للاسلام والمسلمين حاربناه وجاهدناه حتى نرده عن غيه وهو صاغر.. ونحن إن جاهدنا فانما نجاهد فى سبيل ولتكون كلمة الله هى العليا وبذلك ننال الدرجات العلى والمقام الأسمى فى جنة عرضها السموات والأرض أعدت للمؤمنين العاملين ورحبت للمجاهدين فى سبيل الله ..

مالت نفس رجل إلى العزلة فسأل النبى صلى الله عليه وسلم عنها فقال: « لا تفعل فان مقام أحدكم فى سبيل الله أفضل من صلاته فى بيته سبعين عاماً.

ألا تحبون أن يغفر الله لكم ويدخلكم الجنة أغزوا فى سبيل الله ، من قاتل فى سبيل الله فوق ناقة وجبت له الجنة .

ولعظم ما يرى المجاهد من عظيم فضل الله عليه يتمنى أن يرده الله الى الدنيا فيقتل مرات عديدة فى سبيل الله وله فى ذلك اسوة حسنة فى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد قال فى حديث : « والذى نفسى بيده لوددت أن أقتل ثم أحيا ثم أقتل ويوم القيامة يؤتى بالرجل من أهل الجنة فيقول الله يا ابن آدم كيف وجدت منزلك فيقول يارب خير منزل فيقول سل وتمن فيقول أسألك أن تردنى إلى الدنيا فأقتل فى سبيلك عشر مرات » وذلك لما يرى من فضل الشهادة وعظيم منزلتها عند الله .

ورد عن أبى امامة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ليس أحب إلى الله من قطرتين وأثرين ، قطرة من دموع فى خشية الله وقطرة دم تهراق فى سبيل الله ، وأما الاثران فى سبيل الله وأثر فى فريضة من فرائض الله » .. وعن انس رضى الله عنه قال أتت النبى صلى الله عليه وسلم الربيع بنت النظر وكان ابنها الحارث أصيب يوم بدر بسهم غرب فقالت اخبرنى عن حارثة لئن كان أصاب خيراً احتسبت وصبرت وإلا اجتهدت فى الدعاء فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « يا أم انها جنة فى جنة وإن ابنك أصاب الفردوس الأعلى والفردوس ربوة الجنة وأوسطها وأفضلها » وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال له : « يا أبا سعيد من رضى الله رباً والاسلام ديناً وبمحمد نبياً وجبت له الجنة فعجب لها أبو سعيد ثم قال أعدها علي يا رسول الله ففعل ثم قال وأخرى يرفع بها العبد مائة درجة فى الجنة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض قال وما هى يا رسول الله قال : الجهاد فى سبيل الله الجهاد فى سبيل الله » ..

فهذا هو الجهاد فى سبيل الله وهو الحرب المقدسة الشريفة التى يعلنها الاسلام على خصومه من غير بغى ولا عدوان على أحد منهم ولكن بما كسبت أيديهم و بما ارتكبوا من آثام وما اقترفوا من سيئات وما أظهروا من عدوان وهم ظالمون بهذا ولا عدوان إلا على الظالمين ..

فيا أيها العراقيون و يا أيها العرب و يا أيها المسلمون فى جميع أقطار الأرض لقد برح الخفاء وظهر الصبح لذى عينين وقد كشر لكم العدو عن أنيابه وأظهر ما فى قلبه من غل وحقد دفينين ولم يبق فى قوس الصبر منزع فها هم الصهاينة الدخلاء الأرجاس يعلنون على المسلمين الحرب ظاهراً و باطناً ويكيدون لذلك القطر العربى المسلم فلسطين العزيزة الصابرة المجاهدة محتمين ومستعينين بقوى الحكومات الاستعمارية الغاشمة الجائرة ..

فاجمعوا أمركم واستعدوا للجهاد فى وجوههم فقد وجب الجهاد وليس لنا إلا الصبر والعزم فاشعلوها ناراً حامية واستعينوا بالله فانه مولاكم وناصركم وهو يتولى المجاهدين الصابرين ولا يخطرن على بال أحد منكم أننا ضعفاء فان قوة الله معنا ولن تغلبنا قوة ما دامت قوة رب السماء والأرض تؤيدنا وكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله ..

أيها العرب أيها المسلمون فى جميع أقطار الدنيا استعدوا للجهاد فقد آن الاوان للمسلمين أن يجاهدوا الأعداء الالداء ليلاً ونهاراً سراً وجهاراً . أغزوهم قبل أن يغزوكم فوالله ما غُزِىَ قوم فى عقر دارهم إلا ذلوا ..

ولا تتوا كلوا ولا تتخاذلوا ولا تجبنوا ولا تتغافلوا لئلا تشن عليكم الغارات وانتم غافلون وتملك عليكم الأوطان وأنتم لاهون فاجمعوا أمركم وقفوا صفاً واحداً أمام العدو . وإذا اجتمعتم اليوم على حقكم وغزوتم من

أجله فلا غضاضة عليكم بعد أن رأيتم اجتماع عدوكم على باطله . فسيروا على بركة الله ولا تحسبوا أنكم ستدخلون الجنة ولما يعلم الله المجاهدين منكم ويعلم الصابرين الصادقين .

وهذه فلسطين أمانة الله ورسوله فى أعناقكم وأمانة ابن الخطاب وخالد وصلاح الدين فى أيديكم فلا تضيعوها فان فى ضياعها ضياع لمجدكم وعزتكم وكرامتكم فاستعدوا للكفاح وأعملوا فان الله معكم ولن يتركم أعمالكم والله معنا وهو حسبنا ونعم الوكيل .

لبيك اللهم لبيك

فى مطلع هذا اليوم الأغر ، يبتهج المسلمون فى كل صقع ومصر يرتفع فيه صوت السماء مدويا بالشهادتين ، بعيدهم المبارك الذى امتن الله سبحانه وتعالى به عليهم فجعله رمزاً لوحدتهم ، وعنواناً لتعاونهم ، وأودع فيه من الأسرار والذكريات كنوزاً لا ينضب معينها ، بل هى أبداً ملأى بالعبر طافحة بالمجد الأثيل !

وفى مثل هذه الأيام من كل عام ومنذ أمر الله سبحانه وتعالى نبيه ابراهيم عليه السلام بالأذان فى الناس ، فدعاهم عليه السلام « يا أيها الناس ان ربكم قد اتخذ بيتاً فحجوه » . يجتمع على اديم مكة وصحراء أم القرى فى تلك البقاع المقدسة المسلمون ليشهدوا منافع لهم بحج بيت الله الحرام .

وفى مثل هذه الأيام المشرفة تصفوا القلوب . وتغفر الذنوب وتنتزع الاحقاد ، وتموت الضغائن فالكل اخوان فى الله دانوا بدين واحد ، وآمنوا برب واحد ، وحملوا عقيدة واحدة ، ... فلا شرور ولا غرور ولا كبرياء ولا فجور الكل يمثل بين يدى الله الكبير المتعال خشعاً قد عنت الوجوه للحى القيوم ، ولا هتاف الا التلبية والذكر والحمد والثناء والشكر .

وقديماً وفى مثل هذه الأيام من الحقب السالفة شهد الكون أعظم تضحية — منذ خلق الله الأرض — فى وهاد مكة وقف ابراهيم الخليل عليه السلام يجود بفلذة كبده ، وهو أعز ما يملك فى هذا الوجود واحب من يحب ، وقف عليه السلام ليضرب أروع مثل فى السمع والطاعة للمولى القدير

وقف لينفذ أمر الله بذبح اسماعيل تحقيقاً لمشيئة من لا راد لمشيئته ، ولا مفر من قضائه ولو كان بذبح الولد (والجود بالنفس أقصى غاية الجود) .. وهناك وقف أيضاً اسماعيل وهو يدرك ما يراد به ، ويقدر ما سيلقاه . . وقف يشجع أباه ، ويذكى روح العزم فى نفسه ، ولسان حاله يقول « مرحباً بلقاء الله مرحباً بالموت فى سبيله . . هيا ألحقنى بالرفيق الأعلى . . عجل ابتاه ولا تحزن! وافعل ما تؤمر ستجدنى ان شاء الله من الصابرين !!

وفى هذه الساعة الرهيبة . . حيث تصطرع فى النفس الأحاسيس النبيلة وتضطرم المشاعر . . فى هذه الساعة التى وقف فيها ابراهيم يغالب مشاعره « وان هو لم يذبح فتاه فقد هم » .

أبى الله إلا أن يظهر رحمته لعباده — بعد ان تجلى من ابراهيم إيمانه وطاعته، ومن اسماعيل اذعانه وشجاعته فيصدر أمر الله بالعفو فافتدى اسماعيل بذبح عظيم .. فيالها من عبرة بالغة ، وذكرى خالدة لكل من له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد .

« فلما بلغ معه السعى قال : يا بنى انى أرى فى المنام انى اذبحك فانظر ماذا ترى ؟ قال : يا أبتى افعل ما تؤمر ستجدنى ان شاء الله من الصابرين فلما اسلما وتله للجبين ناديناه ان يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا انا كذلك نجزى المحسنين ! ان هذا لهو البلاء المبين ، وفديناه بذبح عظيم ، وتركنا عليه فى الآخرين سلام على ابراهيم كذلك نجزى المحسنين ! انه من عبادنا المؤمنين»!

فليتدبر المسلمون هذا الحدث فى هذه الأيام ، .. وليمعنوا النظر ، فقد آمن ابراهيم بربه . وعاش على هذه العقيدة الصادقة النيرة .. واسترخص كل غال ونفيس من أجلها .

وهى عقيدة كل مسلم، بل يجب أن تكون كذلك ، وانها ان خالطت بشاشتها قلب إنسان ، لم ينتزعها جبابرة الرجال ولو قطع صاحبها دونها ارباً

ربا !.. و بعد فلبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك لبيك. ان الحمد والنعمة لك. وما اعظم النعمة التى انعمتها علينا وما أجل الدين الذى اخترته لنا . . . وما اروع هذه الأيام التى لو كشفنا عما اودعته فيها من ذكريات ، وربطنا بينها وبين أعمالنا الحاضرة بسبب لكنا كما اردت لنا : « خير أمة أخرجت للناس » ... ولكن ... ولكن مرت على المسلمين اعياد كانوا فيها بحق سادة الدنيا وقادتها ، وغرة الدهر ، ويتيمة الزمن ، وجنود الهدى والعرفان ، ويمر هذا العيد ! على المسلمين وقد ذهبت عنه بهجته ، وزال رواؤه ، وفقد المسلمون تلك المعانى التى كانوا يستشعرونها إذا ما حل بينهم ... يمر بهم العيد وقد تكالبت عليهم الدول الغاشمة ، وتداعت عليهم كما تتداعى الأكلة على قصعتها ، وما بهم من قلة ولكنهم غثاء كغثاء السيل قد طمع فيهم من لا يدفع عن نفسه ، وتحكم فى رقابهم وأموالهم كل باغ ، حتى أصبحوا غرباء فى ديارهم مستعبدين فى أوطانهم .. وهم مع هذا البلاء متقاطعون متخاصمون لا يرعى بعضهم لبعض إلا ولا ذمة « وما ظلمناهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون » فاللهم غفرانك وعفوك ، ورحمتك ونصرك لهذه الأمة فانه لا نصر إلا نصرك ، ولا هدى إلا هديك ، اللهم وفقنا للرجوع إلى حظيرة الدين واعد على المسلمين العيد وقد تحرروا واستقلوا واتحدوا فى ظل دينك ، ولبيك اللهم لبيك لا شريك لك لبيك ان الحمد والنعمة لك لبيك وسعديك والنصر والعزة كله بيديك فاقدره لنا يارب العالمين .

ثلاث طوائف

من الناس فى القرآن

أيها الأخ المتفكر فى ملكوت السموات والأرض والمؤمن بأن للكون رباً جباراً متكبراً مختاراً يفعل ما يشاء ويختار .. ما كان لهم الخيرة .

يبعث الرسل وينزل عليهم الكتب ليبينوا للناس ما أنزل اليهم من ربهم .

لك أيها الإنسان المتدبر تحية من عند الله مباركة طيبة عبيرها من أريج زهر الجنة ونورها من نور رب العزة والجبروت .

أرسلها اليك من منبر الاخوة وأنت الجدير بها ولأبين لك بعد هذه التحية المؤمنة أن هذا الرب الكريم الذى توحده وتعبده ولا تعبد رباً سواه قد قسم الناس الذين شرفهم بالرسل وكلمهم بالعقل والعلم إلى طوائف ثلاثة وحثك على أن تكون من الطائفة الناجية المختارة التى رضى الله عنها وأرضاها .

١ — طائفة منهم غفلوا عن سر وجودهم وجهلوا حكمة الله فى خلقهم وتنكروا للدين ينهشونه من كل جانب وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً . لهم قلوب ولكنها ليست كقلوب المؤمنين لأنهم لا يفقهون بها ما يفقه المؤمنون بقلوبهم من أسرار هذا الكون . ولهم أعين ولكنهم لا يبصرون بها كما يبصر المؤمنون ولهم آذان ولكنهم لا يسمعون بها أولئك ، كالأنعام بل هم

أضل . لا هدف لهم ولا غاية وهؤلاء هم الذين عناهم الله بقوله : « ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون » (الأعراف) . وهم الذين عنوا كذلك بقوله تعالى :

« ان شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون ولو علم الله فيهم خيراً لأسمعهم ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون » (الانفال) .

٢ — والطائفة الثانية قوم حددوا هدفهم وعينوا غايتهم ولكنه هدف حقير وغاية رخيصة فهم يسعون الى امرأة جميلة أو مركب وثير وطعام هنى وشراب مرى ولقب فخم ومنصب ضخم وحكم وسلطان وأنصار وأعوان ومال وبنيان وهؤلاء هم الذين يقول الله فيها :

« زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب » (آل عمران) .

وهؤلاء يشتركون مع الطائفة الأولى فى نسيان الله تعالى والتنكر لأوامره شغلتهم أموالهم وأولادهم عن ذكر الله تعالى والله عز وجل يقول فى هؤلاء واولئك « نسوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون » وهؤلاء وان ابتسمت لهم الحياة واقبلت عليهم فى الظاهر واستحلوا الشهوات واستمرؤا اللذائذ وانغمسوا فى المنكرات إلا ان الله تبارك وتعالى يأبى إلا ان تكون عليهم حسرات مشوبة بالخزى والمنغصات عاجلاً أو آجلاً .

« فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم إنما يريد الله ليعذبهم بها فى الحياة الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون » (التوبة) .

وفى التفسير المأثور لهذه الآية إنما يريد الله ليعذبهم بها أى بجمعها فى

الحياة الدنيا وتزهق أنفسهم بحبها وهم كافرون بمنع حق الله فيها .

وهكذا يجعل الله النعم نقما و يحول الخيرات شروراً و يجعل من جنة العصاة المجرمين جحيما يرسل عليهم فيها الحميم والعذاب الأليم جزاء وفاقاً وما ربك بظلام للعبيد .

« ومن أعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى قال رب لم حشرتنى أعمى وقد كنت بصيراً قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى وكذلك نجزى من أسرف ولم يؤمن بآيات ربه ولعذاب الآخرة أشد وأبقى » (طه) .

٣ — والطائفة الثالثة هم جماعة المؤمنين الذين عرفوا حكمة وجودهم وأدركوا السر من خلقهم وهؤلاء هم الذين استنارت بصائرهم فهدوا للحق وهدوا إلى صراط الحكيم الحميد فجعلوا هدفهم معرفة ربهم وغايتهم تحقيق الرسالة الآلهية العليا وهى أن يكونوا لله فى الأرض كالملائكة فى السماء لا يعصون الله ما أمرهم و يفعلون ما يؤمرون يسبحون الليل والنهار لا يفترون وهم الذين وهبوا انفسهم لله ولم يشذوا عن هديه وهدى نبيه ولم ينحرفوا عن دينه القويم وقد أوقفوا حياتهم لتحقيق الأهداف التى رسمها الله لهم فى كتابه لا يريمون عنها وأهدافهم المرسومة هى التى جمعها الله فى قوله الحكيم : « يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون »

« وجاهدوا فى الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم فى الدين من حرج ملة ابيكم ابراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفى هذا ليكون الرسول شهيداً عليكم وتكونوا شهداء على الناس فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير » (الحج) .

فالأمر بالركوع والسجود أمر بالصلاة اذ الصلاة أكبر مظهر من مظاهر

العبودية لله تعالى وفيها تطهير النفس وتزكيتها وتصفية الروح وتنقيتها من كل دنس « ان الصلاه تنهى عن الفحشاء والمنكر » .

والأمر بالعبادة أمر بكل نوع من انواعهاوفيها الذكر والفكر والتلاوة والدعاء والأمر بفعل الخير يتناول كل خير بالنسبة للناس جميعاً . كما ان أول الآية يتناول حق الله تعالى و إذا أدى العبد حق الله وحق الناس فقد أدى ما عليه واستوجب بذلك الربح والفلاح ولهذا اختتمت الآية بقوله تعالى : « لعلكم تفلحون » .

ثم ان مهمة المؤمن فى هذه الحياة لا تقف عند العبادة وحدها وفعل الخير بل تتعداها الى معالجة مشاكل الدنيا والصمود لها بكل حكمة وثبات بل وتتعدى هذا الى الجهاد فى سبيل الله والعمل على اعلاء كلمته حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله وهذا ما ندبنا الله اليه وحثنا عليه لننال العزة والكرامة فقال تعالى : « وجاهدوا فى الله حق جهاده » وحق الجهاد استفراغ ما فى الوسع و بذل أقصى ما فى الجهد لنيل المقصود وهذا كله انما هو ثمن اجتباء الله تعالى لنا واصطفائه إيانا ولذلك عقب هذه الأوامر بقوله «هو اجتباكم » ولما كان يخيل للبعض أن فى هذا حرجاً ومشقة نفى الله ذلك فقال : « وما جعل عليكم فى الدين من حرج » وذلك لأن الإنسان إذا مات فى سبيل الله أو قتل فانما ذلك حياة له : « ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون » (آل عمران) . وان الله تعالى فضل هذه الطائفة المؤمنة من الأمة الإسلامية المباركة التى جعلها الله فى موضع القيادة وجعل المسلمين شهداء على الناس فما عدلوه كان عدلاً وما جرحوه كان مطروحاً « وكذلك جعلناكم أمة

وسطاً — أى عدولاً — لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً » (البقرة) .

بينما الرسول صلى الله عليه وسلم جالس مع اصحابه إذ مرت بهم جنازة فأثنوا عليها خيراً فقال الرسول صلى الله عليه وسلم « وجبت وجبت وجبت » ثم مرت بهم جنازة أخرى فاثنوا عليه شراً فقال الرسول صلى الله عليه وسلم « وجبت وجبت وجبت » فقال الصحابة يا رسول الله مرت الأولى فقلت وجبت ثم مرت الثانية فقلت وجبت فما وجبت فى الأولى وما وجبت فى الثانية فقال صلى الله عليه وسلم « ما أثنيتم عليه خيراً وجبت له الجنة وما أثنيتم عليه شراً وجبت له النار أنتم شهداء الله فى الأرض » (أبو داود) . قد يجد المؤمن فى نفسه أنه لا يقوى على القيام بهذه المهام الجسام فأرشده الله الى قوتين لن يغلب ما تمسك بهما الأولى قوة النفس التى يستمدها من الصلاة والزكاة والثانية قوة الإعتصام بالله والثقة به وهذا ما أشار الله اليه فى قوله : « فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير » هدانا الله لأقوم السبل ووجهنا الوجهة الصالحة وجعلنا من المؤمنين الصادقين الصالحين المصلحين انه لما يشاء قدير وهو نعم المولى ونعم النصير والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

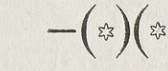

طرق الخـــير

ليس من الشرائع شريعة عنيت بالخير ودعت اليه وعددت مسالكه كالشريعة الاسلامية فقد بشرت به و بنتائجه ووضعت له الجزاء الأوفى وحثت عليه ورغبت فيه ونوعت طرقه ووسعت ميادينه وشعبتها شعباً مختلفات وجعلتها تلتقى جميعاً فى نقطة واحدة هى الخير وحده وهى نقطة الأنطلاق فى النفس الانسانية فمن صفت عنده هذه النقطة وزكت واصبح معدن البركات ومصدر الصالحات فلا يصدر عنه إلا المعروف ولا يفعل إلا الخير حيث كان وتنفجر منه ينابيع الحكمة والرشاد واذا خبثت هذه النقطة « نقطة الخير » فى النفس الانسانية خبثت تلك النفس وساءت اخلاقها وتدنست اعمالها باعمال الشر التى تنفجر ينابيعها من الأنفس الخبيثة الشريرة التى ران على قلوبها ما كانت تكسب من اعمال منكرة وافعال خبيثة قذرة وقد فهم المسلمون الأولون هذا المعنى فى شريعتهم وفقهوا معناه ومغزاه ففعلوا عدل الجبال من الخير ولم يروه شيئاً لأنه اصبح طابع نفوسهم والف أرواحهم ولم يفعلوا مثقال ذرة من شر لكرههم اياه و بغض نفوسهم له .. جاء اعرابى إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقرأ عليه النبى صلى الله عليه وسلم سورة الزلزلة (إذا زلزلت الأرض زلزالها واخرجت الأرض اثقالها وقال الانسان مالها) إلى ان بلغ (فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره) هنا قال الأعرابى (حسبى يا رسول الله) أى كفانى فقال النبى صلى الله عليه وسلم فقه الرجل أى دخلت فى قلبه حقيقة الايمان والاسلام وعرف معناها

ومغزاها وتفهمها من هذه الآية الكريمة المختصرة .

والله سبحانه خلق الخير والشر وجعل الظلمات والنور والظل والحرور ووهب الصحة وابتلى بالمرض وخلق الموت والحياة والسعادة والشقاء . و بضدها تتميز الأشياء ثم جعل الخير والشر ميدان صراع وابتلاء للانسان فقال عزوجل (ونبلوكم بالشر والخير فتنة والينا ترجعون) وهو سبحانه بعد هذا قد حث على الخير كثيراً ورغب فيه اكثر واعلم الناس انه عليم بما يصنعون فلا يضيع عنده مثقال حبة من خردل من خير أو شر وكفى به سبحانه حسيبا .

قال تعالى (وما تفعلوا من خير فان الله به عليم) وقال (وما تفعلوا من خير يعلمه الله) وأمرنا الرسول صلى الله عليه وسلم ألا نحقرن من المعروف شيئاً ولو كان شق تمرة ولو ان نرد أخانا بكلمة طيبة أو ان نلقاه بوجه طلق ومحيا ضحوك فأية عناية فى الخير فى الدنيا اكثر من هـذا . قال النبى صلى الله عليه وسلم (لا تحقرن من المعروف شيئاً ولو ان تلقى أخاك بوجه طلق) رواه مسلم . وخاطب صلى الله عليه وسلم المسلمات فقال(يا نساء المسلمات لا تحقرن جارة لجارتها ولو فرسن شاة)متفق عليه : الفرسن من البعير كالحافر من الدابة . وورد عن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صل الله عليه وسلم (كل سلامى من الناس عليه صدقه كل يوم تطلع فيه الشمس تعدل بين الاثنين صدقه وتعين الرجل فى دابته فتحمله عليها أو ترفع له عليها متاعه صدقه والكلمة الطيبة صدقه و بكل خطوة تمشيها إلى الصلاة صدقه وتميط الأذى عن الطريق صدقه) متفق عليه . من رواية عائشة رضى الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (انه خلق كل انسان من بنى آدم على ستين وثلثمائة مفصل فمن كبر الله وحمد الله وهلل الله وسبح الله واستغفر الله وعزل حجراً عن طريق الناس أو شوكة أو عظما عن طريق الناس أو أمر بمعروف

أو نهى عن منكر عدد الستين والثلثمائة فانه يمشى يومئذ وقد زحزح عن نفسه النار) فمن عناية الاسلام بالخير ان جعل ازالة الحجر ورفع الشوكة من طريق الناس وهى أدق من الحجر ـ من اصناف الخير وشعبه وانها صدقه يجزى فاعلها على فعلها خيراً ـ اما يحق لهذه الشريعة الخالدة ان تسمى شريعة الخير و يطلق على دعوتها انها دعوة الخير وعلى رسالتها انها رسالة الخير والانسانية والسلام والطمأنينة ومن نعمة الله على هذه الأمة ان جعل الخير كل الخير فى رسول رب العالمين محمد صلى الله عليه وسلم وفى أمته إلى يوم القيامة فسموا بالخير ورفعوه إلى اقصى ما يمكن ان يصل اليه وصنع الخير حتى مع الحيوان الاعجم قد جعل له الاسلام اجراً وثوابا بل جعل فى كل ذات كبد رطبة اجرا . وورد عن ابى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (بينما رجل يمشى بطريق اشتد عليه العطش فوجد بئراً فنزل فيها فشرب ثم خرج فاذا كلب يلهث يأكل الثرى من العطش فقال الرجل :ـ لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذى كان قد بلغ منى فنزل البئر فملأ ماء ثم امسكه بفيه حتى رقى فسقى الكلب فشكر الله له فغفر له قالوا يا رسول الله وان لنا فى البهائم اجرا ؟ فقال : فى كل كبد رطبة أجر) متفق عليه . فالاحسان إلى الحيوان طريق من طرق الخير فضلا عن الاحسان إلى الانسان فى مختلف وجوه الاحسان وكلها خير يوصل إلى السعادة والكمال ورضاء الله عز وجل والاحسان فى العبادة طريق من طرق الخير والعبادة نفسها من أجل الخير وانفعه لصاحبه لأن الله لا يضيع مثقال ذرة من خير بل يجزى عليها و يحفظها لصاحبها إلى يوم الدين وكفى به تعالى وفياً وحاسباً قال تعالى (واقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله ان الله بما تعملون بصير) وعن ابى هريرة رضى الله عنه عن رسول صلى الله عليه وسلم (الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان

إلى رمضان مكفرات لما بينهن إذا اجتنبت الكبائر) رواه مسلم . وعنه رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ألا هل أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا و يرفع به الدرجات ؟ قالوا بلى يا رسول الله قال: اسباغ الوضوء على المكاره وكثرة الخطى إلى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط) رواه مسلم.

بل جعل الاسلام الغرس الذى يغرسه الانسان ليستثمره والزرع الذى يزرعه ليأكله هو وولده جعله طريقاً من طرق الخير فقال النبى صلى الله عليه وسلم(ما من مسلم يغرس غرساً إلا كان ما أكل منه له صدقه ولا يرزؤه (ينقصه) احد إلا كان له صدقة) رواه مسلم . وفى رواية له (لا يغرس المسلم غرساً فيأكل منه انسان ولا دابة ولا طير إلا كان له صدقة إلى يوم القيامة) وفى رواية ايضاً (لا يغرس المسلم غرساً ولا يزرع زرعا فلا يأكل منه انسان ولا دابة ولا شىء آخر إلا كانت له صدقة) .

فطرق الخير إذا شملت الانسان والحيوان والنبات واعظم بدين هذا شأنه ولم يهمل مخلوقا يستحق الحياة إلا وأمر اتباعه بالإحسان اليه ووعدهم على هذا الاحسان بالأحسان خيراً كثيراً واجراً جزيلا . فتبارك المنعم المتفضل الغنى العظيم الذى لم ينس للانسان شق التمرة يقدمها هدية لانسان مثله يسعفه بها و يعينه فان اعانه فقد احسن وان لم يستطع اعانته بشىء من المادة فاعانته بالمعروف وامره بالخير فهو خير له كذلك فان لم يستطع هذا ولم يفعله فاذا امسك نفسه عن الشر وحبسها عن ايذاء الناس فانها له صدقة وخير يسجل له وقد ورد عن ابى موسى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال (على كل مسلم صدقة قالوا : أرأيت ان لم يجد ؟ قال: يعمل بيديه فينفع الناس و يتصدق قالوا : ارأيت ان لم يستطع ؟ قال : يعين ذا الحاجة الملهوف قالوا : ارأيت ان لم يستطع ؟ قال يأمر بالمعروف أو الخير

قالوا : ارأيت ان لم يفعل ؟ قال : يمسك عن الشر فانها صدقة) متفق عليه .

والكلمة الطيبة من طرق الخير فى الاسلام فالله تبارك وتعالى امرنا بان نقول للناس حسناً فقال(وقولوا للناس حسناً) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه وليس بينه و بينه ترجمان فينظرايمن منه فلا يرى إلا ما قدم و ينظراشأم منه فلا يرى إلا ما قدم بين يديه فلا يرى إلا النار تلقاء وجهه فاتقوا النار ولو بشق تمرة فمن لم يجد فبكلمة طيبة) وهكذا يأمر الاسلام بالخير فى كل شىء والاحسان فى كل شىء فهل سلك المسلمون هذه السبل واتبعوا هذه الطرق أم انهم حادوا عن سواء السبيل، الله اعلم بذلك والله اكبر ولله الحمد .

شهيدان

من شهداء الاسلام

جزى الله عنا السلف الصالح أبلغ الجزاء فقد كانوا خير من ثبت واستقام وجاهد جهاد الأبطال الكرام ، آمنوا بالله و رسوله وعاهدوها على المهج والأرواح فصدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا ، فأصبحوا مضرب المثل فى صدق الوعد والثبات على العهد .

وصفوة الصفوة من هذا السلف المبارك تلك الزمرة المختارة من صحابة رسول الله وقرابته وجنده ، الذين اختارهم الله لإعلاء كلمته وتنفيذ أوامره ، فحملوها بامانة ، و بلغوها باخلاص و باعوا أنفسهم رخيصة فى سبيل هدفهم الأسمى ومثلهم الأعلى ألا وهو إعلاء كلمة الله والمسارعة لنيل المغفرة من الله وجنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين فكانواهم المتقين الذين أزلفت لهم الجنة وازينت لخطابها وعشاقها ولم يغالهم المهر وان كانت الأنفس والأرواح ووددت أن أترجم لبعض من نالوا الجنة بالشهادة ليعتبر أولوا الألباب الذين عزت عليهم دنياهم فاستكانوا لها وخضعوا حتى أصبحوا عبيداً أذلاء لشهواتها الفانية وعرضها الزائل ، أما أولئك الأبرار فقد آثروا الباقية على الفانية فأكرمهم الله ونعمهم فهذا الحمزة بن عبدالمطلب عم النبى صلى الله

عليه وسلم وهو أعز فتى فى قريش ، وأشدهم شكيمة ، وأقومهم خلقاً . أسلم مع النبى صلى الله عليه وسلم بعد دخول النبى دار الارقم بن أبى الارقم .

وكان سبب إسلامه ان أبا جهل الخبيث تطاول يوماً على النبي صلى الله عليه وسلم . فآذاه وشتمه فلم يكلمه النبي عملا بقول ربه « وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما » .

ثم رجع النبي عليه الصلاة والسلام الى بيته . وقد رأت هـذا المشهد مولاة لعبدالله بن جدعان ، فأثر فيها هذا المنظر أسوء الأثر وغضبت منه أشد الغضب . فرأت أن تخبر عمه الحمزة بذلك وقد كان الحمزة يصطاد فى الجبـل فقررت الوقوف له فى الطريق لتخبره بما فعل أبو جهل بابن أخيـه ، وتثير حميته عليه . ولما رجع أخبرته بما رأته ، فغضب لغضبها وأخذته الحمية، وذهب إلى أبى جهل فضربه ضربة شج بها رأسه ثم ذهب إلى النبي صلى الله عليه وسلم فدخل فى دينه ثم أعلن إسلامه ليغيض قريشاً به وقال للنبي صلى الله عليه وسلم : « أظهر دينك » ولما رأت قريش هذا كفت بعض أذاها عن النبي وصحبه .

و بعد قليل من إسلام حمزة أسلم عمر بن الخطاب فأخذ يلح هو الآخر على النبي صلى الله عليه فى إظهار دينه . فأجابهما إلى ما طلبا وصدع بالدعوة وأظهرها للناس سافرة واضحة نيرة بينة .

وقد شهد حمزة رضى الله عنه غزوتى بدر وأحد وكان شجاعاً لا يخاف الموت ولا يرهب الردى حتى لقبه النبي صلى الله عليه وسلم (أسد الله) .

وقد كان فى بدر بطل بدر لأنه فعل بالمشركين ما لم يفعله غيره . وقتل من صناديد قريش أكبر عدد .

ولم يكن موقفه فى أحد بأقل من موقفه فى بدر ، فقد ثبت فى العدد القليل الذى ثبت مع النبي صلى الله عليه وسلم واستهان بالموت فى سبيل الدفاع عنه حتى قتل من المشركين أكثر من ثلاثين رجلاً ، ولـكن أجل الله اذا

جاء لا يؤخر ولا يمانع ، وقد أراد أن يعجل بحمزة ليفوز هذا البطل بما أعده الله له فى آخرته من نعيم . فبينما كان يصول و يجول هنا وهناك عثر عثرة وقع منها على ظهره، فانكشف الدرع عن بطنه، فرآه وحشى غلام جبير ابن مطعم فضربه فى بطنه بحربة فى يده ، فبقر بها بطنه ، وحرم المسلمين من جهاده و بطولته وعظم مصابهم فيه وأشتد حزنهم عليه وهم أشد ما يكونون حاجة اليه ولما انتهى القتال خرج النبى صلى الله عليه وسلم يلتمس عمه فى القتلى ، فوجده ببطن الوادى قد بقر بطنه عن كبده ، ومثل به المشركون أشنع تمثيل فوقف النبى صلى الله عليه وسلم أمام جثته وقال : « رحمك الله أى عم، فلقد كنت وصولاً للرحم فعولا للخيرات» . ثم قال :« ما وقفت موقفاً قط أغيظ إلي من هذا .

وهكذا قضى الشهيد نحبه راضياً مرضياً ساعياً إلى الجنة باذلاً دمه لله وفى سبيل الله ولعزة الإسلام وسلامة المسلمين رضى الله عنه وأرضاه وجعل الجنة مأواه وقد رثاه كعب بن مالك فقال :

بكت عينى وحق لها بكاها ... وما يغنى البكاء ولا العويل
على أسد الاله غداة قالوا ... أحمزة ذاكم الرجل القتيل
أصيب المسلمون به جميعاً ... هناك وقد أصيب به الرسول
أبا يعلى لك الأركان هدت ... وأنت الماجد البر الوصول
عليك سلام ربك فى جنان ... مخالطها نعيم لا يزول
ألا يا هاشم الأخيار صبراً ... فكل فعالكم حسن جميل
رسول الله مصطبر كريم ... بأمر الله ينطق إذ يقول

وهذا الشهيد الآخر عبيدة بن الحارث رضى الله عنه وهو أول من عقد له لواء فى الإسلام ، فقد أرسله النبى صلى الله عليه وسلم أميراً على ستين أو

ثمانين من المهاجرين وكان هذا فى السنة الأولى من الهجرة ، فسار حتى بلغ ماء فى الحجاز بأسفل ثنية المرة فلقى جمعاً عظيما من قريش ولم يحصل بينهم قتال إلا أن سعد بن أبي وقاص رمى يومئذ بسهم فكان سهمه أول سهم رمى فى الإسلام .

وفى غزوة بدر خرج عبيدة بن الحارث فيمن خرج من المسلمين ولما اصطف الجيشان خرج من المشركين عتبة بن ربيعة بين أخيه شيبة وابنه الوليد، فطلبوا البرازمن المسلمين، فخرج اليهم ثلاثة فتيةمن الأنصار ،فقالوالهم: من أنتم؟ قالوا: رهط من الأنصار فقالوا:يامحمد، أخرج الينا أكفاءنامن قومنا. مالنابكم حاجة. ثم نادى مناديهم :فقال النبى صلى الله عليه وسلم : قم يا عبيدة بن الحارث،قم ياحمزة، قم يا علي ، فقاموا فذهبوا اليهم ، فلما دنوا منهم قالوا لهم: من أنتم ؟ فقال عبيدة: عبيدة وقال حمزة : حمزة ، وقال علي : علي فقالوا لهم : نعم اكفاء كرام .

فبارز عبيدة عتبة بن ربيعة ، وبارز حمزة شيبة بن ربيعة ، وبارزعلي الوليد بن عتبة . فحمل حمزة على شيبة بن ربيعة فقتله ، وحمل علي على الوليد بن عتبة فقتله ، واختلف عبيدة وعتبة بينهما ضربتين ، كلاهما أثبت صاحبه ، فحمل حمزة وعلي باسيافهما على عتبة فقتلاه . ثم احتملا عبيدة الى النبى صلى الله عليه وسلم وهو يتشحط فى دمه ، وأفرشه النبى قدمه اوفخذه فوضع خده عليها ثم قال : أما والله لو أدرك أبو طالب هذا اليوم لعلم انى أحق منه بما قال :

كذبتم و بيت الله نُبْزَى[1] محمداً ولما نطاعن دونه ونناضل
و نسلمه حتى نصرع حوله ونذهل عن ابنائنا والحلائل[2]

(١) نبزى : نغلب عليه (٢) الحلائل : الزوجات

وفيما يروى الرواة أنه رضى الله عنه وقد طعن هذه الطعنة النجلاء كان ينظر الى وجه النبى صلى الله عليه وسلم ليستجلى منه النور المبين وليكون آخر ما ينظر ويودع فى هذه الحياة .

نظر الى النبى صلى الله عليه وسلم وسأله سؤالاً واحداً ولم يخطر على باله الأهل والمال والولد ولا شىء من زخارف هذه الدنيا الفانية انما خطر على باله أن يسأله عن الشهادة التى جعل الله ثمنها الجنة وليس للشهيد جزاء إلا الجنة وحق على الله أن يدخله ويمتعه فيها .

فقال رضى الله عنه وهو يتشحط فى دمه ، يا رسول الله هل أنا شهيد؟ فأجابه النبى صلى الله عليه وسلم : أشهد انك لشهيد . ثم مات من طعنته هذه عند رجوعهم من بدر ودفن بالصفراء فكان مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً .

وقد رثاه كعب بن مالك فقال :

أيا عين جودى ولا تبخلى ... بدمعك حقاً ولا تَنْزُرِى (١)
على سيد هدنا هلكُهُ ... كريم المشاهد والعنصر
جرىء المقدم شاكى السلاح ... كريم الثنا طيب المكسر
عبيدة أمسى ولا نرتجيه ... لعرف عرانا ولا منكر
* وقد كان يحمى غداة القتا ... ل حامية الجيش بالمبتر

---

(١) لا تنزرى : لا تقللى ـ من النزر وهو القليل

(*) هذا الحديث وحديث بطلان من أبطال الاسلام اعتمدت فيهما على كتاب الشيخ عبد المتعال الصعيدى عن شباب قريش .

الصراحـــة فى الحق

علمنا الإسلام من الاخلاق اقومها ، ومن الآداب اسماها ، وطبعنا بهذه الصفات فعشنا اخوة كرماء اعزة سعداء ، رحماء بيننا اشداء على الكفار ركعاً سجداً نبتغى فضلا من الله ورضوانا .

ومن هذه الاخلاق العالية التى ربانا عليها الاسلام الصراحة فى الحق والقول بالحق فالمسلم لا ينافق ، ولا يداجى ، ولا يحابى ، يقول الحق إذا علمه ولو كان على نفسه ، ولا يخاف فى الله لومة لائم ، صريح واضح ليس بالغامض ولا بالمستور ، يقول للمحسن احسنت والمسىء اسأت وللظالم يا ظالم اتق الله ودع ما تصنع .

والأمة التى يتصارح ابناؤها بالحق وينطقون بالحق امة جديرة بالحياة سيدة مطاعة . مهابة منيعة الجانب ، أما إذا هاب ابناؤها الظالمين ولم نجد فيها من يقول للظالم يا ظالم فقد تُودِّعَ منها وآذنت نفسها بالزوال .

والصراحة فى الحق قضت على التمويه والدجل واعطت لكل انسان حقه ومقداره فكف اهل المنكر عن منكرهم وتشجع اهل المعروف على معروفهم وزادوا فيه .

والصراحة فى الحق جعلت المسلمين خير أمة اخرجت للناس إذ انهم كانوا يأمرون بالمعروف وهو الأمر الحق ويدافعون عنه بايديهم والسنتهم وقلوبهم ، وينهون عن المنكر وهو الباطل ويصرحون فى محاربته لايخافون فى الله لومة لائم .

والصراحة فى الحق فى الأمة تقدسها وتمجدها وتنشر فيها الخير وتقمع الشر والباطل وتجعلها قدوة صالحة للامم من بعدها .

واذا خيفت فيها الصراحة وتجنبها ابناؤها ورأوا بأم أعينهم المنكر فلم

يتناهوا عنه ولم يصرحوا بمقتهم له ولفاعليه ولو باللسان ومظاهر الوجه وقسماته فتلك امة لا تستحق الحياة واجدر بها اللعن والطرد من رحمة الله عز وجل كما لعن بنو اسرائيل من قبل على لسان داود وعيسى ابن مريم قال تعالى : (لعن الذين كفروا من بنى اسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون) .

وقد تعلم المسلمون الصراحة بالحق من وحى دينهم وعاهدوا امامهم وهاديهم محمد بن عبدالله صلى الله عليه وسلم على ان يقولوا بالحق اينما كانوا لا يخافون فى الله لومة لائم فقد ورد عن ابى الوليد عبادة بن الصامت رضى الله عنه قال : بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة فى العسر والسر والمنشط والمكره وعلى أثرة علينا وعلى أن لا ننازع الأمر اهله الا ان تروا كفراً بواحاً عندكم من الله تعالى فيه برهان وعلى ان نقول الحق اينما كنا لا نخاف فى الله لومة لائم » (متفق عليه) .

وقد صدق هؤلاء المؤمنون فيما عاهدوا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فنطقوا بالحق وعاشوا على الحق .

وكافحوا أهل الباطل وجاهدوهم بأيديهم وألسنتهم وقلوبهم فكانوا هم الحواريين والأصحاب الذين اقتدوا بسنة الرسول وأطاعوا أمره .

ورد عن ابن مسعود رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ما من نبى بعثه الله فى أمة قبلى إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته و يقتدون بأمره ثم انها تخلف من بعدهم خُلُوف يقولون مالا يفعلون ، ويفعلون مالا يؤمرون ، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن ، ليس وراء

ذلك من الإيمان حبة خردل » (رواه مسلم) .

والصراحة فى الحق من أفضل الجهاد فى الإسلام والأفضل من الأفضل أن تكون كلمة حق عند سلطان جائر ورئيس غاصب ظالم .

ورد عن أبى عبدالله طارق بن شهاب البجلى الاحمسى رضى الله عنه ان رجلاً سأل النبى صلى الله عليه وسلم وقد وضع رجله فى الغرز (الركاب) أى الجهاد أفضل ؟ قال : « كلمة حق عند سلطان جائر » (النسائى) .

والناس اذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب منه ثم يدعونه فلا يستجيب لهم لأنهم خافوا الظالمين ولم يخافوا الله الذى فطر السموات والأرض و بيده ملكوت كل شىء وهو يجير ولا يجار عليه وقد أمرهم بمصارحة الظالمين ووعدهم بالنصر عليهم ولكنهم جبنوا لضعف إيمانهم فاستحقوا تعميم العذاب عليهم . عن أبى بكر الصديق رضى الله عنه قال : يا أيها الناس انكم تقرأون هذه الآية « يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم » وانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ان الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب منه » (أبو داود) . والصراحة فى الحق جعلت من البدوى الساذج يخاطب خليفة المسلمين وأمير المؤمنين القوى الأمين عمر بن الخطاب وهو على المنبر إذ يقول : اسمعوا وأطيعوا فيقول البدوى : لا سمع ولا طاعة وها أنت قد احتجنت لنفسك ثوبا زائداً عن حصتك من أثواب الغنيمة . فلم يغضب عمر القوى الجبار لقولة الحق و إن كانت غير حق ، وما كان لعمر أن يغضب وهو الصريح بالحق لمثل هذه القولة التى أرادها صاحبها لوجه الحق .

ولكن الأمام عمر رضى عنه نادى ابنه واشهده على ما قال الاعرابى فشهد ابنه بأنه تبرع بحصته لوالده وكلا الحصتين كانتا ثوباً لوالده فقال الأعرابى بكل صراحة قل: الآن نسمع ونطيع .

والصراحة فى الحق جعلت من المسلمين من يقول لسلطان المسلمين وخليفة رسول رب العالمين الامام العادل عمر بن الخطاب : يا ابن الخطاب والله لو رأينا فيك اعوجاجاً لقومناه بسيوفنا .

والصراحة فى الحق جعلت من المرأة المسلمة بطلة تنطق بالحق ولا تبالى وتخطىء أعظم رجل فى الأمة ولا تكترث لأنها علمت الحق فيجب أن تتعلق به وتجهر به كذلك مادام فى ذلك رضا الله ومغفرته .

والصراحة فى الحق أيضاً جعلت الخليفة يقبل اعتراضها ويسمع لقولها لأنه مأمور بذلك فى شريعته . ثم يعترف بخطئه وصواب المرأة ولا يبالى باعلان هذا الخطأ ، فيقول : أصابت المرأة وأخطأ عمر .

فأية صراحة أعظم من هذه الصراحة؟ وأية دمقراطية تشبه ما كان عليه رجال الاسلام وأبطاله العظام ؟

فيا أيها الناس أننا تنقصنا الصراحة فى الحق لتزيل عن المجتمع الاسلامى الغشاوة القاتمة التى خلفها الجبن ورتبها المداجاة والمداراة .

فما أحوجنا معشر المسلمين إلى أناس لهم من الشجاعة الأدبية والدينية ما تجعلهم يقولون للظالم : يا ظالم ويشكرون المحسن على إحسانه ، كما يزجرون المسىء عن إساءته ويقبحون له عمله ، ويصدونه عما كان يعمل .

والصراحة فى الحق تقيم من كل امرىء رقيباً على نفسه خشية أن يقع فيما لا تحمد عقباه فانه يراقب نفسه متى علم ان فى الأمة أعيناً بصيرة، وبصائر نقادة وألسنة حادة تقول الحق ولا تبالى، إذا علم هذا كف عن إسائته وأصلح نفسه وراقب ربه فالى الصراحة فى الحق أدعوكم أيها المسلمون فقولوا الحق ولا تبالوا واخشوا الله ولا تخشوا أحداً سواه والله يعصمكم من المفسدين وهو على كل شىء قدير .

حديث من مكة المكرمة

الحمد لله الذى عنت الوجوه لكبريائه وعظمته وهو القادر الذى ابدع الموجودات وشملها باحسانه ورحمته وصلى الله على سيدنا محمد امام المرسلين وقائد الغر المحجلين إلى جنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين .

ايها المسلمون يا من أعزكم الله بالاسلام واكرمكم بمحمد صلى الله عليه وسلم وجعلكم خير أمة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ، أحييكم اكرم تحية من اقدس مكان وأول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركاً وهدى للعالمين فيه آيات بينات مقام ابراهيم ومن دخله كان آمناً .

واحدثكم ايها المؤمنون من هذه الديار المباركة الطيبة التى اختارها الله عز وجل فجعل فيها قبلة العالمين وامرهم ان يولوا وجوههم شطرها وجمع حولها القلوب وجعلها مهوى الأفئدة والأبصار ومحط الآمال ومعقد الرجاء واجتباها الله وهو اعلم حيث يجعل رسالته فاشرق منها شمس الهداية لأقدس رسالة سماوية واعظم دعوة ربانية فطلع منها نور الاسلام وتلألأت اضواؤه وسار فى الأفق حتى بدد باقباس من اشعته ظلمات الجهل والظلم والشرك والشك وأنار الأبصار والبصائر .

ايها المسلمون :

احدثكم اليوم من مكة المكرمة بعد ان وفقنا الله فقضينا حجنا وأدينا مناسكنا ورجعنا إلى ربنا منيبين اليه وقد انتهت ايام الحج لهذا العام[1] وانها حقاً لأيام عظيمة مباركة ذات هيبة وجلال وقد بسط الله فيها فوائد التكريم لعباده

(١) عام ١٣٧٢ هجرية .

المتقين ايام حفظ لنا التاريخ اخبارها ووعى الاسلام اسرأرها فجعلها عيده الاكبر ويومه الأغر المحجل وفى مثل هذه الأيام يتجلى الله الكبير المتعال على المخلصين بمزيد الانعام ووافر الاكرام وينظر إلى اهل الصلاح ويقبل من تاب اليه وأناب . وفى يوم من مثل هذه الأيام وقف النبى الكريم صلوات الله وسلامه عليه فحرم من المسلمين على المسلمين دماءهم واموالهم واعراضهم إذ انهم امة واحدة وهم كنفس واحدة اخوة فى الله تجمعهم كلمة التقوى متحابون متناصرون متناصحون .

ورد عن ابى بكرة بن الحارث رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال (أى يوم هذا ؟ قلنا الله ورسوله أعلم ، فسكت حتى ظننا انه سيسميه بغير اسمه فقال :- أليس يوم النحر ؟ قلنا بلى ، قال :- فان دماءكم واموالكم واعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا فى بلدكم هذا فى شهركم هذا وستلقون ربكم فيسئلكم عن اعمالكم ألا فلا ترجعوا بعدى كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض ألا ليبلغ الشاهد الغائب ثم قال ألا هل بلغت ؟ قلنا نعم ، قال : اللهم اشهد) .

والله يشهد وملائكته ونحن نشهد على ان الرسول الأمين قد ادى الأمانة وبلغ الرسالة وجاهد فى الله حق جهاده حتى اتاه اليقين ونصح لأمته وما ترك من سبيل يقربها إلى الله إلا سلك بها اليه وامرها به وما من سبيل يباعد بينها وبين ربها إلا حذرها منه ونهاها عنه فعلى الأمة الاسلامية إذا ارادت لنفسها كرامة وعزاً وسيادة ومجداً ان تنهج نهج هذا الرسول الكريم ولا تعصى له امراً ففى ذلك الخير كل الخير والضمان لحياة حرة كريمة عزيزة .

وليس للمسلمين اليوم وهم على ما هم عليه من التخاذل والتناحر والتدابر حتى أصبحوا فى حال لا يحسدون عليها وطمع فيهم من لا يدفع عن نفسه

حتى كلاب البشرية وشذاذ الآفاق من اليهود المجرمين ومن شايعهم من المستعمرين والمستهودين . ليس للمسلمين سبيل غير سبيل الله والرسول قال تعالى (وان هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله) .

ايها المسلمون :

ان طريق الله واحد لا يتعدد مستقيم لا عوج فيه فمن أراد النجاة والسلامة سلكه ومن تركه خاب وهلك وطريق الله هو الاسلام وهو دين الله الذى لا يرضى به بديلا (ومن يبتغ غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه) . (ان الدين عند الله الاسلام) . وهو رسالة الخلود ونظام الحياة الشريفة الفاضلة ومهمة الاسلام ان ينشىء الناس نشأة شريفة فاضلة ليعيشوا فضلاء كرماء فى امة شريفه مجيدة تعيش على الحب والتسامح والتناصر والتعاون والوفاء والعدل والمساواة والجد والعمل . امة لا كالامم ، مهابة الاسلام تعلوها وسجاياه الحميدة تزينها وتحليها ، عاشت بالاسلام زمناً هو نعم الزمن حملت فيه إلى الناس نور الهداية ومشعل العلم والحرية والعدل والمساواة لا فضل فيها لأحد على أحد إلا بالتقوى ، لا ظلم ولا اعتداء ، ولا كبر ولا استعلاء ، الحقوق مصونة والكرامة لكل احد موفورة ، والرزق واسع ، والرحمة شاملة ، فالحياة رغيدة ، والعيش سعيد ، والتعاون ظاهر بين الناس فى كل مرفق من مرافق الحياة ، حتى اصبحت بحق خير امة اخرجت للناس ، وتمنى نصرها ودوامها من كان بالأمس خصما لها ، وتم لها النصر فى مشارق الأرض ومغاربها .

وكانت عناية الله تصحبها وترعاها والأرض لله يورثها للصالحين من عباده ويمكن لهم فيها ما داموا على الطريقة والمحجة الواضحة فاذا زاغوا أزاغ الله قلوبهم وتركهم فى ظلمات لا يبصرون ، وتلك سنة الله ولن تجد لسنة الله

تبديلا والمسلمون اليوم نسوا الله فنسيهم ووكلهم الى أنفسهم فهانوا على أنفسهم وعلى الناس، وتفرقوا أيدى سبأ وأصبحوا فى العالم الصاخب أضيع من الأيتام فى مأدبة اللئام وحالنا ظاهر لا يخفى على أحد أضعنا الصلاة واتبعنا الشهوات فلقينا الغى الذى حذرنا الله منه إذ أصاب من كان قبلنا حينما صنعوا ما صنعنا والمستعان الله ولا حول ولا قوة إلا بالله .

أيها المسلمون ما أحوجنا اليوم إلى عود حميد إلى رسالة الإسلام نرعاها قولا وعملا — كما رعاها السلف الصالح — لترعانا ونصونها لتصوننا وتنقذنا من الفوضى الاخلاقية والاجتماعية والسياسية التى نتخبط اليوم فيهـا ، فاذا عدنا إلى الله بالتوبة والطاعة والأنابة ، عاد الينا بالمغفرة والعزة والنصر والفتح المبين : إن تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم .

نسأل الله عز وجل ان يرد المسلمين اليه رداً جميلا ، وان يريهم الحق حقاً ويوفقهم لأتباعه ، وان يريهم الباطل باطلا ويوفقهم لأجتنابه ، انه اكرم مسؤول وخير مأمول ، وهو نعم المولى ونعم النصير .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

بيد الآباء والامهات

مفاتيح الرحمة

مستمعى الكرام : السلام عليكم ورحمة الله و بركاته .

فى الدنيا خير وجمال ، وشر وخبال، والوفاء من هذا الخير وذاك الجمال، وهو اجمل وخير ما يميز الانسان عن غيره من المخلوقات ، بل قد يفضله بعض هذه المخلوقات ان تجرد من هذه الصفة النبيلة فاصبح غادراً خؤوناً لا يرعى فى الحقوق إلاً وذمة .

ومن الوفاء ان تقابل الاحسان بالإحسان والجميل بالجميل ، ومن الغدر والخيانة ونكران الجميل أن تقابل الاحسان بالأساءة والخير بالشر والجميل بالقبيح .

واقرب الناس منك وأشدهم إحساناً اليك فى هذه الدنيا ، هما والداك فمنهما تكونت و بين احضانهما درجت ومن مالهما ربيت وأكلت وشربت ولبست وعشت ولولاهما لما كنت شيئاً مذكوراً .

تهدما حتى بنياك ، وتعبا حتى أراحاك ، وبذلا الجهود الجبارة حتى أوصلاك إلى ما أنت عليه من الكمال ، كانا يسهران إذا سهرت ، و يمرضان إذا مرضت ، وان هبت الريح عليك لم تغتمض لهما عين، ولا يسكن لهما قلب.

على كتفيهما تسلقت اسباب الحياة و بفضلهما قوى عضدك وكانا لك فيها ارضاً ذليلة وسماء ظليلة « فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولاً كريماً واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب إرحمهما كما ربياني صغيراً » .

وأعلم أيها المسلم أن الاسلام قد راعى حق الوالدين ، واخذ بناصرهما حفظاً للوفاء وصوناً للاسرة أن تنفصم عراها ، وحباً فى مقابلة الاحسان بالاحسان ، ورغبة فى تربية المسلمين على الفضيلة والطاعة .

ان المنزل هو المنبت الصحيح الذى تبتدىء منه التربية الخلقية والسمو الروحى . وقد أمر الله أمراً مبرما وحكم حكما قاطعاً لا مرد له بان نخصه تعالى بالعبادة وحده وأن نحسن إلى الوالدين احساناً جميلا لما لهما من فضل وحنان علينا ، وقد قرن المولى الكريم طاعة الوالدين بعبادته لما لهما من عظيم الإحسان والفضل على الابناء . فقال تعالى « وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه و بالوالدين احساناً » .

فهل بعد هذا الحكم القطعى من تردد فى التنفيذ أيها الابناء العاقون وما هو جوابكم عند سماعكم لمثل هذه الآية الكريمة ؟

أعلم ايها المسلم انك كما تدين تدان ، وكما تزرع تحصد ، فإن زرعت المعروف مع ابويك حصدت الشكر والمعروف من ابنائك ، وان صنعت الشر معهما حصدت الندامة والشر من ابنائك ، واحدة بواحدة ولا تظلم فتيلاً ، وربما سمعت كثيراً من هذه الحوادث التى تؤيد هذا الذى أقوله وقد قاله فخر الكائنات صلى الله عليه وسلم فيما رواه الطبرانى عن ابن عمر رضى الله عنهما باسناد حسن قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « بروا آباءكم تبركم ابناءكم وعفوا تَعِفُّ نساؤكم » .

واعلم ان عصيان الوالدين من أكبر الجرائم ، وأعظم الذنوب التى يعجل

الله عقوبتهما فى الدنيا قبل الآخرة إذ ان هذا العصيان نكران للجميل وكفران بالنعمة ومقابلة الإحسان بالإساءة وقد قال صلوات الله وسلامه عليه : « كل الذنوب يؤخر الله منها ما شاء إلى يوم القيامة إلا عقوق الوالدين فإن الله يعجله لصاحبه فى الحياة قبل الممات » .

ومن الحق أن يعجل بالعذاب للعاق لأن البر بالوالدين من أوجب الحقوق وأقدس الواجبات ، وطاعتهما من أفضل الطاعات، ولهذا فقدقرن الله عز وجل حق الوالدين بحقه وشكرهما بشكره فقال تعالى : « ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهناً على وهن وفصاله فى عامين أن أشكر لي ولوالديك الي المصير » .

واعلم أيها المسلم أن من حقهما عليك أن تكرمهما وتحسن اليهما وتبذل نفسك ومالك فى سبيل مصلحتهما وتسعى جهدك فى كسب رضاهما فإن رضا الرب برضاهما وسخطه بسخطهما وان بلغا عند الكبر فلن لهما واحتمل أذاهما ولا تضجر من حوائجهما وأحسن اليهما ما استطعت فى حال الضعف والكبر كما أحسنا اليك فى حال العجز والصغر وكن بهما رؤوفاً رحيماً وعليهما عطوفاً حليما. واسمع لقول الله العلى الكبير إذ يقول: « اما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولاً كريماً ».

وأعلم أيها الإنسان أنك مهما فعلت فى بر الوالدين والإحسان اليهما ومهما قدمت من طاعة أمامهما ومهما صنعت من معروف معهما فلست قائماً بواجبهما ، ولا موفياً حقوقهما ، العظيمة الضخمة . فسل الله العلى الكبير أن يكافئهما عنك بواسع الرحمة وجزيل الرضوان والثواب . قال تعالى : « واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيراً » .

وارحم أيها الابن الأم المسكينة الشفيقة البرة الرفيقة التى ذاقت أنواع الآلام مدة حملك ، وقاست من الشدائد ما قاست وقت معالجة وضعك ، ثم

أضعفت قوتها بإرضاعك حولين كاملين ، وأضاعت راحتها بحملك تارة على الصدر وأخرى على اليدين . كم قد تألمت لألمك؟ وكم قد سهرت لسهرك؟ فما ضجرت ولا ملت من مداراتك ومن خدمتك فكيف لا تحسن إليها بعد كل هذا وكيف تؤثر عليها غيرها فى البر والإحسان وهى أحق الناس بصحبتك. جاء رجل إلى رسول الله صلوات الله وسلامه عليه فقال : يا رسول من أحق الناس بحسن صحابتى (أى صحبتى) قال أمك ، قال : ثم من ؟ قال : امك ، قال : ثم من ؟ قال : امك ، قال ثم من ؟ قال : أبوك » .

واعلم ان احسانها عليك لا يحصى وأنك مهما صنعت معها لا توفيها حقها ولو حججت بها على عاتقك ما جزيتها ، ولو طلقة واحدة من طلقاتها التى تحملتها فى سبيلك عند وضعك .

« شكى رجل سوء خلق أمه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « لم تكن سيئة الخلق حين حملتك تسعة اشهر ؟ قال : انها سيئة الخلق ، قال : لم تكن كذلك حين أرضعتك حولين ؟ قال : انها سيئة الخلق ، قال : لم تكن كذلك حين اسهرت ليلها وأظمأت نهارها ؟ قال لقد جازيتها ، قال ما فعلت ؟ قال حججت بها على عاتقى ، قال ما جزيتها ولو طلقة » .

فانظر رعاك الله ايها المستمع الكريم إلى حق الأم العظيم وكيف أن الحج بها على العاتق لا يجزى ولو طلقة واحدة ، فاحسن إلى هذه الأم التى جعلت الجنة تحت اقدامها يمن الله اليك ويهديك سواء السبيل .

ومن أحق بالحنان والعطف عليك من هذه الأم ومن أبيك العطوف الرحيم ، الذى أحسن اليك فى ضعفك ومن نفائس امواله انفق عليك ورباك وهذبك وارشدك إلى ما ينفعك فى دينك ودنياك ولهذا الفضل الذى توجك به والدك ، فى الوقت الذى لم يحلم انه سيحتاجك يوما ما أو يطلب منك

جزاء أو شكوراً ، لهذا جعل الرسول الأكرم صلوات الله وسلامه عليه : الولد وما يملك لأبيه .

« روى ان ولداً اشتكى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أباه وأنه يأخذ ماله . فدعا به فإذا هو شيخ يتوكأ على عصا فسأله فقال : إنه كان ضعيفاً وانا قوى ، وفقيراً وأنا غنى ، فكنت لا أمنعه شيئاً من مالى . واليوم أنا ضعيف وهو قوى ، وأنا فقير وهو غنى ، ويبخل عليّ بماله . فبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : « ما من حجر ولا مدرٍ يسمع هذا إلا بكى . ثم قال للولد : انت ومالك لأبيك أنت ومالك لأبيك » .

فيا ايها الابناء اتقوا الله فى الآباء وأرعوا فيهم حق الله وحق الأبوة وحق الانسانية وحق الدين وحق الرحمة والوفاء وأعلموا أنكم ستكونون مثلهم آباءً وشيوخا وسيكون لكم ابناء وحفدة ، فازرعوا الخير لتحصدوا مثله ولا يأخذنكم العجب والغرور ، فإن عاقبتهما وخيمة ، ونتيجتها سيئة ، وهى العقوق ، والعقوق من اكبر الكبائر واعظم الآثام .

روى عن ابى بكر رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ألا انبئكم بأكبر الكبائر ؟ » ثلاثاً . قلنا بلى يا رسول الله . قال : « الإشراك بالله وعقوق الوالدين » وكان متكئاً فجلس . فقال « ألا وقول الزور وشهادة الزور فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت » البخارى ومسلم . واعلموا ان العقوق فى الاسلام ، محبط للاعمال ، مذهب للحسنات . وقد ورد عن ثوبان رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ثلاث لا ينفع معهن عمل . الشرك بالله وعقوق الوالدين والفرار من الزحف » الطبرانى .

وورد ايضاً عن عمر بن مرة الجهنى رضى الله عنه قال : جاء رجل إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله شهدت ان لا إله إلا الله وانك

رسول الله ، وصليت الخمس ، وأديت زكاة مالى ، وصمت رمضان ، ما لي ؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « من مات على هـذا كان مع النبيين والصديقين والشهداء يوم القيامة هكذا« ونصب أصبعيه » ما لم يعق والديه» أحمد والطبرانى .

فكأن عقوق الوالدين مُذهِبٌ لجميع تلك الأعمال محبط للحسنات ، وقد جعل الاسلام شتم الوالدين من الكبائر وأهل النار هم اصحاب الكبائر .

فقد ورد عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من الكبائر شتم الرجل والديه » قالوا يا رسول الله وهل يشتم الرجل والديه قال : « نعم يسب أبا الرجل فيسب الرجل أباه و يسب أمه فيسب أمه » البخارى ومسلم .

رضى الله عن صحابة رسول الله الكرام ، أنهم يستبعدون ويستنكرون أن يشتم الرجل والديه فيقولون للرسول الاعظم عليه صلوات الله وسلامه مستفهمين : وهل يشتم الرجل والديه ؟

ولو رأوا عصرنا هذا ورأوا فيه الآباء عند كثير من الأبناء الفجرة وكأنهم هم الآباء والآباء أبناء ، يتحكم الابن فى الأب ويزجره ، ولا يحترم له شيخوخته وأبوته ، يتأفف ويتأوف ويتمنى لو يعجل الموت على هذه الحثالة التى أثقلت كاهله وأخزته فى الدنيا أمام أصحابه الأغرار ، وندمائه الفجار ، وربما يضربه ويحقره ويتبرأ منه . إنها لاحد الكبر أن نرى مثل هذه المفارقات العجيبة وهذا الطغيان الماحق الحالق للدين والفضيلة فى عصرنا هذا .

نعم انها لعجيبة أن نرى أحب الأعمال الى الله وأرضاها له مكروهة عند أكثر الناس مهملة بغيضة . فقد ورد عن عبدالله بن مسعود رضى الله عنه قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم : أى العمل أحب الى الله ؟ قال :

« الصلاة على وقتها » . قلت : ثم أى ؟ قال : « بر الوالدين » . قلت : ثم أى ؟ قال : « الجهاد فى سبيل الله » (البخارى ومسلم) .

وهذه المحبوبات الثلاثة عند الله أصبحت عند الناس مكروهة . فلا صلاة ولا بر ولا جهاد ، ومع هذا فنحن نطلب العزة والمجد والخلود .

وورد ما يدل على ان البر بالوالدين والإحسان اليهما ومصاحبتهما بالمعروف والجهاد أمامهما مقدم على الجهاد فى سبيل الله . ومن المعلوم ان الجهاد فى الإسلام من أعظم الفروض العينية التى بنى عليها عز الأمة ومجدها .

ففى رواية لمسلم قال : أقبل رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : أبايعك على الهجرة والجهاد ابتغى الأجر من الله تعالى . قال : « فهل من والديك أحد حى ؟ » قال : نعم ، بل كلاهما . قال : « فتبتغى الأجر من الله تعالى ؟ » قال : نعم . قال : « فارجع إلى والديك فأحسن صحبتهما » (متفق عليه) .

وهذا كله من البر والإحسان الذى أمر الله تعالى به حيث قال : « واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً و بالوالدين إحساناً و بذى القربى واليتامى والمساكين والجار ذى القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت أيمانكم » .

وهناك أبر البر واحسن الإحسان وقد سما الاسلام بهذا الاحسان سمواً عظيما إذ أمر بالاحسان مع الآباء والأمهات حتى بعد وفاتهم ، وجعل ذلك الاحسان من أبر البر وطريقه أن يصل ويحسن الولد أهل ود أبيه ويدعو ويستغفر لهما وينفذ عهدهما ويكرم صديقهما ويصل الرحم التى لا توصل إلا بهما . وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم فى هذا : « إن من أبر البر أن يصل الرجل أهل ود أبيه بعد أن يولى » أى بعد أن يموت (مسلم) .

وورد عن أبى أسيد مالك بن ربيعة الساعدى رضى الله عنه قال : بينا نحن جلوس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إذ جاءه رجل من بنى سلمة فقال : يا رسول الله هل بقى من بر أبوى شىء أبرهما به بعدموتهما؟ فقال: « نعم ، الصلاة عليهما » أى (الدعاء لهما) والاستغفار لهما وانفاذ عهدهما من بعدهما ، وصلة الرحم التى لا توصل إلا بهما وإكرام صديقهما»(رواه أبوداود).

فالى الأبناء والبنات أسوق هذه الأحاديث وأزجى هـذه النصيحة خالصة لله راجياً منهم جميعاً أن يعودوا إلى رشدهم ويجربوا حياة البر والوفاء مع الأمهات والآباء ليتذوقوا معنى السعادة والهناء والله من وراء القصد وهو حسبنا ونعم الوكيل .

الخاتمة ...

أيها القارىء الكريم وفقنى الله وإياك وجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه .

روى أن القائد المسلم البطل سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه وأرضاه ، أرسل ربعى بن عامر إلى رستم قائد الجيوش الفارسية وأميرها حينذاك ، وكان ذلك قبل أن يلتحم الجيشان الإسلامى والفارسى فى معركة القادسية .

دخل ربعى بن عامر على أمير الفرس ، وقد زين مجلس الأمير بالنمارق (الوسائد) المذهبة ، والزرابى (المفروشات) الحرير ، وأظهر اليواقيت واللألىء الثمينة ، والزينة العظيمة ، وعليه تاجه وصولجانه ، وقد جلس على سرير من ذهب ، وحوله الجند والأعوان .

دخل ربعى بن عامر رسول القائد المسلم (سعد) بثياب صفيقة وسيف وترس وفرس قصيرة ، ولم يزل راكبها حتى داس بها على طرف البساط . ثم نزل وربطها ببعض تلك الوسائد ، وأقبل وعليه سلاحه ودرعه وبيضة على رأسه ، فقالوا له : ضع عنك سلاحك . فقال : إنى لم آتكم ، وإنما جئتكم حين دعوتمونى فإن تركتمونى هكذا وإلا رجعت . فقال رستم : أئذنوا له ، فأقبل يتوكأ على رمحه فوق النمارق فخرق عامتها ، فقالوا له : ما جاء بكم ؟

فقال ربعى: « الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد الى عبادة الله ، ومن ضيق الدنيا الى سعتها ، ومن جور الاديان الى عدل الاسلام ، فأرسلنا بدينه الى خلقه ، لندعوهم اليه ، فمن قبل ذلك قبلنا منه ورجعنا

عنه ، ومن أبى قاتلناه أبدا حتى تقضى الى موعود الله »

قالوا : « وما موعود الله ؟ » قال : « الجنة لمن مات على قتال من أبى ، والظفر لمن بقى ». انتهى

وفى محاصرة القسطنطينية ، روى أصحاب السنن والحاكم فى مستدركه عن يزيد بن حبيب عن أسلم أبى عمران قال : حمل رجل من المهاجرين بالقسطنطينية على صف العدو ، حتى خَرَقَهُ — ومعنا أبو أيوب الأنصارى — فقال رجل : ألقى بيده الى التهلكة ، فقال أبو أيوب الأنصارى :

نحن أعلم بهذه الآية ، إنما نزلت فينا .

صَحِبْنَا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وشَهِدْنا معه المشاهد ، ونصرناه فلما فشا الاسلام وظهر ، اجتمعنا معشر الأنصار تحبباً فقلنا :

قد أكرمنا الله بصحبة نبيه صلى الله عليه وسلم ، حتى فشا الاسلام وكثر أهله . وكنا قد آثرناه على الأهلين والأموال والأولاد . وقد وضعت الحرب أوزارها ، فنرجع إلى أهلينا وأولادنا فنقيم فيها ، فنزل فينا :

« وانفقوا فى سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التَّهْلُكَة »

فكانت التهلكة فى الأهل والمال ، وترك لجهاد .

هكذا فهم السلف الصالح الاسلامَ العظيم ، على أنه جهاد وعمل ، وأنه انبعاث جديد لإخراج الناس من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده .

فهل فهمنا نحن هذه المعانى العظيمة فى ديننا ؟ وهل عرفنا قيمة هذا الكنز الثمين الذى بين أيدينا ؟

وهل تمسكنا بهذه المبادىء السامية التى أعزت أسلافنا ومكنتهم من حكم الأرض بالعدل والقسطاس المستقيم ؟

ليتنا فعلنا . إذن لكنا ، كما كان أسلافنا ، خير أمة أخرجت للناس .

وبعد: فهذه محاضرات من قبس هذا الاسلام ، أتممت منها هذا القسم وأرجو أن يوفقنى الله لطبع ما بقى منها وهو كثير ، فى جزء ثانٍ لهذا الكتاب كما أرجو الله أن ينفع به ، ويجعله خالصاً لوجهه الكريم. والله أعلم بما نخفى وما نعلن وما يخفى على الله من شىء فى الأرض ، ولا فى السماء .

هو مولانا ، عليه توكلنا ، واليه أنبنا ، واليه المصير ، نعم المولى ونعم النصير والحمد لله رب العالمين ؟

محمد محمود الصواف

موضوعات الكتاب

الصفحة	الموضوع
٣	المقدمة
٦	عبرة العام
١١	الإسلام الذى نريده
١٦	الإسلام دين الحضارة والبداوة
٢١	الأسس الخلقية للحياة الاجتماعية فى الإسلام
٢٧	الإسلام والمرأة
٣٧	دعوة إسلامية إلى الزواج
٤٤	إلى الرجال المؤمنين
٤٩	إلى النساء المؤمنات
٥٤	إلى النساء أيضاً
٥٩	الإسلام وحدة متماسكة
٦٣	ميزان الانسان
٦٨	الدعوة الإسلامية والشباب
٧٣	الفرد والجماعة فى الأسلام
٧٩	أهداف الإسلام ومقاصده
٨٥	المسلم الحقيقى هو الإنسان المثالى الكامل
٩١	التوبة
٩٧	أهل الذمة أو الأقليات فى الإسلام
١٠٢	بطلان من أبطال الإسلام
١٠٧	المساجد وأثرها فى الحياة الإسلامية
١١٣	هذا نذير من النذر
١١٩	الأديان السماوية
١٢٤	دعوة الاسلام ودعوى الأدعياء
١٣٠	مرحباً بك رمضان
١٣٤	الإحسان فى رمضان
١٣٨	واجبك أيها المسلم فى يوم عيدك
١٤٣	نظر الاسلام إلى الاضطراب العالمى العام
١٤٩	أمر خطير فى الاسلام
١٥٨	الجهاد فى الاسلام
١٦٣	لبيك اللهم لبيك
١٦٦	ثلاث طوائف من الناس فى القرآن
١٧١	طرق الخير
١٧٦	شهيدان من شهداء الاسلام
١٨١	الصراحة فى الحق
١٨٥	حديث من مكة المكرمة
١٨٩	إلى الأبناء والبنات بيد الآباء والأمهات مفاتيح الرحمة
١٩٧	الخاتمة

PB-37725-SB
5-17T
CC

6142
B

Date Due

Demco 38-297

NYU - BOBST
31142 02771 4123
BP63.I6 S3
Sawt al-Islam fi al-Iraq